الأخير من كتاب احياء علوم الدين

كتاب النية والاخلاص والصدق | كتاب المحاسبة والمراقبة | كتاب التفكر | كتاب ذكر الموت وما بعده

∴ جزؤ من احياء علوم الدين ∴
∴ اخر اجزاء المنجيات ∴
∴ نفع الله ∴
∴ امين ∴

كتاب النية والاخلاص والصدق

كتاب المحاسبة والمراقبة

كتاب التفكر

كتاب ذكر الموت وما بعده

نفع الله تعالى على عبده محمد لطف الله

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب النية والاخلاص والصدق

وهو الكتاب السابع من ربع المنجيات من كتاب احيا علوم الدين

نحمد الله حمد الشاكرين ونؤمن به ايمان الموقنين ونقر بوحدانيته اقرار الصادقين
ونشهد ان لا اله الا هو رب العالمين وخالق السموات والارضين ومكلف الجن والانس
والملايكة المقربين ان يعبدوه عبادة المخلصين فقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين فما لله الا الدين الخالص المتين فانه اغنى الاغنيا عن شركة
المشاركين والصلوة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى اله
واصحابه الطيبين الطاهرين اما بعد فقد انكشف لارباب القلوب
ببصيرة الايمان وانوار القران ان لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة فالناس كلهم
هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون
والمخلصون على خطر عظيم فالعمل بغير نية عنا والنية بغير اخلاص ريا
وهو للنفاق كفا ومع العصيان سوا والاخلاص من غير صدق وتحقيق هبا
وقد قال تعالى في كل عمل كان بارادة غير الله مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هبا منثورا وليت شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف

حقيقة النية او كيف يخلص من صحح النية اذا لم يعرف حقيقة الاخلاص او كيف
يطالب المخلص نفسه بالصدق اذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى على كل عبد
اراد طاعة الله تعالى ان يتعلم النية اولا لتحصل المعرفة ثم يصححها بالعمل
بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص اللذين هما وسيلتا العبد الى النجاة والخلاص
ونحن نذكر معاني الصدق والاخلاص في ثلاثة ابواب

الباب الاول

في حقيقة النية ومعناها

الباب الثاني

في الاخلاص وحقايقه

الباب الثالث

في الصدق وحقيقته

الباب الاول

في النية

وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا
من العمل وبيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية وبيان خروج النية عن الاختيار

بيان فضيلة النية

قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه والمراد

بذلك الارادة هي النية وقال النبي صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى
فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا
يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وقال صلى الله عليه وسلم
اكثر شهداء امتي اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته
وقال الله تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل النية سبب التوفيق
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم
وانما نظر الى القلوب لانها مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل اعمالا
حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول القوا
هذه الصحيفة فانه لم يرد بما فيها وجهي ثم تنادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا
اكتبوا له كذا وكذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول الله تعالى انه
نواه انه نواه وقال صلى الله عليه وسلم الناس اربعة رجل آتاه الله علما ومالا فهو يعمل
بعلمه في ماله فيقول رجل لو آتاني الله تعالى ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سواء
ورجل آتاه الله تعالى مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو ان آتاني
الله تعالى مثل ما آتاه عملت كما يعمل فهما في الوزر سواء الا ترى كيف
شركه بالنية في محاسن عمله ومساويه وكذلك في حديث انس رضي الله عنه
لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال ان بالمدينة اقواما ما قطعنا
واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة

الا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذاك يا رسول الله وليسوا معنا قال
حبسهم العذر فشركونا بحسن النية وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه من هاجر
يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل فتزوج امراة منا وكان يسمى مهاجر ام قيس
وكذلك جاء في الخبر ان رجلا قتل في سبيل الله وكان يدعى قتيل الحمار لانه قاتل رجلا
لياخذ حماره وسلبه فقتل على ذلك فاضيف الى نيته وفي حديث عبادة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من غزا وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوى وقال ابي استعنت رجلا
يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له وذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له
من دنياه وآخرته الا ما جعلت له وروي في الاسرائيليات ان رجلا مر
بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته
بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل له ان الله قد قبل صدقتك وقد شكر
حسن نيتك واعطاك ما لو كان طعاما فتصدقت به وقد ورد في اخبار كثيرة
من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وفي حديث عبد الله بن عمرو من كانت
الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها ارغب ما يكون فيها ومن كانت الآخرة
نيته جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها ازهد ما
يكون فيها وفي حديث ام سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذكر جيشا يخسف بهم بالبيداء فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره والاجير
فقال يحشرون على نياتهم وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات ، وقال صلى الله عليه وسلم اذا التقى
الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا وفلان يقاتل
حمية وفلان يقاتل عصبية الا فلا تقولوا قتل فلان في سبيل الله من قاتل لتكون كلمة الله
هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل ، وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال يبعث كل عبد على ما مات عليه ، وفي حديث الاحنف
عن ابي بكرة رضي الله عنه اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا
رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه ، وفي حديث ابي هريرة من
تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي اداه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي قضاه فهو سارق
وقال صلى الله عليه وسلم من تطيب لله تعالى جا يوم القيمة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب
لغير الله جا يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة ، واما الاثار
فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه افضل الاعمال اداء ما افترض الله تعالى والورع
عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى ، وكتب سالم بن عبد الله
الى عمر بن عبد العزيز اعلم ان عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته
تم عون الله تعالى له ومن نقصت نقص بقدره ، وقال بعض السلف رب
عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية ، وقال داود الطائي
من كان اكبر همه التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته
يوما الى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك ،

[في الهامش: اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار]

وقال الثوري كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل ، وقال بعض العلما
اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فانت بخير ،
وكان بعض المريدين يطوف على العلما يقول من يدلني على عمل لا ازال فيه عاملا
لله تعالى فاني لا احب ان تاتي علي ساعة من ليل او نهار الا وانا عامل من عمال الله
فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت او تركته
فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله ، وكذلك قال بعض السلف نعمة الله تعالى
عليكم اكثر من ان تحصوها فان ذنوبكم اخفى من ان تعلموها ولكن اصبحوا توابين
وامسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك ، وقال عيسى بن مريم عليه السلم طوبى لعين
نامت ولا تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم ، وقال ابو هريرة رضي الله عنه
يبعثون يوم القيمة على قدر نياتهم ، وكان الفضيل بن عياض اذا قرا ولنبلونكم
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم يبكي ويرددها ويقول
انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا ، وقال الحسن انما خلد اهل الجنة
في الجنة واهل النار في النار بالنيات ، وقال ابو هريرة مكتوب في التوراة
ما اريد به وجهي فقليله كثير وما اريد به غيري فكثيره قليل ،
وقال بلال بن سعد ان العبد ليقول قول مومن فلا يدعه الله عز وجل وقوله
حتى ينظر في عمله فاذا عمل لم يدعه حتى ينظر في ورعه فان تورع لم يدعه
حتى ينظر ماذا نوى فان صلحت نيته فبالحري ان يصلح ما دون ذلك

[في الهامش: الهام بعمل الخير كعامله]

[في الهامش: بالخلود في ال...]

فاذن عماد الاعمال النيات فالعمل مفتقر الى النية ليصير بها خيرا والنية
في نفسها خير وان تعذر العمل بعائق

بيان حقيقة النية

اعلم ان النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة
للقلب يكتنفها امران علم وعمل العلم يقدمه لانه اصله وشرطه والعمل يتبعه
لانه ثمرته وفرعه وذلك لان كل عمل اعني كل حركة وسكون اختياري
فانه لا يتم الا بثلاثة امور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه
فلا بد وان يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من ارادة ومعنى الارادة انبعاث القلب
الى ما يراه موافقا للغرض اما في الحال او في المآل فقد خلق الانسان بحيث
يوافقه بعض الامور ويلائم غرضه ويخالفه بعض الامور فاحتاج
الى جلب الملائم الموافق الى نفسه ودفع الضار المنافي عن نفسه فافتقر
بالضرورة الى معرفة وادراك للشيء المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب
من هذا فان من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله ومن لا يبصر النار
لا يمكنه الهرب منها فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها اسبابا
وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو ابصر الغذاء
وعرف انه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل اليه
ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه اذ المريض يرى الغذاء ويعلم انه

نية صفة للقلب

كل حركة لا بد لها من علم وارادة وقدرة

ولا يسلم له عبادة ان سلم في عمره صلاة واحدة وعسر ذلك الا نادرا فاذن علاج الاخلاص
كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب
فاذ ذاك يتيسر الاخلاص وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله تعالى
ويكون فيها مغرورا لانه لا يرى وجه الآفة فيها كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت
صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الاول لاني تأخرت يوما لعذر فصليت
في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر
الناس الي في الصف الاول كان يسرني وسبب استراحة قلبي من حيث لا اشعر وهذا دقيق
غامض وقلما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له الا من وفقه الله تعالى والغافلون
عنه يرون حسناتهم كلها في الآخرة سيئات وهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما عملوا وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
واشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء فان الباعث للاكثرين على نشر العلم لذة
الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك
ويقول غرضكم نشر دين الله والنضال عن الشرع الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وترى الواعظ يمن على الله تعالى بنصيحة الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول
الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعي انه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من اقرانه
من هو احسن منه وعظا وانصرف الناس عنه واقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه

ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى اذ كفاه الله هذا المهم بغيره ثم الشيطان
مع ذلك لا يخليه ويقول انما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس
الى غيرك اذ لو اتعظوا بقولك لكنت انت المثاب واغتمامك لفوت الثواب محمود
ولا يدري المسكين ان انقياده للحق وتسليمه الامر للافضل اجزل ثوابا واعود عليه
في الاخرة من انفراده وليت شعري لو اغتم عمر رضي الله عنه بتصدي ابي بكر رضي الله عنه
للامامة اكان غمه محمودا او مذموما ولا يستريب ذو دين ان لو كان ذلك لكان مذموما
لان انقياده للحق وتسليمه الامر الى من هو اصلح اعود عليه في الدين من تكفله بمصالح
الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضي الله عنه باستقلال من هو اولى منه
بالامر فما بال العلما لا يفرحون بمثل ذلك وقد ينخدع بعض اهل العلم بغرور الشيطان
فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو اولى منه بالامر لفرح به واخباره بذلك عن نفسه
قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور فان النفس سهلة القياد في الوعد
بامثال ذلك قبل نزول الامر ثم اذا دهاه الامر تغير ورجع ولم يف بالوعد
وذلك لا يعرفه الا من عرف مكايد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة
حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع الا الشاذ النادر
الفرد وهو المستثنى في قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديد
التفقد والمراقبة لهذه الدقايق والا التحق باتباع الشياطين وهو لا يشعر

بيان اقاويل الشيوخ في الاخلاص

قال السوسي الاخلاص فقد رؤية الاخلاص لان من شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد
فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص وما ذكره اشارة الى تصفية الفعل عن العجب بالفعل
فان الالتفات الى الاخلاص والنظر اليه عجب وهو من جملة الافات والخالص ما صفي
عن جميع الافات فهذا تعرض لافة واحدة وقال سهل رحمه الله الاخلاص ان يكون
سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض
وفي معناه قول ابرهيم بن ادهم الاخلاص صدق النية مع الله تعالى وقيل لسهل اي شي
اشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب وقال رويم الاخلاص في العمل
هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين وهذا اشارة الى ان حظوظ النفس
افة اجلا وعاجلا والعابد لاجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول بل الحقيقة
ان لا يراد بالعمل الا وجه الله تعالى وهو اشارة الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص
المطلق فاما من يعمل لرجا الجنة وخوف النار فهو مخلص بالاضافة الى الحظوظ
العاجلة والا فهو في طلب حظ البطن والفرج وانما المطلوب الحق لذوي الالباب
وجه الله تعالى فقط وقول القايل لا يتحرك الا لحظ والبراة من الحظوظ صفة
الالهية ومن ادعى ذلك فهو كافر وقد قضى القاضي ابو بكر الباقلاني بتكفير
من يدعي البراة من الحظوظ وقال هذا من صفات الالهية وما ذكره حق ولكن
القوم انما ارادوا به البراة عما يسميه الناس حظوظا وهو الشهوات
الموصوفة في الجنة فقط فاما التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر

الوجه الله تعالى بهذا حظ هولا وهذا لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهو أنهم لو
عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة ولذة المناجاة وملازمة الشهود للحضرة الإلهية
سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحقروه ولم يلتفتوا إليه فحركتهم لحظ وطاعتهم
لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره ۵ وقال أبو عثمان الإخلاص نسيان
رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق وهذا إشارة إلى آفة الرياء فقط ۵
وكذلك قول بعضهم الإخلاص في العمل أن لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك
ع مقاصد الإخلاص فيكتبه فإنه إشارة إلى مجرد الإخفاء ۵ وقيل الإخلاص ما استتر عن الخلائق
وصفا عن العلائق وهذا أجمع للمقاصد ۵ وقال المحاسبي الإخلاص هو إخراج الخلق
عن معاملة الرب وهذا إشارة إلى مجرد نفي الرياء ۵ وكذلك قول الخواص
من شرب من كأس الرياسة فقد خرج عن إخلاص العبودية ۵ وقال الحواريون
لعيسى بن مريم عليه السلام ما الخالص من الأعمال فقال الذي يعمل لله تعالى
لا يحب أن يحمده عليه أحد ۵ وهذا أيضا تعرض لترك الرياء وإنما خصه بالذكر
لأنه أقوى الأسباب المشوشة للإخلاص ۵ وقال الجنيد الإخلاص تصفية
الأعمال من الكدورات ۵ وقال الفضيل ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك
والإخلاص أن يعافيك الله عنهما ۵ وقيل الإخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ
كلها وهذا هو البيان الكامل والأقاويل في هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير النقل
بعد انكشاف الحقيقة وإنما البيان الشافي بيان سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم

إذ سئل عن الإخلاص فقال أن تقول ربي الله ثم تستقيم كما أمرت أي لا تعبد هواك ونفسك
ولا تعبد إلا ربك وتستقيم في عبادته كما أمرت وهذه إشارة إلى قطع ما سوى الله
عن مجرى النظر وهو الإخلاص حقا ۵

بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للإخلاص

اعلم أن الآفات المشوشة للإخلاص بعضها جلي وبعضها خفي ضعيف مع الجلاء وبعضها
قوي مع الخفاء ولا تفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء إلا بالأمثال وأظهر
مشوشات الإخلاص الرياء فلنذكر منه مثالا فنقول الشيطان يدخل الآفة على
المصلي مهما كان مخلصا في صلاته ثم نظر إليه جماعة أو دخل عليه داخل
فيقول له حسّن صلاتك حتى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح
ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن أطرافه وتحسن صلاته
وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين ۵
الدرجة الثانية أن يكون المريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره
فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت إليه ويستمر في صلاته كما كان فيأتيه
في معرض الخير ويقول أنت متبوع ومقتدى به ومنظور إليك وما تفعله يؤثر عنك
ويتأسى بك غيرك فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت وعليك الوزر إن أسأت
فأحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا
أغمض من الأول وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأول وهو أيضا عين الرياء ومبطل

للاخلاص فانه ان كان يرى الخشوع وحسن العباده خيرا لا يرتضي لغيره تركه فلم
يرتضي لنفسه ذلك في الخلوه ولا يمكن ان يكون نفس غيره اعز عليه من نفسه فهذا
محض التلبيس بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره
الى غيره فيكون له ثواب عليه فاما هذا فمحض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به اثيب عليه
واما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه ما ليس متصفا به

الدرجه الثالثه وهي ادق مما قبلها ان يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه
لكيد الشيطان ويعلم ان مخالفته بين الخلوه والمشاهده للغير محض الريا ويعلم ان
الاخلاص في ان تكون صلوته في الخلوه مثل صلوته في الملا ويستحي من نفسه ومن ربه
ان يتخشع لمشاهده خلقه تخشعا زايدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوه
ويحسن صلوته على الوجه الذي يرتضيه في الملا ويصلي في الملا ايضا كذلك
فهذا ايضا من الريا الغامض لانه حسن صلوته في الخلوه ليحسن في الملا
فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته في الخلوه والملا الى الخلق بل الاخلاص ان يكون
مشاهده البهايم لصلاته ومشاهده الخلق على وتيره واحده فكان نفس هذا
ليست تسمح باساءه الصلوه بين اظهر الناس ثم يستحي من نفسه ان يكون في صوره
المرايين ويظن ان ذلك يزول بان يستوي صلوته في الخلا والملا وهيهات بل زوال
ذلك بان لا يلتفت الى الخلق كما لا يلتفت الى الجمادات في الخلا والملا جميعا
وهذا من شخص مشغول الهم بالخلق في الملا والخلا جميعا وهذا من المكايد الخفيه للشيطان

الدرجه الرابعه وهي ادق واخفا ان ينظر اليه الناس وهو في صلوته فيعجز الشيطان
عن ان يقول له اخشع لاجلهم فانه قد عرف انه يفطن لذلك فيقول له الشيطان
تفكر في عظمه الله وجلاله ومن انت واقف بين يديه واستحي من ان ينظر الله عز وجل
الى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن ان ذلك عين الاخلاص
وهو عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى جلاله لكانت هذه الخطره
تلازمه في الخلوه ولكان لا يختص حضورها بحاله حضور غيره وعلامه الامن من هذه
الافه ان يكون هذا الخاطر مما يالفه في الخلوه كما يالفه في الملا ولا يكون حضور
الغير هو السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور البهيمه سببا فما دام
يفرق في احواله بين مشاهده انسان ومشاهده بهيمه فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص
مدنس الباطن بالشرك الخفي من الريا وهذا الشرك اخفى في قلب ابن آدم من دبيب النمله
السودا في الليله الظلما على الصخره الصما كما ورد به الخبر ولا يسلم من الشيطان
الا من دق نظره وسعد بعصمه الله تعالى وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان
ملازم للمتشمرين لعباده الله تعالى لا يغفل عنهم لحظه حتى يحملهم على الريا في كل
حركه من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعه ولبس الثياب
فان هذه سنن في اوقات مخصوصه وللنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق
بها ولاستيناس الطبع بها فيدعو الشيطان الى فعل ذلك ويقول هذه سنه
لا ينبغي ان تتركها ويكون انبعاث القلب باطنا لها لاجل تلك الشهوات الخفيه

او مشوبه بها شوقا يخرج عن حد الاخلاص بسببه وقلما يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص
بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة يأنس الطبع به فالشيطان يرغبه فيه
ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الانس بحسن صورة المسجد
واستراحة الطبع اليه ويستبين ذلك في ميله الى احد المسجدين او الى احد الموضعين اذا كان
احسن من الآخر وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة
الاخلاص لعمري الغش الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب ومنها
ما يقل ولكن يسهل دركه ومنها ما يدق ويخفى لا يدركه الا الناقد البصير وغش القلب
ودغل الشيطان وخبث النفس اغمض من ذلك وادق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من عالم افضل
من عبادة سنة من جاهل واريد به العالم البصير بدقائق آفات الاعمال حتى يخلص عنها
فان الجاهل نظره الى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادي الى حمرة الدينار المموه
واستدارته وهو مغشوش زائف في نفسه وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد
خير من دينار يرتضيه الغر الغبي فهكذا تتفاوت امور العبادات بل اشد واعظم
ومداخل الآفات المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها فلينتفع بما ذكرناه
مثالا والفطن يغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل ايضا
فلا فائدة في التفصيل

بيان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به

اعلم ان العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء او حظوظ

النفس فقد اختلف في ان ذلك هل يقتضي ثوابا ام يقتضي عقابا ام لا يقتضي شيئا اصلا
فلا يكون له ولا عليه * اما الذي لم يرد به الا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب المقت
والعقاب واما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وانما النظر في المشوب
وظاهر الاخبار يدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن تعارض فيه والذي
ينقدح لنا فيه والعلم عند الله ان ينظر الى قدر قوة البواعث فان كان الباعث
الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان كان
باعث الرياء اغلب واقوى فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضر ومقتض للعقاب نعم العقاب
الذي فيه اخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء ولم يمتزج بشائبة التقرب
وان كان قصد التقرب اغلب بالاضافة الى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة
الباعث الديني وهذا لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره ولقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل
ان كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان
مغلوبا سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد وكشف الغطاء عن هذا
ان الاعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها فداعية الرياء من المهلكات
وانما غذاء هذا المهلك وقوته العمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات
وانما قوتها العمل على وفقها فاذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان
فاذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة واذا كان ذلك العمل على

مقتضى التقرب فقد قوى ايضا ذلك الحرفه واحدهما مهلك والآخر منجي فان كان قوته
هذا القدر بقوة الآخر فقد تقاوما وكان كالمستضر بالحراره اذا تناول ما يضره
ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كانه لم يتناولهما
وان كان احدهما غالبا لم يخل الغالب عن اثر وكما لا يضيع مثقال ذره من الطعام والشراب
والادويه ولا ينفك عن اثر في الجسد بحكم سنه الله تعالى فكذلك لا يضيع مثقال
ذره من الخير والشر ولا ينفك عن تاثير في اناره القلب او تسويده وفي تقريبه من الله تعالى
او ابعاده فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان فلم يكن
له ولا عليه وان كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر يبعده شبرا واحدا فضل له لا محاله
شبر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اتبع السيئه الحسنه تمحها فاذا كان الريا المحض يمحوه
الاخلاص المحض عقيبه فاذا اجتمعا جميعا فلا بد وان يتدافعا بالضروره ويشهد
لهذا اجماع الامه على ان من خرج حاجا ومعه تجاره صح حجه واثيب عليه وقد
امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن ان يقال انما يثاب على اعمال الحج عند انتهايه
الى مكه وتجارته غير موقوفه عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافه
ولا ثواب فيه مهما قصد التجاره ولكن الصواب ان يقال مهما كان الحج هو المحرك
الاصلي وكان غرض التجاره كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب وما عندي
ان الغزاه لا يدركون في انفسهم تفرقه بين غزو الكفار في جهه تكثر فيها الغنايم
وبين جهه لا غنيمه فيها ويبعد ان يقال ادراك هذه التفرقه تحبط بالكليه

ثواب الجهاد بل العدل ان يقال اذا كان الباعث الاصلي والمزعج القوي هو اعلاء كلمة الله
وانما الرغبه في الغنيمه على سبيل التبعيه فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه
ثواب من لا يلتفت قلبه الى الغنيمه اصلا فان هذا الالتفات نقصان لا محاله
فان قلت فالآيات والاخبار تدل على ان شوب الريا محبط للثواب وفي معناه
شوب طلب الغنيمه والتجاره وساير الحظوظ فقد روى طاووس وغيره
من التابعين ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف او قال يتصدق فيحب ان يحمد ويوجر فلم
يدر ما يقول له حتى نزلت فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعباده ربه احدا
وقد قصد الاجر والحمد جميعا وروى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ادنى الريا شرك
وقال ابو هريره رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم يقال لمن اشرك في عمله خذ اجرك ممن عملت له
وعن عباده ان الله عز وجل يقول انا اغنى الاغنيا عن الشركه من عمل لي عملا واشرك معي
غيري ودعت نصيبي لشريكي وروى ابو موسى ان اعرابيا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حميه والرجل يقاتل شجاعه والرجل يقاتل ليرى مكانه
في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمه الله هي العليا فهو في سبيل الله
وقال عمر رضي الله عنه تقولون فلان شهيد ولعله قد ملا دفتي راحلته ورقا
وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هاجر يبتغي شيا من الدنيا فهو له
فنقول هذه الاحاديث لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد
بذلك الا الدنيا كقوله من هاجر يبتغي شيا من الدنيا وكان ذلك هو الاغلب



عن همه وقد ذكرنا ان ذلك عصيان وعدوان لا لان طلب الدنيا حرام ولكن طلبها باعمال الدين حرام
لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن وضعها. واما لفظ الشركة حيث ورد فمطلق
للتساوي وقد بينا انه اذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي
ان يرجى عليه ثواب ثم الانسان عند الشركة ابدا في خطر فانه لا يدري
اي الامرين اغلب على قصده فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي لا يرجى اللقاء مع الشركة التي احسن
احوالها التساقط ويجوز ان يقال ايضا منصب الشهادة لا ينال الا بالاخلاص في الغزو
وبعيد ان يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزعجه الى مجرد الغزو
وان لم يكن غنيمة وقدر على غزو طائفتين من الكفار احدهما غنية والاخرى فقيرة
فمال الى جهة الاغنياء لاعلاء كلمة الله والغنيمة انه لا ثواب له على غزوه البتة
ونعوذ بالله ان يكون الامر كذلك فان هذا حرج في الدين ومدخل لليأس على المسلمين
لان امثال هذه الشوائب التابعة قط لا ينفك الانسان عنها الا على الندور
ويكون تاثير هذا في نقصان الثواب واما ان يكون في احباطه فلا نعم
الانسان فيه على خطر عظيم لانه ربما يظن ان الباعث الاقوى هو قصد التقرب
ويكون الاغلب على سره الحظ النفسي وذلك مما يخفى غاية الخفاء ولا يحصل الاجر الا بالاخلاص
والاخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وان بالغ في الاحتياط فلذلك ينبغي
ان يكون ابدا للعبد كمال الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خائفا ان يكون

موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والميل ولفقد الداعية المحركة
اليه فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والارادة واعني به نزوعا في نفسه اليه وتوجها
في قلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما راغب فيه مريد تناوله
عاجز عنه لكونه زمنا فخلقت له القدرة والاعضاء المتحركة حتى يتم به التناول
والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية
تنتظر العلم والمعرفة او الظن والاعتقاد وهو ان يقوى في نفسه كون الشيء موافقا
له فاذا جزمت المعرفة بان الشيء موافق ولا بد وان يفعل وسلمت عن معارضة باعث اخر
صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت الارادة انتهضت القدرة
لتحريك الاعضاء والقدرة خادمة للارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد
والمعرفة فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الارادة وانبعاث
النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال واما في المال
فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب وهو الباعث والغرض الباعث هو المقصد
المنوي والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة الارادة
بتحريك الاعضاء هو العمل الا ان انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد
وقد يكون بباعثين اجتمعا في فعل واحد واذا كان بباعثين فقد يكون
كل واحد بحيث لو انفرد لكان مليا بانهاض القدرة وقد يكون كل واحد
قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون احدهما كافيا لولا الاخر لكن الاخر

انتهض عاضدا له ومعاونا له فيخرج من هذا التقسيم اربعة اقسام فلنذكر
لكل واحد منها مثالا واسما اما الاول فهو ان ينفرد الباعث الواحد ويتجرد كما اذا هجم
على الانسان سبع فكلما رآه قام من موضعه فلا مزعج له الا غرض الهرب من السبع فانه
رأى السبع وعرفه ضارا فانبعثت نفسه الى الهرب ورغبت فيه فانتهضت القدرة
عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال نيته الفرار من السبع لا نية له في القيام غيره
وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة الى الغرض
الباعث ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره وممازجته واما الثاني
فهو ان يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس ان
يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوة كانت كافية في الحمل لو انفرد
ومثاله في غرضنا ان يسأله قريبه الفقير حاجة فيقضيها لفقره وقرابته
وعلم انه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وانه لولا قرابته لكان يقضيها
بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بان يحضره قريب غني فيرغب في قضاء حاجته
وفقير اجنبي فيرغب في اغاثته وكذلك من امره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه
يوم عرفة فصام وهو يعلم انه لو لم يكن يوم عرفة لكان يترك الطعام حمية
ولولا الحمية لكان يتركه لاجل انه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فاقدم
على الفعل وكان الباعث الثاني رفيق الاول فليسم هذا مرافقة البواعث
الثالث ان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي مجموعهما على انهاض القدرة

ومثاله من المحسوس ان يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد احدهما به
ومثاله من غرضنا ان يقصده قريبه الغني فيطلب درهما فلا يعطيه ويقصده
الاجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده الفقير القريب فيعطيه
فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهي القرابة والفقر وكذلك الرجل
يتصدق بين يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا
لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب في التصدق عليه
لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء ولما اجتمعا اورثا بمجموعهما تحريك القلب
وليسم هذا الجنس مشاركة والرابع ان يكون احد الباعثين مستقلا لو انفرد
بنفسه والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تأثير بالاعانة والتسهيل
ومثاله في المحسوس ان يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد القوي
لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في الخفيفه
ومثاله في غرضنا ان يكون للانسان ورد من الصلوات وعادة في الصدقات
فاتفق ان حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم
وعلم من نفسه انه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة
لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق الى النية وسنذكر
حكمها في باب الاخلاص والغرض الآن بيان اقسام النيات فان العمل تابع للباعث عليه
فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل انما الاعمال بالنيات لانها تابعة

لا حكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع

بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله

اعلم انه قد يظن ان سبب هذا الترجيح ان النية سر لا يطلع عليه الا الله تعالى والعمل ظاهر ولعمل السر فضل وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد لانه لو نوى ان يذكر الله بقلبه او يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث ان تكون نية التفكر خيرا من التفكر ۞ وقد يظن ان سبب الترجيح ان النية تدوم الى آخر العمل والاعمال لا تدوم وهو ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية اعمال الصلوة قد لا تدوم الا في لحظات معدودة والاعمال تدوم والعموم يقتضي ان تكون نيته خيرا من عمله ۞ وقد يقال معناه ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية وهو كذلك ولكنه يبعد ان يكون هو المراد اذ العمل بلا نية او على الغفلة لا خير فيه اصلا والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح للمشتركين في اصل الخير بل المعنى به ان كل طاعة تنتظم بنية وعمل كانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل اي لكل واحد منهما اثر في المقصود واثر النية اكثر من اثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من جملة طاعته والغرض ان للعبد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية

من الجملة خير فهما بهذا معناه ۞ واما سبب كونها خيرا ومترجحة على العمل فلا يفهمه الا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ اثر الطريق في الايصال الى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الارجح بالاضافة الى المقصود فمن قال الخبز خير من الفاكهة فانه يعني به انه خير بالاضافة الى مقصود القوت والاغتذاء ولا يفهم ذلك الا من فهم ان للغذاء مقصدا وهو الصحة والبقاء وان الاغذية مختلفة الآثار فيها وفهم اثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض فالطاعات غذاء القلوب والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تعالى فالمقصد لذة السعادة بلقاء الله فقط ولن يتنعم بلقاء الله الا من مات محبا لله عارفا بالله ولن يحبه الا من عرفه ولن يانس بربه الا من طال ذكره له فالانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الا اذا فرغ من شواغل الدنيا ولن يتفرغ من شواغلها الا اذا انقطع عنه شهواتها حتى يصير مائلا الى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له وانما يميل الى الخيرات والطاعات اذا علم ان سعادته في الآخرة منوطة بها كما يميل العاقل الى الفصد والحجامة لعلمه ان سلامته فيهما واذا حصل اصل الميل بالمعرفة فانما يقوى العمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه فان المواظبة على مقتضى صفات القلب وارادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترشح

وينعم في الآخرة وسبب النعيم

الصفة وتقوى بسببها فالمائل الى طلب العلم او طلب الرياسة لا يكون ميله في الابتدا
الا ضعيفا فان اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والاعمال المطلوبة
لذلك تاكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله
وانكسر وربما زال وانمحق بل الذي ينظر الى وجه حسن مثلا فيميل طبعه اليه ميلا ضعيفا
لو اتبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمجاورة تاكد
ميله حتى يخرج امره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتدا
وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذا عن صفة الميل ويكون ذلك
زجرا ودفعا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه او ينقمع وينمحي وهكذا جميع الصفات
والخيرات والطاعات كلها حتى التي يراد بها الاخرة والشرور كلها هي التي يراد
بها الدنيا للدنيا لا للاخرة وميل النفس الى الخيرات الاخروية وانصرافها عن الدنيوية
هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتاكد ذلك الا بالمواظبة على اعمال الطاعات
وترك المعاصي بالجوارح لان بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى انه يتاثر كل واحد
منهما بالآخر فترى العضو اذا اصابته جراحة تألم بها القلب وترى القلب اذا تألم
بعلمه بموت عزيز من اعزته او بهجوم امر مخوف تاثرت به الاعضا وارتعدت الفرايص
وتغير اللون الا ان القلب هو الاصل المتبوع وكانه الامير والراعي والجوارح
كالخدم والرعايا والاتباع فالجوارح خادمة للقلب بتاكيد صفاتها فيه
فالقلب هو المقصود والاعضا آلات موصلة الى المقصود ولذلك قال

14

النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجسد لمضغة اذا صلحت صلح لها ساير الجسد
وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اصلح الراعي والرعية واراد بالراعي القلب وقال تعالى
لن ينال الله لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى منكم وهو صفة القلب
فمن هذا الوجه يجب لا محالة ان تكون اعمال القلب على الجملة افضل من حركات الجوارح
ثم يجب ان تكون النية من جملتها افضل لانها عبارة عن ميل القلب الى الخير وارادته له
وغرضنا من الاعمال بالجوارح ان نعود القلب ارادة الخير ونوكد فيه الميل اليه
ليفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة
الى الغرض لانه متمكن من نفس المقصود وهذا كما ان المعدة
اذا تألمت فقد تداوى بان يوضع الطلا على الصدر وتداوى بالشرب والدوا الواصل الى المعدة
فالشرب خير من طلا الصدر لان طلا الصدر ايضا انما اريد به ان يسري منه الاثر الى المعدة
فما يلاقي عين المعدة خير وانفع فهكذا ينبغي ان تفهم تاثير الطاعات كلها اذ المطلوب
منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظنن ان في وضع
الجبهة على الارض غرضا من حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه بحكم
العادة يوكد صفة التواضع في القلب فان من يجد في نفسه تواضعا فاذا
استعان باعضائه وصورها بصورة التواضع تاكد تواضعه ومن وجد في قلبه
رقة على يتيم فاذا مسح راسه وقبله تاكدت الرقة في قلبه ولهذا
لم يكن العمل بغير نية مفيدا اصلا لان من يمسح راس يتيم وهو غافل بقلبه

او ظان ان الله يستحق ثوابا لمن يشوش اعضائه اثر الى قلبه لتاكيد الرقة وكذلك
من يسجد غافلا وهو مشغول الهم باغراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعه على الارض
اثر الى قلبه ليتاكد به التواضع وكان وجود ذلك كعدمه وما ساوى وجوده
عدمه بالاضافة الى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نية
باطلة وهذا معناه ۞ هذا اذا فعل عن غفلة فان قصد به رياء او تعظيم شخص آخر
لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا فانه لم يؤكد الصفة المطلوب تاكيدها
بل اكد الصفة المطلوب قمعها وهي صفة الرياء التي هي من الميل الى الدنيا فهذا وجه
كون النية خيرا من العمل ۞ وبهذا ايضا تعرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة
ولم يعملها كتبت له حسنة لان هم القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى
وحب الدنيا وهي غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها تاكيدا فليس
المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا
لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وان عاق
عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم فالتقوى
ههنا اعني القلب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوما بالمدينة قد يعني القلب
شركونا في جهادنا كما تقدم ذكره لان قلوبهم في صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس
والرغبة في طلب الشهادة واعلاء كلمة الله كقلوب الخارجين في الجهاد
وانما فارقوهم بالابدان لعوائق تخص الاسباب الخارجة عن القلب وذلك غير

مطلوب الا لتاكيد هذه الصفات وبهذه المعاني تفهم جميع الاحاديث التي اوردناها
في فضيلة النية فاعرضها عليه لينكشف لك اسرارها فلا نطول بالاعادة

بيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية

اعلم ان الاعمال وان انقسمت اقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون
وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصور احصاؤه واستقصاؤه فهي
ثلاثة اقسام طاعات ومعاصي ومباحات ۞ القسم الاول المعاصي وهي لا تتغير
عن موضوعها بالنية ولا ينبغي ان يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام
انما الاعمال بالنيات فيظن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي
يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره او يطعم فقيرا من مال غيره او يبني مدرسة
او مسجدا او رباطا بالحرام وقصده الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في اخراجه
عن كونه ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع
شر آخر فان عرفه فهو معاند للشرع وان جهله فهو عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة
على كل مسلم والخيرات انما يعرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن ان يكون الشر
خيرا هيهات بل المروج لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فان القلب
اذا كان مائلا الى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفس
توسل الشيطان به الى التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل رحمه الله ما عصي
الله تعالى بمعصية اعظم من الجهل قيل يا ابا محمد هل تعرف شيئا اشد من الجهل

الاعمال كلها ثلاثة

المعصية لا تصير طاعة بالنية

اعظم ما عصي الله به الجهل واعظم ما اطيع به العلم

فالزم الجهل بالجهل وهو كما قال لأن الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم فمن يظن
بنفسه أنه عالم فكيف يتعلم وكذلك أفضل ما أطيع الله تعالى به العلم ورأس العلم
العلم بالعلم كما أن رأس الجهل الجهل بالجهل فإن من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار
اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم إلى الدنيا وذلك
هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم والمقصود أن من قصد الخير بمعصية عن جهل
هو غير معذور إلا إذا كان قريب العهد بالإسلام ولم يجد بعد مهلة التعلم
وقد قال الله سبحانه فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت
عن علمه ويقرب من بناء السلاطين المساجد والمدارس بالمال الحرام تقرب العلماء السوء المعلم المأثوم
بتعليم العلم للسفهاء والأشرار المشغولين بالفسق والفجور القاصرين هممهم على مماراة
العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا وأخذ
أموال السلاطين واليتامى والمساكين فإن هؤلاء إذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله تعالى
وانتهض كل واحد في بلده نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد
عن التقوى ويستجرئ الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله عز وجل ثم قد
ينتشر ذلك العلم إلى مثله وأمثاله ويتخذونه أيضا آلة ووسيلة في الشر
واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووباله جميعه يرجع إلى المعلم الذي علمه العلم
مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته أنواع المعاصي من أقواله وأفعاله

من مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم ويبقى آثار شره منتشرة في العالم ألف
سنة مثلا أو ألفي سنة وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه ثم العجب من جهله
حيث يقول إنما الأعمال بالنيات وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فإن استعمله هو في الفساد
فالمعصية منه لا مني وما قصدت به إلا أن يستعين به على الخير وإنما حب الرياسة والاستتباع
والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه
وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفا من قاطع طريق وأعد له خيلا وأسبابا يستعين بها على
مقصوده ويقول إنما أردت البذل والسخاء والتخلق بالأخلاق الجميلة وقصدت به أن
يغزو بهذا السيف والفرس في سبيل الله تعالى فإن إعداد الخيل والقوة للغزاة من أفضل
القربات فإن هو صرفه إلى قطع الطريق فهو العاصي وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك حرام
مع أن السخاء هو أحب الأخلاق إلى الله تعالى حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله تعالى
ثلثمائة خلق من تقرب إليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء
فليت شعري لم حرم هذا السخاء ولم وجب عليه أن ينظر إلى قرينة الحال فهذا الظالم
إذا لاح له من عادته أنه يستعين بالسلاح على الشر ينبغي أن يسعى في سلب سلاحه لا أن
يمده ويعينه والعلم سلاح يقاتل به الشيطان وأعداء الله وقد يعاون به أعداء الله
وهو الذي لم يزل مؤثرا للدنيا على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة
فضله وكيف يجوز إمداده بنوع علم يتمكن به من الوصول إلى شهواته بل لم يزل
بترك اكرام المقصر في نقل علماء السلف رحمهم الله يتفقدون أحوال من يتردد إليهم فلو رأوا منه

تقصيرا في نفل من النوافل انكروه وتركوا اكرامه واذا راوا منه فجورا او استحلال الحرام
هجروه ونفوه عن مجالسهم فضلا عن تعليمه لعلمهم بان من تعلم مسئلة ولم
يعمل بها وجاوزها الى غيرها فليس يطلب الا آلة الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر
العليم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل ○ حكي عن بعض اصحاب احمد بن حنبل رحمه الله
انه كان يتردد اليه سنين ثم اتفق ان اعرض عنه احمد وهجره وصار لا يكلمه
فلم يزل يسأله عن تغيره وهو لا يذكره حتى قال بلغني انك طينت حائط دارك من جانب الشارع
فقد اخذت قدر سمك الطين وهو انملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم ○
فهكذا كانت مراقبة السلف لاحوال طلاب العلم وهذا وامثاله مما
يلتبس على الاغبياء واتباع الشيطان وان كانوا ارباب الطيالسة والاكمام
الواسعة واصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكثير اعني الفضل من العلوم
التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الآخرة والدعاء اليها بل
هي العلوم التي تتعلق بالخلق ويتوصل بها الى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم
على الاقران فاذن قوله عليه السلام الاعمال بالنيات يختص من الاقسام الثلثة
بالطاعات والمباحات دون المعاصي اذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد
ويكون طاعة بالقصد والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد
فاما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد اصلا نعم للنية دخل فيها وهو
انه اذا انضاف اليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها

العلوم المذمومة

الاعمال بالنيات اي الطاعات المباحات دون المعاصي

كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة ○ القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات
في الاصل وفي الصحة وفي تضاعف فضلها اما الاصل فهو ان ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير
فان نوى الريا صارت معصية واما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة
فان الطاعة الواحدة يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب
اذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر امثالها كما ورد به الخبر
ومثاله القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن ان ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير
من فضائل اعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين اولها ان يعتقد انه بيت الله
وان داخله زائر الله فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره ○
وثانيها ان ينتظر الصلوة بعد الصلوة فيكون في جملة انتظاره في الصلوة وهو معنى
قوله تعالى ورابطوا ○ وثالثها الترهب بكف السمع والبصر والاعضاء عن الحركات
والترددات فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رهبانية امتي القعود في المساجد ○ ورابعها
عكوف الهم على الله ولزوم السر للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة
عنه بالاعتزال الى المسجد ○ وخامسها التجرد لذكر الله تعالى او لاستماع
ذكره او للتذكير به كما روي في الخبر من غدا الى المسجد ليذكر الله تعالى او يذكر
به كان كالمجاهد في سبيل الله ○ وسادسها ان يقصد افادة علم بامر بمعروف

وينهى عن منكر إذ المسجد لا يخلو عمن يسيء صلاته أو يتعاطى ما لا يحل له فيأمره بالمعروف
ويرشده إلى الدين فيكون شريكا معه في خيره الذي يعلم منه فتتضاعف خيراته
وسابعها أن يستفيد أخا في الله تعالى فإن ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة
والمسجد معشش أهل الدين المحبين لله وفي الله وثامنها أن يترك الذنوب حياء
من الله تعالى وحذرا من أن يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة وقد قال الحسن بن علي
رضي الله عنهما من أدمن الاختلاف إلى المسجد رزقه الله تعالى إحدى سبع خصال
أخا مستفادا في الله تعالى أو رحمة مستنزلة أو علما مستطرفا أو كلمة تدله
على هدى أو تصرفه عن ردى أو يترك الذنوب خشية أو حياء فهذا طريق تكثير
النيات وقس به سائر الطاعات والمباحات إذ ما من طاعة إلا وتحتمل
نيات كثيرة وإنما تحضر في قلب العبد بقدر جده في طلب الخير وتشمره له وتفكره
فيه فبهذا تزكو الأعمال وتتضاعف الحسنات

القسم الثالث المباحات

وما من شيء من المباحات إلا ويحتمل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات
وينال به معالي الدرجات فما أعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم
المهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغي أن يستحقر العبد الخطرات والخطوات
واللحظات فكل ذلك يسأل عنه في القيامة أنه لم فعله وما الذي قصد به
هذا في مباح محض لا تشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حلالها حساب
وحرامها عذاب وفي حديث معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن العبد

ليسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطين بأصبعه وعن
لمسه ثوب أخيه وفي خبر آخر من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك
ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة فاستعمال الطيب مباح
ولكن لا بد فيه من نية فإن قلت فما الذي يمكن أن ينوي بالطيب وهو حظ من
حظوظ النفس وكيف يتطيب لله فاعلم أن من يتطيب مثلا يوم الجمعة
وفي سائر الأوقات يتصور أن يقصد التنعم بلذات الدنيا أو يقصد به إظهار
التفاخر بكثرة المال ليحسده الأقران أو يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه
في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة أو ليتودد به إلى قلوب النساء الأجنبيات
إذا كان مستحلا للنظر إليهن ولأمور أخر لا تحصى وكل هذا يجعل التطيب
معصية فبذلك يكون أنتن من الجيفة في القيامة إلا القصد الأول وهو التلذذ
والتنعم فإن ذلك ليس بمعصية إلا أنه يسأل عنه ومن نوقش الحساب عذب
ومن أوتي شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص من نعيم
الآخرة له بقدره وناهيك خسرانا بأن يستعجل ما يفنى ويخسر زيادة نعيم لا يفنى
وأما النيات الحسنة فأن ينوي به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة
وينوي بذلك أيضا تعظيم المسجد واحترام بيت الله تعالى فلا يرى أن يدخله
زائر الله إلا طيب الرائحة وأن يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد
عند مجاورته بروائحه وأن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه

أقل ما يسأل العبد عنه يوم القيامة الكحل في عينه والطيب [illegible]

التي تؤدي الى الذات الطيبة وان يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين اذا اغتابوه

وتعرض الغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في المعصية

بالروائح الكريهة فيغضبون الله بسببه ثم يعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز
منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم

وقال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم
اشارة الى ان التسبب الى الشر شر ، وان يقصد به معالجة دماغه
لتزيد فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر فقد قال
الشافعي رحمه الله من طاب ريحه زاد عقله ، فهذا وامثاله من النيات لا
تعجز الفقيه عنها اذا كان تجارة الآخرة وطلب الخير غالبا على قلبه واذا لم يغلب
على قلبه الا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات وان ذكرت له لم ينبعث لها قلبه
ولا يكون معه منها الا حديث النفس وليس ذلك من النية في شيء وفي المباحات
كثيرة ولا يمكن احصاء النيات فيها فقس بهذا الواحد ما عداه ،
ولهذا قال بعض العارفين من السلف اني لاستحب ان يكون لي في كل شيء نية
حتى في اكلي وشربي ونومي ودخولي الخلا وكل ذلك مما يمكن ان يقصد به
التقرب الى الله تعالى لان كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن
هو معين على الدين فمن قصده من الاكل التقوي على العبادة ومن الوقاع
تحصين دينه وتطييب قلب اهله والتوصل به الى ولد يعبد الله عز وجل

نقل ان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان مطيعا باكله ونكاحه واغلب حظوظ النفس
الاكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه حب الآخرة ،
وكذلك ينبغي ان يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله واذا بلغه اغتياب غيره
له فليطيب قلبه بانه سيحمل سيئاته وسينقل الى ديوانه حسناته ولينو ذلك بسكوته
عن الجواب ففي الخبر ان العبد ليحاسب فتبطل اعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار
ثم ينشر له من الاعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول يا رب هذه اعمال
ما عملتها قط فيقال هذه اعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك ، وفي الخبر ان العبد
ليوافي القيامة بحسنات امثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة ثم ياتي وقد ظلم هذا
وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة
فتقول الملائكة قد فنيت حسناته فبقي طالبون فيقول الله تعالى القوا عليه
من سيئاتهم ثم صكوا له صكا الى النار ، وبالجملة فاياك اياك ان تستحقر
شيئا من حركاتك فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد جوابها يوم تسأل عنها
السؤال والحساب فان الله تعالى مطلع عليك وشهيد وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
وقد قال بعض السلف كتبت كتابا واردت ان اتربه من حائط جاري فتحرجت ثم
قلت تراب وما تراب فاتربته فهتف بي هاتف سيعلم المستخف بتراب ما يلقى غدا
من سوء الحساب ، وصلى رجل مع الثوري فرآه مقلوب الثوب فعرفه فمد يده
ليصلحه ثم قبضها فلم يسوه فسأله عن ذلك فقال اني لبسته لله عز وجل

ولا يريد أن أشوبه لغير الله ❊ وقد قال الحسن إن الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول
بيني وبينك الله فيقول والله ما أعرفك فيقول بلى أنت أخذت لبنة من حائطي وأخذت خيطا من ثوبي ❊
فهذا وأمثاله من الأخبار قطع قلوب الخائفين فإن كنت من أولي الحزم والنهى ولم تكن من المغترين
فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب على نفسك قبل أن يدقق عليك وراقب أحوالك ولا تسكن
ولا تتحرك ما لم تتأمل أولا أنك لم تتحرك وماذا تقصد وما الذي تناله من الدنيا وما الذي يفوتك
به من الآخرة وبماذا ترجح الدنيا على الآخرة فإذا علمت أنه لا باعث إلا الدين فامض عزمك
وما خطر ببالك وإلا فأمسك ثم راقب أيضا قلبك في إمساكك وامتناعك
فإن ترك الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة فلا ينبغي أن يكون لداعي هوى خفي لا يطلع
عليه ولا تغرنك ظواهر الأمور ومشهورات الخيرات وافطن للأغوار والأسرار
تخرج من حيز أهل الاغترار ❊ فقد روي عن زكريا عليه السلام أنه كان (كريا كان أجير قوم)
يعمل في حائط بالطين وكان أجيرا لقوم فقدموا له رغيفه إذ كان لا يأكل إلا
من كسب يده فدخل عليه قوم فلم يدعهم إلى الطعام حتى فرغ فعجبوا منه لما علموا من
سخائه وزهده وظنوا أن الخير في طلب المساعدة في الطعام فقال إني أعمل لقوم بالأجرة
وقدموا إلي الرغيف لأتقوى به على عملهم فلو أكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني
وضعفت عن عملهم ❊ فالبصير هكذا ينظر إلى البواطن بنور الله عز وجل
فإن ضعفه عن العمل نقص في فرض وترك الدعوة إلى الطعام نقص في فضل ولا حكم
للفضائل مع الفرائض ❊ وقال بعضهم دخلت على سفيان وهو يأكل

فما كلمني حتى لعق أصابعه وقال لولا أني أخذته بدين لأحببت أن تأكل منه ❊
وقال سفيان من دعا رجلا إلى طعامه وليس له رغبة في أن يأكل فإن أجابه فأكل فعليه
وزران وإن لم يأكل فعليه وزر واحد ❊ وأراد بأحد الوزرين النفاق وبالثاني
تعريضه أخاه لما يكره لو علمه فهكذا ينبغي أن يتفقد العبد نيته في
سائر الأعمال فلا يقدم ولا يحجم إلا بنية فإن لم تحضره النية توقف فإن النية
لا تدخل تحت الاختيار ❊

بيان أن النية غير داخلة تحت الاختيار

اعلم أن الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع
قوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات فيقول في نفسه عند تدريسه
أو تجارته أو أكله نويت أن أدرس لله أو أتجر لله أو آكل لله ويظن أن
ذلك نية وهيهات فذلك حديث نفس أو حديث لسان أو فكر أو انتقال من خاطر
إلى خاطر والنية بمعزل عن جميع ذلك وإنما النية انبعاث النفس وتوجهها (صورة النية)
وميلها إلى ما ظهر لها أن فيه غرضها إما عاجلا وإما آجلا والميل إذا لم يكن
لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الإرادة بل ذلك كقول الشبعان نويت أن
أشتهي الطعام وأميل إليه أو قول الفارغ نويت أن أعشق فلانا وأحبه
وأعظمه بقلبي فذلك محال بل لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى الشيء وميله
إليه وتوجهه نحوه إلا باكتساب أسبابه وذلك مما قد يقدر عليه

وقد لا يقدر عليه وإنما تنبعث النفس إلى الفعل إجابة للغرض الباعث الموافق
للنفس الملائم لها وما لم يعتقد الإنسان أن غرضه منوط بفعل من الأفعال
فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين وإذا اعتقد
فإنما يتوجه القلب إذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل أقوى منه وذلك
لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها أسباب كثيرة بها تجتمع
ويختلف ذلك بالأشخاص وبالأحوال وبالأعمال فإذا غلبت شهوة النكاح مثلا
ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد دينا ودنيا لا يمكنه أن يواقع على نية الولد بل
لا يمكن إلا على نية قضاء الشهوة إذ النية هي إجابة الباعث ولا باعث إلا الشهوة النية هي إجابة الباعث
فكيف ينوي الولد وإذا لم يغلب على قلبه أن إقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يعظم فضله لا يمكن أن ينوي بالنكاح اتباع السنة إلا أن يقول
ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث نفس محض ليس بنية ⊙ نعم طريق اكتساب هذه النية
مثلا أن يقوي أولا إيمانه بالشرع ويقوي إيمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير
أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤونة
وطول التعب وغيره فإذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة إلى تحصيل
الولد للثواب فيحركه تلك الرغبة ويحرك أعضاءه لمباشرة العقد فإذا
انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث
الغالب على القلب كان ناويا فإن لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه

وترديده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف
من جملة من الطاعات إذ لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرنا فيه نية
حتى إن ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن وقال ليس تحضرني نية ⊙ ونادى بعضهم
امرأته وكان يسرح لحيته أن هات المدرى فقالت أجيء بالمرآة فسكت ساعة
ثم قال نعم فقيل له في ذلك فقال كان لي في المدرى نية ولم تحضرني في المرآة نية
فتوقفت حتى هيأها الله عز وجل ⊙ ومات حماد بن أبي سليمان وكان أحد علماء أهل الكوفة
فقيل للثوري ألا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لفعلت ⊙ وكان أحدهم إذا سئل عملا
من أعمال البر قال إن رزقني الله تعالى نية فعلت ⊙ وكان طاوس لا يحدث إلا بنية
وكان يسأل أن يحدث فلا يحدث ولا يسأل فيبتدئ فقيل له في ذلك فقال أفتحبون
أن أحدث بغير نية إذا حضرتني نية فعلت ⊙ وحكي أن داود بن المحبر
لما صنف كتاب العقل جاءه أحمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه أحمد صفحا فرده
فقال مالك قال فيه أسانيد ضعاف فقال له داود أنا لم أخرجه على الأسانيد
فانظر فيه بعين الخبر إنما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت قال فرده علي حتى أنظر فيه
بالعين التي نظرت فأخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به ⊙
وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى أجد له نية ⊙ وقال بعضهم أنا في طلب نية لعيادة
رجل منذ شهر فما صحت لي بعد ⊙ وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون
ابن مهران فلما انتهى إلى باب داره انصرفت فقال له ابنه ألا تعرض عليه العشا

قال لبشر بن يحيى وهذا لان النيه تتبع النظر فاذا تغير النظر تغيرت النيه
وكانوا لا يرون ان يعملوا عملاً الا بالنيه لعلمهم بان النيه روح العمل وان العمل بغير
نيه صادقه ريا وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا ان النيه ليس هي
قول القايل بلسانه نويت بل هو انبعاث القلب يجرى مجرى الفتوح من الله تعالى فقد
تيسر في بعض الاوقات وقد تتعذر في بعضها نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين
تيسر عليه في اكثر الاحوال احضار النيه للخيرات فان قلبه مايل بالجمله
الى اصل الخير فينبعث الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه
لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في الفرايض الا بجهد جهيد وغايته ان يتذكر النار
ويحذر نفسه عقابها او نعيم الجنه ويرغب نفسه فيها فربما تنبعث له
داعيه ضعيفه فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته ۞ واما الطاعه
على نيه اجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعه والعبوديه فلا تتيسر للراغب في الدنيا
وهذه اعز النيات واعلاها ويعز من يفهمها فضلاً عمن يتعاطاها ونيات الناس
في الطاعات اقسام اذ منهم من يكون عمله اجابه لباعث الخوف فانه يتقي النار
ومنهم من يعمل اجابه لباعث الرجا وهو الرغبه في الجنه وهذا وان كان نازلا
بالاضافه الى قصد طاعه الله وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لامر سواه
فهو من جمله النيات الصحيحه لانه ميل الى الموعود في الاخره وان كان من جنس
المالوفات في الدنيا واغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضايه

ليس النيه قول القايل بقلبه نويت

لا تعذر نيه الصلوه يحذر النفس النار او يرغبها الجنه

اعز النيات واعلاها

الجنه فالعامل لاجر الجنه عامل لبطنه وفرجه كالاجير السوء
ودرجته درجه البله وانه لينالها بعمله اذ اكثر اهل الجنه البله
واما عباده ذوى الالباب فلا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجماله
وجلاله وساير الاعمال تكون موكدات وروادف وهو الارفع درجه
من الالتفات الى المنكوح والمطعوم في الجنه فانهم لم يقصدوها بل هم الذين
يدعون ربهم بالغداه والعشي يريدون وجهه فقط وثواب الناس بقدر نياتهم
فلا جرم يتنعمون بالنظر الى وجهه الكريم ويسخرون ممن يلتفت الى وجه الحور العين
كما يسخر المتنعم بالنظر الى الحور العين ممن يتنعم بالنظر الى وجه الصوره المصنوعه
من الطين بل اشد فان التفاوت بين جمال الحضره الربوبيه وجمال الحور العين
اشد واعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين والصوره المصنوعه
من الطين بل استعظام النفوس البهيميه الشهوانيه لقضا الوطر من مخالطه
من مخالطه الحسان واعراضها عن جمال وجه الله الكريم يضاهي
استعظام الخنفسا لصاحبتها والفها لها واعراضها عن النظر الى جمال
وجوه النسا فعمى اكثر القلوب عن ابصار جمال الله وجلاله يضاهي
عمى الخنفسا عن ادراك جمال النسا فانها لا تشعر به اصلا ولا تلتفت اليه
ولو كان لها عقل وذكرن لها لاستحسنت عقل من يلتفت اليهن ولا يزالون
مختلفين كل حزب بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم ۞

العامل لاجر الجنه عامل لبطنه وفرجه وهو ما اكثر اهل الجنه البله

عباده ذوى الالباب

حكي أن أحمد بن خضرويه رأى ربه تعالى في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني إلا أبو يزيد فإنه يطلبني ه ورأى أبو يزيد ربه في المنام فقال يا رب كيف الطريق إليك قال اترك نفسك وتعال ه ورئي الشبلي بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني على الدعاوى بالبرهان إلا على قول واحد قلت يوما أي خسارة أعظم من خسران الجنة فقال أي خسارة أعظم من خسران لقائي ه والغرض أن هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحد منها ربما لم يتيسر له العدول إلى غيرها ومعرفة هذه الحقائق تورث أعمالا وأفعالا لا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء فإنا نقول من حضرت له نية في مباح ولم تحضره في فضيلة فالمباح أولى وانتقلت الفضيلة إليه وصارت الفضيلة في حقه نقيصة لأن الأعمال بالنيات وذلك مثل العفو فإنه أفضل من الانتصار في الظلم وربما تحضره نية في الانتصار دون العفو فيكون ذلك أفضل ومثل أن يكون له نية في الأكل والشرب والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادة في المستقبل وليس تنبعث نيته في الحال للصوم والصلاة فالأكل والنوم هو الأفضل له بل لو مل العبادة لمواظبته وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم أنه لو ترفه ساعة بلهو وحديث عاد نشاطه فاللهو أفضل له من الصلاة قال أبو الدرداء إني لأستجم نفسي بشيء من اللهو فيكون ذلك عونا لي على الحق ه وقال علي كرم الله وجهه روحوا القلوب فإنها إذا أكرهت عميت وهذه دقائق لا يدركها إلا سماسرة العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذق بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر

[هامش: لأن له فيه نية أفضل وإلا فالأكثر بلا نية]

[هامش: استجمام الرفاهة والراحة]

في الطب وإنما يبغي أن يعيد أولا قوته ليحتمل المعالجة بالضد والحاذق في لعب الشطرنج مثلا قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل بذلك إلى الغلبة والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه ه وكذلك الخبير بالقتال قد يفر بين يدي قرنه ويوليه دبره حيلة منه ليستجره إلى مضيق فيكر عليه فيقهره ه فكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق فيها على لطائف من الحيل يستبعدها الضعفاء ولا ينبغي للمريد أن يضمر إنكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم أن يعترض على أستاذه بل ينبغي أن يقف عند حد بصيرته وما لا يفهمه من أحوالهما يسلمه لهما إلى أن ينكشف له أسرار ذلك بأن يبلغ رتبتهما وينال درجتهما ه

الباب الثاني

في الإخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته

فضيلة الإخلاص قال الله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ه وقال ألا لله الدين الخالص ه وقال تعالى إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله ه وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا نزلت فيمن يعمل لله ويحب أن يحمد عليه ه وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم إخلاص العمل لله ه

وعن مصعب بن سعد عن ابيه قال ظن ان له فضلا على من دونه من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما نصر الله عز وجل هذه الامة بضعفايها
ودعوتهم واخلاصهم وصلواتهم ❊ وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الله تعالى الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احببت من عبادي ❊
وقال علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل اخلص العمل يجزك منه القليل ❊ وقال عليه السلم
ما من عبد يخلص لله عز وجل العمل اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه
على لسانه ❊ وقال عليه السلم اول من يسال يوم القيمة ثلاثة رجل آتاه الله تعالى
العلم فيقول الله عز وجل ما ذا صنعت فيما علمت فيقول يا رب كنت اقوم به آناء الليل واطراف
النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملايكة كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم
الا فقد قيل ذلك ورجل آتاه الله مالا فيقول الله تعالى لقد انعمت عليك
فما ذا صنعت فيقول يا رب كنت اتصدق آناء الليل والنهار فيقول الله كذبت وتقول الملايكة
كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد الا فقد قيل ذلك ❊ ورجل قتل في سبيل الله
فيقول الله تعالى ما ذا صنعت فيقول يا رب امرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله
كذبت وتقول الملايكة كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع الا فقد قيل ذلك
قال ابو هريرة ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي وقال يا ابا هريرة
اولئك اول خلق الله تسعر بهم نار جهنم يوم القيمة ❊ فدخل راوي هذا الحديث على معوية رضي الله عنه

وروى له ذلك وبكى حتى كاد نفسه تزهق ثم قال صدق الله اذ قال من كان يريد الحيوة
الدنيا وزينتها ❊ وفي الاسرائيليات ان عابدا كان يعبد الله دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا
ان هاهنا قوما يعبدون شجرة من دون الله عز وجل فغضب لذلك واخذ فاسه
على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال اين تريد
رحمك الله قال اريد ان اقطع هذه الشجرة قال وما انت وذاك تركت عبادتك واشتغالك
بنفسك وتفرغت لغير ذلك قال فان هذا من عبادتي قال فاني لا اتركك ان تقطعها
فقاتله فاخذه العابد وطرحه الى الارض وقعد على صدره فقال له ابليس اطلقني حتى
اكلمك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله تعالى قد اسقط عنك هذا
ولم يفرضه عليك وما تعبدها انت وما عليك من غيرك ولله تعالى انبياء في الارض ولو شاء
لبعثهم الى اهلها وامرهم بقطعها فقال العابد لا بد لي من قطعها فنابذه القتال
فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز ابليس فقال له هل لك في امر فصل
بيني وبينك وهو خير لك وانفع قال وما هو قال اطلقني حتى اقوله لك فاطلقه فقال ابليس
انت رجل فقير لا شي لك انما انت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب ان تتفضل على
اخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستغني عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا
الامر ولك علي ان اجعل عند راسك في كل ليلة دينارين اذا اصبحت اخذتهما
فانفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك انفع لك وللمسلمين
من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع

اخوانك المومنين وقطعك اياها فتفكر العابد فيما قال ثم قال صدق الشيخ لست بنبي
فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا امرني الله ان اقطعها فاكون عاصيا بتركها وما ذكره
اكثر منفعة فعاهده على الوفا بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده
فبات فلما اصبح راى دينارين عند راسه فاخذهما وكذلك الغد ثم اصبح
اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيا فغضب واخذ فاسه على عاتقه فاستقبله ابليس
في صورة شيخ فقال الى اين فقال اقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما انت بقادر على ذلك
ولا سبيل لك اليها قال فتناوله العابد ليفعل به كما فعل اول مرة فقال هيهات فاخذه
ابليس وصرعه فاذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد ابليس على صدره وقال لتنتهين
عن هذا الامر او لاذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به فقال يا هذا غلبتني فخل عني
واخبرني كيف غلبتك اولا وغلبتني الان فقال لانك غضبت اول مرة لله وكانت
نيتك الاخرة فسخرني الله لك وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك
وهذه الحكاية تصديق قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين اذ لا يتخلص العبد
من الشيطان الا بالاخلاص ولذلك كان معروف الكرخي رحمه الله يضرب نفسه
ويقول يا نفس اخلصي تتخلصي وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته
كما يكتم سيئاته وقال ابو سليمان طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها
الا الله تعالى وكتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري من خلصت نيته كفاه
الله تعالى ما بينه وبين الناس وكتب بعض الاوليا الى اخ له اخلص النية

المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سياته

في اعمالك يكفك القليل من العمل وقال ايوب السختياني تخليص النيات على العمال
اشد عليهم من جميع الاعمال وكان مطرف يقول من صفى صفي له ومن خلط
خلط له ورئي بعضهم في المنام فقيل له كيف وجدت اعمالك فقال
كل شي عملته لله وجدته حتى حبة رمان لقطتها من طريق وحتى هرة لنا ماتت
رايتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرايته في كفة
السيئات وكان قد نفق حمار لي قيمته مائة دينار فما رايت له ثوابا فقلت
موت سنور في الحسنات وموت حمار ليس فيها فقيل لي انه قد وجه حيث بعثت
به فانه لما قيل لك قد مات قلت في لعنة الله فبطل اجرك ولو قلت في سبيل الله لوجدته
في حسناتك وفي رواية قال وكنت قد تصدقت بصدقة بين الناس فاعجبني نظرهم
الي فوجدت ذلك لا علي ولا لي قال سفيان لما سمع هذا ما احسن حاله اذ
لم يكن عليه فقد احسن اليه وقال يحيى بن معاذ الاخلاص تمييز العمل من العيوب
كتمييز اللبن من الفرث والدم وقيل كان رجل يخرج في زي النسا ويحضر كل
موضع يجتمع فيه النسا من عرس او ماتم فاتفق ان حضر يوما موضعا فيه مجمع
للنسا فسرقت درة فصاحوا ان اغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون
واحدة واحدة حتى بلغت النوبة الى الرجل والى امراة معه فدعا الله تعالى بالاخلاص
وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا اعود الى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك
المراة فصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدت الدرة

وقال بعض الصوفية كنت نائما على أبي عبيد البسري وهو يحرث أرضه بعد العصر يوم عرفة فمر به بعض إخوانه من الأبدال فساره بشيء فقال أبو عبيد لا فمر كالسحاب يمسح الأرض حتى غاب عن عيني فقلت لأبي عبيد ما قال لك فقال سألني أن أحج معه فقلت لا فقلت فهلا فعلت قال ليس لي في الحج نية وقد نويت أن أتمم هذه الأرض العشية

عمل الطاعة لغير الله تعرض لمقت الله

فأخاف إن حججت معه لأجله أتعرض لمقت الله تعالى لأني أدخل في عمل الله تعالى شيئا غيره فيكون ما أنا فيه أعظم عند الله من سبعين حجة ويروى عن بعضهم قال غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت أشتريها فأنتفع بها في غزوي فإذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها فرأيت تلك الليلة في النوم كأن شخصين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه اكتب الغزاة فأملى عليه فقال اكتب خرج فلان متنزها وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله ثم نظر إلي وقال اكتب خرج فلان تاجرا فقلت الله الله في أمري ما خرجت أتجر ولا معي تجارة أتجر فيها ما خرجت إلا للغزو فقال لي يا شيخ قد اشتريت أمس مخلاة تريد أن تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبوني تاجرا فنظر إلى صاحبه وقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا إلا أنه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه ما يرى وقال سري السقطي لأن تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من أن تكتب سبعين حديثا أو سبعمائة بعلو وقال بعضهم في إخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن الإخلاص عزيز

يبغض الله الأعمال الصالحة بلا إخلاص والحكمة بلا صدق

وقيل العلم بذر والعمل زرع وماؤه الإخلاص وقال بعضهم إذا أبغض الله عبدا أعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا أعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم وأعطاه الأعمال الصالحة ومنعه الإخلاص فيها وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها وقال السوسي مراد الله من عمل الخلق الإخلاص فقط وقال الجنيد إن لله عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا أخلصوا فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع

أصل الكل الإخلاص والرضا

وقال محمد بن سعيد المروزي الأمر كله يرجع إلى أصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى ما فعل وتخلص فيما تعمل فإذا أنت قد سعدت بهذين وفزت في الدارين

بيان حقيقة الإخلاص

اعلم أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمي خالصا ويسمى الفعل المصفى المخلص إخلاصا قال الله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين وإنما خلوص اللبن أن لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمتزج به والإخلاص يضاده الإشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك إلا أن للشرك درجات فالإخلاص في التوحيد يضاده التشريك في الإلهية والشرك منه خفي ومنه جلي وكذا الإخلاص والإخلاص وضده يتواردان على القلب فمحله القلب وإنما يكون ذلك في القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وأنها ترجع إلى إجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على التجرد سمي الفعل الصادر عنه إخلاصا بالإضافة إلى المنوي فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو مخلص ومن كان غرضه

محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص
بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى عن جميع الشوائب كما ان الالحاد عبارة
عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو معرض الالحاد
للهلاك ولسنا نتكلم فيه اذ ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات
واقل اموره ما ورد في الخبر من ان المرائي يدعى في القيمة باربعة اسامي يا مرائي يا
مخادع يا مشرك يا كافر وانما نتكلم الان فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن امتزج
بهذا الباعث باعث آخر اما من الرياء او من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك
ان يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب او يعتق عبدا
ليتخلص من مؤونته وسوء خلقه او يحج ليصح مزاجه بحركة السفر او ليتخلص من شر
يعرض له في بلده او ليهرب عن عدو له في منزله او يتبرم باهله وولده او بشغل هو فيه
فاراد ان يستريح عنه اياما او ليغزو ليمارس الحرب ويتعلم اسبابه
ويقدر به على تهيئة العساكر وجرها او يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه
به ليراقب رحله او اهله او يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه
من المال او ليكون عزيزا بين العشيرة او ليكون عقاره وماله محروسا بعز العلم
عن الاطماع او اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج
بلذة الحديث او يتكفل بخدمة العلماء او الصوفية لتكون حرمته وافرة
عندهم وعند الناس او لينال به رفقا في الدنيا او كتب مصحفا ليجود

بالمواظبة على الكتبة خطه او حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكراء او توضأ
ليتنظف ويتبرد او اغتسل لتطيب رائحته .. او روى الحديث ليعرف بعلو الاسناد
او اعتكف في المسجد ليخف عليه كراء المنزل او صام ليخفف عن نفسه التردد
في طبخ الطعام او ليتفرغ لاشغاله ولا تشغله الاكل عنها او تصدق على السائل
ليقطع ابرامه في السؤال عن نفسه او يعود مريضا ليعاد اذا مرض او يشيع جنازة
ليشيع جنازة اهله او يفعل شيئا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر اليه بعين
الصلاح والوقار فمهما كان باعثه هو التقرب الى الله تعالى ولكن انضاف اليه
خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل اخف عليه بسبب هذه الامور فقد
خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن ان يكون خالصا لوجه الله تعالى وتطرق
ما يخرج به العمل عن الاخلاص الشرك اليه وقد قال تعالى انا اغنى الشركاء عن الشركة وبالجملة كل حظ من حظوظ
الدنيا تستريح اليه النفس ويميل اليه القلب قل ام كثر اذا تطرق الى العمل
تكدرت به صفوه وزال به اخلاصه والانسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته
قلما ينفك فعل من افعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ واغراض عاجلة من هذه
الاجناس ولذلك قيل من سلم له في عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله تعالى
نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي
لا باعث عليه الا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ ان كانت هي الباعثة
وحدها فلا يخفى شدة الامر على صاحبه فيها وانما نظرنا فيما اذا كان القصد

الأصلي هو التقرب وانضاف إليه هذه الأمور من هذه الشوائب إما أن يكون في رتبة
المرافقة أو في رتبة المشاركة أو في رتبة المعاونة كما سبق في هذه النية وبالجملة
فإما أن يكون الباعث النفسي مثل الباعث الديني أو أقوى منه أو أضعف ولكل واحد
حكم آخر كما سنذكره وإنما الإخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها
حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا يتصور إلا من محب
لله تعالى مستهتر به مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب
الأكل والشرب أيضا بل يكون رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من حيث إنه ضرورة
الجبلة فلا يشتهي الطعام لأنه طعام بل لأنه يقويه على عبادة الله تعالى ويتمنى
أن لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج إلى الأكل ولا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائدة
على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لأنه ضرورة دينه فلا يكون
له هم إلا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان خالص
العمل صحيح النية في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا ليريح نفسه
ليتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه
ومن ليس كذلك فباب الإخلاص في الأعمال كالمسدود عليه إلا على الندور
وكما أن من غلب عليه حب الله تعالى وحب الآخرة فاكتسبت حركاته الاعتياد
ية صفة همه وصارت إخلاصا فالذي يغلب على نفسه الدنيا والعلو
والرياسة وبالجملة غير الله تعالى فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة

في عبادته آفة يكون وبالها أكثر من ثوابها وهكذا كان الخائفون من ذوي البصائر
وهكذا ينبغي أن يكون كل ذي بصيرة ولذلك قال سفيان رحمه الله لا أعتد بما
ظهر من عملي وقال عبد العزيز بن أبي رواد جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين
حجة فما دخلت في شيء من أعمال الله تعالى إلا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان
أوفى من نصيب الله تعالى ليته لا لي ولا علي ○ ومع هذا فلا ينبغي أن يترك العمل عند خوف
الآفة والرياء فإن ذلك منتهى بغية الشيطان منه إذ المقصود أن لا يفوت الإخلاص
ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والإخلاص جميعا ○ وقد حكي أن بعض الفقراء
كان يخدم أبا سعيد الخراز ويخف في أعماله فتكلم أبو سعيد يوما في إخلاص
الحركات فأخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطالبه بالإخلاص فتعذر
عليه قضاء الحوائج واستضر الشيخ بذلك فسأله عن أمره فأخبره بمطالبة نفسه
بحقيقة الإخلاص وأنه يعجز عنها في أكثر أعماله فيتركها فقال أبو سعيد
لا تفعل إن الإخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الإخلاص
فما قلت لك اترك العمل وإنما قلت أخلص العمل ○ وقد قال الفضيل ترك العمل بسبب
الخلق رياء وفعله لأجل الخلق شرك ○

الباب الثالث

في الصدق وفضيلته وحقيقته

فضيلة الصدق ○ قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل
ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار
وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ۞ وكفى في فضيلة الصدق أن الصديق مشتق منه
والله تعالى وصف به الأنبياء في معرض المدح والثناء فقال واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان
صديقا نبيا وقال واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا وقال ابن عباس
أربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر ۞ وقال بشر الحارث من
عامل الله تعالى بالصدق استوحش من الناس ۞ وقال أبو عبد الله الرملي رأيت
منصور الدينوري في المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي ورحمني وأعطاني
ما لم آمل فقلت له أحسن ما توجه العبد به إلى الله تعالى ما ذا قال الصدق وأقبح ما
توجه به الكذب ۞ وقال أبو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك
والله تعالى غاية طلبتك ۞ وقال رجل لحكيم ما رأيت صادقا فقال لو كنت صادقا
لعرفت الصادقين ۞ وعن محمد بن علي الكتاني قال وجدنا دين الله تعالى
مبنيا على ثلاثة أركان على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح
والعدل على القلوب والصدق على العقول ۞ وقال الثوري في قوله تعالى
ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله
ولم يكونوا فيها صادقين ۞ وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود
من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته ۞

وصاح رجل في مجلس الشبلي ورمى نفسه في دجلة فقال الشبلي إن كان صادقا فالله تعالى
ينجيه كما نجى موسى عليه السلام وإن كان كاذبا فالله تعالى يغرقه كما أغرق فرعون ۞
وقال بعضهم اجتمع الفقهاء والعلماء على أربع خصال أنها إذا صحت ففيها النجاة
ولا يتم بعضها إلا ببعض الإسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى
في الأعمال وطيب المطعم ۞ وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التوراة اثنين
وعشرين حرفا كان صلحاء بني إسرائيل يجتمعون فيقرؤونها ويتدارسونها لا كنز أنفع من العلم
ولا مال أربح من الحلم ولا حسب أوضع من الغضب ولا قرين أزين من العمل
ولا رفيق أشين من الجهل ولا شرف أعز من التقوى ولا كرم أوفى من ترك الهوى
ولا عمل أفضل من الفكر ولا حسنة أعلى من الصبر ولا سيئة أخزى من الكبر
ولا دواء ألين من الرفق ولا داء أوجع من الخرق ولا رسول أعدل من الحق ولا دليل
أنصح من الصدق ولا فقر أذل من الطمع ولا غنى أشقى من الجمع ولا حياة
أطيب من الصحة ولا معيشة أهنأ من العفة ولا عبادة أحسن من الخشوع
ولا زهد خير من القنوع ولا حارس أحفظ من الصمت ولا غائب أقرب
من الموت ۞ وقال محمد بن سعيد المروزي إذا طلبت الله تعالى بالصدق أفادك الله
مرآة بيدك حتى تبصر الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين الخلق ۞
وقيل لذي النون هل للعبد إلى صلاح أموره سبيل فقال

قد بقينا مذبذبين حيارى نطلب الصدق ما إليه سبيل

فدع عاوي الهوى يخف علينا وخلاف الهوى علينا ثقيل
وقيل لسهل ما اصل هذا الامر الذي نحن عليه فقال الصدق والسخا والشجاعة فقيل زدنا
فقال التقى والحيا وطلب الغذا ﴿ وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال
فقال قول الحق والعمل بالصدق ﴿ وعن الجنيد في قوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم
قال يسال الصادقين عند انفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا امر على خطر ﴿

بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه

اعلم ان لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في النية
وصدق في الارادة وصدق في العزم وصدق في الوفا بالعزم وصدق في العمل
وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق
لانه مبالغة من الصدق ثم هم ايضا على درجات ومن كان له حظ من الصدق
في شي من الجملة فهو صادق بالاضافة الى ما فيه صدقه ﴿ الصدق الاول
صدق اللسان وذلك لا يكون الا في الاخبار او فيما يتضمن الاخبار وينبه عليه
والخبر اما ان يتعلق بالماضي او بالمستقبل وفيه يدخل الوفا بالوعد والخلف فيه
وحق على كل عبد ان يحفظ الفاظه فلا يتكلم الا بالصدق وهذا هو اشهر
انواع الصدق واظهرها فمن حفظ لسانه عن الاخبار عن الاشيا على خلاف ما هي عليه
فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان احدهما الاحتراز عن المعاريض فقد
قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك لانها تقوم مقام الكذب

اذ المحذور من الكذب تفهيم الشي على خلاف ما هو عليه في نفسه الا ان ذلك مما تمس اليه
الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال وفي تاديب الصبيان والنسوان ومن يجري
مجراهم وفي الحذر عن الظلمة وفي قتال الاعدا والاحتراز عن اطلاعهم على اسرار
الملك فمن اضطر الى شي من ذلك فصدقه فيه ان يكون نطقه فيه لله فيما يامر الحق به
ويقتضيه الدين فاذا نطق به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لان الصدق
ما اريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعا اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه
نعم في مثل هذا الموضع ينبغي ان يعدل الى المعاريض ما وجد اليه سبيلا كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توجه الى سفر ورى بغيره وذلك كي لا ينتهي الخبر الى الاعدا
فيقصد وليس هذا من الكذب في شي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح
بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا ﴿ ورخص في النطق على وفق المصلحة في ثلاثة مواضع
من اصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب ﴿ والصدق هاهنا
يتحول الى النية فلا يراعى فيه الا صدق النية وارادة الخير فمهما صح قصده
وصدقت نيته وتجردت للخير ارادته كان صادقا وصديقا كيف ما كان لفظه
ثم التعريض فيه اولى وطريقه ما حكي عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة
وهو في داره فقال لزوجته خطي باصبعك دايرة وضعي الاصبع على الدايرة وقولي
ليس هاهنا فاحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله
صدقا وافهم الظالم انه ليس في الدار فالكمال الاول في اللفظ ان يحترز عن

عن صريح اللفظ وعن المعاريض أيضا إلا عند الضرورة ، والكمال الثاني أن يراعي
معنى الصدق في ألفاظه التي يناجي بها ربه كقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض
فإن قلبه إن كان منصرفا عن الله تعالى مشغولا بأماني الدنيا وشهواته فهو كاذب
وكقوله إياك نعبد وقوله أنا عبد الله فإنه إذا لم يتصف بحقيقة العبودية
وكان له مطلب سوى الله تعالى لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيامة بالصدق
في قوله أنا عبد الله لعجز عن تحقيقه فإنه إن كان عبد النفس أو عبد الدنيا
أو عبد الشهوات لم يكن صادقا في قوله وكلما تقيد العبد به فهو عبد له
كما قال عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا ، وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار
تعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة سمي كل من تقيد قلبه بشيء
عبدا له وأما العبد الحق لله من أعتق أولا عن غير الله تعالى فصار حرا مطلقا
فإذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فحلت فيه العبودية لله
فشغله بالله وبمحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته ولا يكون له مراد إلا الله تعالى
ثم قد يجاوز هذا إلى مقام آخر أسنى منه يسمى الحرية وهو أن يعتق أيضا عن إرادته لله
من حيث هو هو بل يقنع بما يريد الله تعالى له من تقريب أو إبعاد فيفنى إرادته في إرادة
الله تعالى وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار
حرا وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه إن حركه تحرك وإن
سكنه سكن وإن ابتلاه رضي لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض بل هو

بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل وهذا منتهى الصدق في العبودية فالعبد الحق
هو الذي وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجات الصديقين وأما الحرية عن غير الله
فدرجات الصادقين وبعدها يتحقق العبودية لله تعالى وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه
أن يسمى صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق في القول ،

الصدق الثاني في النية والإرادة ويرجع ذلك إلى الإخلاص وهو أن لا يكون له باعث
في الحركات والسكنات إلا الله تعالى فإن مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق
النية وصاحبه يجوز أن يسمى كاذبا كما روينا في فضيلة الإخلاص من حديث الثلاثة
حين يسأل العالم ماذا عملت فيما علمت فقال فعلت كذا وكذا فقال الله تعالى كذبت
بل أردت أن يقال فلان عالم فإنه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكن كذبه في إرادته
ونيته وقد قال بعضهم الصدق صحة التوجه في القصد وكذلك قول الله تعالى
والله يشهد إن المنافقين لكاذبون وقد قالوا إنك لرسول الله وهذا صدق ولكن
كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرق إلى
الخبر وهذا القول يتضمن إخبارا بقرينة الحال إذ صاحبه يظهر من نفسه
أنه يعتقد ما يقوله فكذب في دلالته بقرينة الحال على ما في قلبه
فإنه كذب في ذلك ولم يكذب فيما لفظ به فيرجع أحد معاني الصدق
إلى خلوص النية وهو الإخلاص فكل صادق فلا بد وأن يكون مخلصا ،

الصدق الثالث صدق العزم فإن الإنسان قد يقدم العزم على العمل

فيقول في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره او ان لقيت عدوا في سبيل الله قاتلت
ولم ابال وان قتلت وان اعطاني الله تعالى ولاية عدلت فيها ولم اعص الله عز وجل بظلم وميل الى خلق
فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة وقد يكون في عزمه
نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة وكان الصدق ها هنا عبارة عن التمام
والقوة كما يقال لفلان شهوة صادقة ويقال هذا المريض شهوته كاذبة مهما لم تكن
شهوته عن سبب ثابت قوي او كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى
والصادق والصديق هو الذي يصادف عزيمته في الخيرات كلها قوية تامة ليس فيها
ميل ولا ضعف ولا تردد بل يسخو نفسه ابدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات
وهو كما قال عمر رضي الله عنه لان اقدم فتضرب عنقي احب الي من ان اتأمر على قوم فيهم ابو بكر
فانه قد وجد في نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة بانه لا يتأمر مع وجود
ابي بكر رضي الله عنه واكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب الصديقين في العزائم
تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي به الى ان يرضى بالقتل فيه ولكن اذا خلي ورأيه
لم يتقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه بل في الصادقين والمؤمنين من لو خير
بين ان يقتل هو او ابو بكر كانت حياته احب اليه من حياة ابي بكر الصديق رضي الله عنه
الصدق الرابع في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة
في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت
الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد

الصدق فيه ولذلك قال الله عز وجل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقد روي عن انس
ان عمه انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال
اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه اما والله لئن اراني الله مشهدا مع رسول الله
ليرين الله ما اصنع قال فشهد احدا من العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين
فقال واها لريح الجنة اني لاجدها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون
من بين رمية وضربة وطعنة فقالت اخته بنت النضر ما عرفت اخي الا ببنانه ونزلت هذه
الاية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير
وقد سقط على وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
عليه السلام رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر
وقال فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء اربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله
حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس اليه اعينهم يوم القيمة هكذا ورفع راسه حتى وقعت
قلنسوته قال الراوي فلا ادري قلنسوة عمر او قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل جيد
الايمان اذا لقي العدو فكانما يضرب وجهه بشوك الطلح اتاه سهم غاير فقتله
فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو
فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة وقال مجاهد رجلان خرجا على ملأ
من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله لنتصدقن فبخلوا به فنزلت ومنهم من عاهد الله

لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ۞ وقال بعضهم انما هو شي نووه في انفسهم
لم يتكلموا به فقال ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين
فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه
بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه
كذبا والوفا به صدقا وهذا الصدق اشد من الصدق الثالث فان النفس قد تسخو بالعزم
ثم تكع عند الوفا لشدته عليها ولهيجان الشهوات عند التمكن وحصول الاسباب ولذلك
استثنى عمر رضي الله عنه فقال لان اقدم فتضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر
اللهم الا ان تسول لي نفسي عند القتل شيا لا اجده لاني لا آمن ان يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها
اشار بذلك الى شدة الوفا بالعزم وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ملكين
نزلا من السما فقالا لي ما الصدق قلت الوفا بالعهد فقالا لي صدقت وعرجا الى السما ۞

الصدق الخامس في الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة
على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق
الظاهر وهذا خلاف ما ذكرناه من ترك الريا لان المرائي هو الذي يقصد ذلك ورب واقف
على هيئة الخشوع في صلوته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلوة
فمن ينظر اليه يراه قائما بين يدي الله تعالى وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة
من شهواته فهذه اعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب
وهو مطالب بالصدق في الاعمال وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون والوقار

وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق
ولا مرائيا اياهم ولا ينجو من هذا الا بان تستوي السريرة والعلانية بان يكون باطنه
مثل ظاهره او خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس
ثياب الاشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر
على الباطن فاذن مخالفة الظاهر للباطن ان كان عن قصد سمي ريا ويفوت به الاخلاص
وان كان عن غير قصد فيفوت به الصدق ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة ۞ وقال يزيد بن الحارث اذا استوت
سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وان كانت سريرته افضل من علانيته فذلك
الفضل وان كانت علانيته افضل من سريرته فذلك الجور ۞ وانشدوا

اذا السر والاعلان في المومن استوى ... فقد عز في الدارين واستوجب الثنا
فان خالف الاعلان سرا فما له ... على سعيه فضل سوى الكد والعنا
كما خالص الدينار في السوق نافق ... ومغشوشه المردود لا يقتضي المنى

وقال عطية بن عبد الغافر اذا وافقت سريرة المومن علانيته باهى الله به الملايكة
يقول هذا عبدي حقا ۞ وقال معوية بن قرة من يدلني على بكا بالليل بسام بالنهار ۞
وقال عبد الواحد كان الحسن اذا امر بشي كان من اعمل الناس به واذا نهى عن شي
كان من اترك الناس له ولم ار احدا قط اشبه سريرة بعلانية منه ۞
وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول الهي عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالامانة وعاملتك

فما بيني وبينك بالخيانة وتبكي ؛ وقال ابو يعقوب النهرجوري الصدق موافقة الحق
في السر والعلانية ؛ فاذن مساواة السريرة للعلانية احد انواع الصدق ؛
الصدق السادس وهو اعلى الدرجات واعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق
في الخوف والرجا والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل وساير هذه الامور
فان هذه الامور لها مبادي ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقايق والصادق
المحقق من نال حقيقتها واذا غلب الشي وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقا فيه
كما يقال فلان صدق في القتال ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة
وقال تعالى انما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون
وقال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله اولئك الذين صدقوا ؛
وسيل ابو ذر عن الايمان فقرا هذه الاية فقيل له سالناك عن الايمان فقال سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقرا هذه الاية ؛ ولنضرب الخوف مثلا فما من عبد
يومن بالله الا وهو خايف من الله تعالى خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق
اي غير بالغ درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطانا او قاطع طريق في سفره
كيف يصفر لونه وترتعد فرايصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه اكله
ونومه ويتقسم عليه فكره حتى لا ينتفع به اهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل
بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار كل ذلك
خوفا من درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شي من ذلك

عند جريان معصية عليه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لم ار مثل النار نام هاربها
ولا مثل الجنة نام طالبها ؛ فالتحقيق في هذه الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات
حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوي فاذا
قوي سمي صادقا فيه فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه لا نهاية له ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلم احب ان اراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا
ذلك قال بلى ارني فواعده البقيع في ليلة مقمرة فاتاه فنظر النبي صلى الله عليه وسلم
فاذا هو به قد سد الافق يعني جوانب السما فوقع النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا
عليه فافاق وقد عاد جبريل لصورته الاولى فقال صلى الله عليه وسلم ما ظننت ان احدا
من خلق الله هكذا قال وكيف لو رايت اسرافيل ان العرش لعلى كاهله وان رجليه
قد مرقتا تخوم الارضين السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله تعالى حتى يصير
كالوصع يعني كالعصفور الصغير ؛ فانظر ما الذي يغشاه من العظمة والهيبة
حتى يرجع الى ذلك الحد وساير الملايكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة
هذا هو الصدق في التعظيم ؛ وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مررت ليلة اسري بي وجبريل عليه السلم بالملا الاعلى كالحلس البالي من خشية الله تعالى
يعني الكسا الذي على البعير ؛ وكذلك الصحابة كانوا خايفين وما كانوا
بلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عمر رضي الله عنه لن تبلغ حقيقة
الايمان حتى تنظر الى الناس كلهم حمقى في دين الله ؛ وقال مطرف ما من الناس احد

صورة جبريل

الا وهو احمق فيما بينه وبين ربه عز وجل به الا ان بعض الحمق اهون من بعض ، وقال النبي صلى الله عليه
لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كالاباعر في جنب الله ثم يرجع الى نفسه
فيجدها احقر حقير ، فالصادق اذن في جميع هذه المقامات عزيز ثم
درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض
فان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا ، قال سعد بن معاذ ثلاثة انا فيهن قوي
وفيما سواهن ضعيف ما صليت صلوة منذ اسلمت فحدثت نفسي حتى افرغ منها
ولا شيعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها
وما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا علمت انه حق فقال ابن المسيب
ما ظننت ان هذه الخصال تجتمع الا في النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذا الصدق في هذه
الامور وكم من جلة الصحابة قد اداوا الصلوة واتبعوا الجنائز ولم يبلغوا هذا
المبلغ فهذه هي درجات الصدق ومعانيه ، والكلمات المأثورة عن المشايخ
في حقيقة الصدق في الاغلب لا تتعرض الا لآحاد هذه المعاني نعم قد قال ابو بكر الوراق
الصدق ثلاثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق
التوحيد لعامة المؤمنين قال الله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم
الصديقون وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية
الذين هم اوتاد الارض وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس
ولكنه ذكر اقسام ما فيه الصدق وهو ايضا غير محيط بجميع الاقسام ،

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه الصدق هو المجاهدة وان لا تختار على الله غيره كما لم
يختر عليك غيرك فقال تعالى هو اجتباكم ، وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام
اني اذا احببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه
فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان وجدته جزوعا يشكوني الى خلقي
خذلته ولا ابالي ، فاذن من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا
وكراهية اطلاع الخلق عليها ، آخر كتاب النية

علامات الصدق

كتاب المحاسبة والمراقبة

وهو الكتاب الثامن من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجترحت
المطلع على ضمائر القلوب اذا هجست الحسيب على خواطر عباده اذا اختلجت
الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض تحركت او سكنت المحاسب
على النقير والقطمير والقليل والكثير من الاعمال وان خفيت المتفضل بقبول
طاعات العباد وان صغرت المتطول بالعفو عن معاصيهم وان كثرت وانما
حاسبهم لتعلم كل نفس ما احضرت وتنظر فيما قدمت واخرت فتعلم انه لولا
لزومها للمراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيامة وهلكت

وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضل الله بقبول بضاعتها المزجاة
لخابت وخسرت فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت واستغرقت رحمته
الخلائق في الدنيا والآخرة وعمرت نفحات فضله اشعث القلوب للايمان وانشرحت
وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتأدبت وبحسن هدايته انجلت
عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وبتأييده ونصرته انقطعت مكايد
الشيطان واندفعت وبلطف عنايته شرح كثير الحسنات اذا انقلبت وبتيسيره
تيسرت من الطاعات ما تيسرت نحمده على العطا والكرا والابعاد والادنا والاسعاد
والاشقاء والصلوة على محمد سيد الانبيا وعلى آله السادة الاصفيا وعلى اصحابه
قادة الاتقيا ۞ اما بعد فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة
فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين
وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا
ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا
ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما
عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد وقال تعالى يومئذ
يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى يوم توفى كل نفس ما كسبت وهم
لا يظلمون وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من

سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه وقال تعالى
واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فعرف ارباب البصائر من جملة العباد
ان الله لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات
واللحظات وتحققوا انه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة
وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الانفاس والحركات ومحاسبتها في
الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف في القيمة حسابه
وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت
حسراته وطالت في عرصات القيمة وقفاته وقادته الى الخزي والمقت سيئاته
فلما انكشف لهم ذلك علموا انه لا ينجيهم منه الا طاعة الله تعالى وقد امرهم
بالصبر والمرابطة فقال يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فرابطوا
انفسهم اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم
بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم في المرابطة ستة مقامات ولا
بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الاعمال فيها واصل ذلك
المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة وتتبعه عند الخسران
المعاقبة والمعاتبة فلنذكر شرح هذه المقامات

۞ المقام الاول من المرابطة المشارطة ۞ اعلم ان مطلب المتعاملين
في التجارات المشتركين في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح

وكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو
التاجر في طريق الاخرة وانما مطلبه وربحه تزكية النفس لان بذلك فلاحها قال الله تعالى
قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة والعقل يستعين
بالنفس في هذه التجارة اذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه
وغلامه الذي يتجر في ماله وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح
فيحتاج الى ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه او يعاقبه
رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف عليها الوظايف ويشرط
عليها الشروط ويرشدها الى طرق الفلاح ويجزم عليها الامر بسلوك تلك الطرق
ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو اهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع
راس المال كالعبد الخاين اذا خلا له الجو وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي ان
يحاسبها ويطالبها بالوفا بما شرط عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس
الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبيا والشهدا فتدقيق الحساب في هذا مع
النفس اهم كثيرا من تدقيقه في ارباح الدنيا مع انها محتقرة بالاضافة الى نعيم
العقبى ثم كيف ما كانت فمصيرها الى التصرم والانقضا ولا خير في خير
لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لان الشر الذي لا يدوم اذا انقطع بقي الفرح
بانقطاعه دايما وقد انقضى الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الاسف على انقطاعه
دايما وقد انقضى الخير ولذلك قيل

اشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا

فحتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الاخر ان لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق
عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها فان كل نفس من انفاس
العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى
نعيمه ابد الاباد فانقضا هذه الانفاس ضايعة او مصروفة الى ما يجلب الهلاك خسران
عظيم هايل لا تسمح به نفس عاقل فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي ان
يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما ان التاجر عند تسليم البضاعة
الى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس ما لي بضاعة الا العمر
ومهما فني فقد فني راس المال ووقع الياس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد
قد امهلني الله تعالى فيه وانسا في اجلي وانعم علي به ولو توفاني لكنت اتمنى ان يرجعني الى الدنيا
يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا فاحسبي انك قد توفيت ثم رددت فاياك ثم اياك
ان تضيعي هذا اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة لا قيمة لها واعلمي يا نفس ان اليوم
والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد بكل يوم
وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوة نورا
من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار
بمشاهدة تلك الانوار التي هي وسيلته عند الملك الجبار ما لو وزع على
اهل النار لادهشهم ذلك الفرح عن الاحساس بالم النار ويفتح له خزانة

اخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها
فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة
اخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوؤه وهي الساعة التي نام فيها او غفل
او اشتغل بشيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما ينال القادر
على الربح الكثير والملك الكبير اذا اهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به
حسرة وغبنا وهكذا تعرض عليه خزائن اوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدي
اليوم في ان تعمري خزائنك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي اسباب ملكك
ولا تميلي الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك
ويبقى عندك حسرته لا تفارقك وان دخلت الجنة فالم الغبن وحسرته لا تطاق وان كان
دون الم النار وقد قال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه اليس قد فاته ثواب
المحسنين اشارة به الى الغبن والحسرة وقد قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم
التغابن فهذه وصيته لنفسه في اوقاته ثم يستانف لها وصية في اعضائه
السبعة وهي العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وتسليمها اليها
فانها رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارة وبها تتم اعمال هذه التجارة
وان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما تتعين تلك الابواب
لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء فيوصيها بحفظها من معاصيها اما العين
فيحفظها عن النظر الى وجه من ليس له بمحرم او الى عورة مسلم او النظر

الى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه فان الله تعالى يسال عبده
عن فضول النظر كما يساله عن فضول الكلام ثم اذا صرفها عن هذا لم يقنع به
حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهو ما خلقت له من النظر الى عجائب صنع الله تعالى
بعين الاعتبار والنظر الى اعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله وسنة رسوله
ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي ان يفصل الامر عليها
في عضو عضو لا سيما اللسان والبطن اما اللسان فلانه منطلق بالطبع ولا مؤونة
عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة
وتزكية النفس ومذمة الخلق والاطعمة واللعن والدعاء على الاعداء والمماراة
في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في افات اللسان فهو بصدد ذلك كله مع انه
خلق للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وارشاد عباد الله الى طريق الله تعالى
واصلاح ذات البين وسائر خيراته فليشترط على نفسه ان لا يحرك اللسان طول نهاره
الا في الذكر فنطق المؤمن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد واما البطن فيكلفه ترك الشره وتقليل الاكل من الحلال
واجتناب الشبهات ويمنعه من الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة
ويشترط على نفسه ان خالفت شيئا من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها
اكثر مما نالته بشهوتها وهكذا يشترط عليها في جميع الاعضاء
واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصي الاعضاء وطاعاتها ثم يستانف وصيتها

في وظايف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليله ثم في النوافل التي يقدر عليها
ويقدر على الاستكثار منها ويرتبها لتفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد
لها باسبابها وهذه شروط يفتقر اليها كل يوم ولكن اذا تعود الانسان شرط ذلك
على نفسه اياما وطاوعته نفسه في الوفا بجميعها استغنى عن المشارطه فيها
وان طاوعت في بعضها بقيت الحاجه الى تجديد المشارطه فيما بقي ولا يخلو كل يوم عن مهم
جديد وواقعه حادثه لها حكم جديد ولله تعالى عليه في ذلك حق ويكثر هذا
على من يشتغل بشي من اعمال الدنيا من ولايه او تجاره او تدريس اذ قلما يخلو عن واقعه
جديده يحتاج الى ان يقضي حق الله تعالى فيها فعليه ان يشترط على نفسه الاستقامه
فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الاهمال ويعظها كما يوعظ
العبد الابق المتمرد فان النفس بالطبع متمرده عن الطاعات مستعصيه عن العبوديه
ولكن الوعظ والتاديب يوثر فيها وذكر فان الذكرى تنفع المومنين فهذا
وما يجري مجراه هو اول مقام المرابطه مع النفس وهي محاسبه قبل العمل
والمحاسبه تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير قال الله تعالى واعلموا
ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وهذا للمستقبل وكل نظر في كثره
ومقدار لمعرفه زياده ونقصان فانه يسمى محاسبه فالنظر فيما بين يدي العبد
في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبه وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا
اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا

وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه وذكر ذلك تحذيرا
وتنبيها للاحتراز منه في المستقبل وروى عبادة بن الصامت انه عليه السلام
قال لرجل سأله ان يوصيه ويعظه اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان
رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وقال بعض الحكما اذا اردت
ان يكون العقل غالبا للهوى فلا تعمل بقضا الشهوة حتى تنظر العاقبه فان مكث
الندامه في القلب اكثر من مكث خفه الشهوة وقال لقمان ان المومن اذا ابصر
العاقبه امن الندامه وروى شداد بن اوس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله
دان نفسه اي حاسب نفسه ويوم الدين هو يوم الحساب وقوله انا لمدينون
اي لمحاسبون وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل
ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتهيوا للعرض الاكبر وكتب الى ابي موسى
الاشعري حاسب نفسك في الرخا قبل حساب الشده وقال لكعب كيف تجدها
في كتاب الله قال ويل لديان الارض من ديان السما فعلاه بالدره وقال الا من حاسب نفسه
فقال كعب والله يا امير المومنين انها لالى جنبها في التوراه ما بينهما حرف الا من حاسب نفسه
وهذا كله اشاره الى المحاسبه في المستقبل اذ قال من دان نفسه وعمل لما
بعد الموت ومعناه وزن الامور اولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم اقدم
عليها فباشرها

المرابطة الثانية

المراقبة اذا اوصى الانسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه ولا يبقى الا المراقبة لها عند
الخوض في الاعمال وملاحظتها بالعين الكالية فانها ان تركت طغت وفسدت
ولنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها   اما الفضيلة فقد سال جبريل عليه السلم
عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه ۝ وقال عليه السلم اعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ۝ وقد قال تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت
وقال تعالى الم يعلم بان الله يرى وقال تعالى ان الله كان عليكم رقيبا وقال تعالى والذين هم
لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون وقال ابن المبارك لرجل راقب الله تعالى
فساله عن تفسيره فقال كن ابدا كانك ترى الله عز وجل ۝ وقال عبد الواحد بن زيد اذا كان
سيدي رقيبا علي فما ابالي بغيره ۝ وقال ابو عثمان المغربي افضل ما يلزم الانسان نفسه
في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم ۝
وقال ابن عطا افضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الاوقات ۝ وقال الجريري
امرنا هذا مبني على اصلين ان تلزم نفسك المراقبة لله عز وجل ويكون العلم على
ظاهرك قائما ۝ وقال ابو عثمان قال لي ابو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك
وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك ۝
وحكي انه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه
فقال له بعض اصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول
كل واحد منهم طائرا وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طائره في موضع لا يراه

احد ودفع الى الشاب مثل ذلك وقال الكل ما قال لهم فرجع كل واحد منهم بطائره مذبوحا
ورجع الشاب والطائر حي في يده فقال ما لك لم تذبح كما ذبح اصحابك فقال لم اجد موضعا
لا يراني فيه احد اذ الله مطلع على كل مكان فاستحسنوا منه هذه المراقبة وقالوا
حق كان يكرم ۝ وحكي ان زليخا لما خلت بيوسف عليه السلم قامت فغطت وجه
صنم كان لها فقال يوسف ما لك اتستحيين من مراقبة جماد ولا استحي من مراقبة الملك الجبار ۝
وحكي عن بعض الاحداث انه راود جارية عن نفسها فقالت له الا تستحي فقال ممن استحي
وما يرانا الا الكواكب فقالت واين مكوكبها ۝ وقال رجل للجنيد بم استعين على غض البصر
فقال بعلمك ان نظر الناظر اليك اسبق من نظرك الى المنظور اليه ۝ وقال الجنيد
انما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل ۝ وعن مالك بن دينار قال
جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها قال
يقول الله عز وجل انما يسكن جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني
والذين انثنت اصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي اني لاهم بعذاب اهل الارض
فاذا نظرت الى اهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب ۝
وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال اولها علم القلب بقرب الرب عز وجل ۝
وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة ۝
ويروى ان الله تعالى قال لملائكته انتم موكلون بالظاهر وانا رقيب على الباطن ۝
وقال محمد بن علي الترمذي اجعل مراقبتك لمن لا يغيب عن نظره اليك واجعل شكرك

لم استقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه واجعل خضوعك لمن لا
تخرج عن ملكه وسلطانه ۝ وقال سهل لم تتزين القلوب بشي افضل ولا اشرف
من علم العبد بان الله شاهده حيث كان ۝ وسيل بعضهم عن قوله تعالى رضي الله عنهم
ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ۝ فقال معناه ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه
وتزود لمعاده ۝ وسيل ذو النون بم ينال العبد الجنه فقال بخمس استقامه ليس فيها
روغان واجتهاد ليس معه سهو ومراقبه الله تعالى في السر والعلانيه
وانتظار الموت بالتاهب له ومحاسبه نفسك قبل ان تحاسب ۝ وقد قيل

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعه ولا ان ما تخفي عليه يغيب
الم تر ان اليوم اسرع ذاهب وان غدا للناظرين قريب

وقال حميد الطويل لسليمان بن علي عظني فقال لين كنت اذا عصيت الله تعالى خاليا
ظننت انه يراك لقد اجترات على امر عظيم ولين كنت تظن انه لا يراك فقد كفرت
وقال سفيان الثوري عليك بالمراقبه لمن لا تخفى عليه خافيه وعليك بالرجا
لمن يملك الوفا وعليك بالحذر ممن يملك العقوبه ۝ وقال فرقد السبخي
ان المنافق ينظر اذا لم ير احدا دخل مدخل السو وانما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى
وقال عبد الله بن دينار خرجت مع عبد الله بن عمر الخطاب رضي الله عنه الى مكه
فعرسنا في بعض الطريق فانحدر علينا راع من الجبل فقال له يا راعي بعني شاة

يعني شاة من هذه الغنم فقال اني مملوك فقال قل لسيدك اكلها الذيب قال فاين الله قال
فبكى عبد الله بن عمر ثم غدا الى المملوك فاشتراه من مولاه واعتقه وقال اعتقتك في الدنيا
هذه الكلمه وارجوا ان تعتقك في الاخره ۝

بيان حقيقه المراقبه ودرجاتها

اعلم ان حقيقه المراقبه هي ملاحظه الرقيب وانصراف الهم اليه فمن احترز من امر
من الامور بسبب غيره يقال انه يراقب فلانا ويراعي جانبه ونعني بهذه المراقبه حاله
للقلب يثمرها نوع من المعرفه وتثمر تلك الحاله اعمالا في الجوارح وفي القلب اما
الحاله فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته اياه
وانصرافه اليه واما المعرفه التي تثمر هذه الحاله فهو العلم بان الله تعالى
مطلع على الضماير عالم بالسراير رقيب على اعمال العباد قايم على كل نفس بما كسبت
وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشره للخلق مكشوف بل اشد من ذلك فهذه
المعرفه اذا صارت يقينا اعني انها خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على
القلب وقهرته فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فاذا استولت
على القلب استجرت القلب الى مراعاه جانب الرقيب وصرفت همه اليه والموقنون
بهذه المعرفه هم المقربون وهم ينقسمون الى الصديقين والى اصحاب اليمين فمراقبتهم
على درجتين الدرجه الاولى مراقبه المقربين من الصديقين وهي مراقبه التعظيم
والاجلال وهو ان يصير القلب مستغرقا بملاحظه ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبه

ولا شغل فيه متسع للالتفات الى الغير اصلا وهذه مراقبة لا يطول النظر في تفصيل اعمالها
فانها مقصورة على القلب اما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا
عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج الى تدبير وتثبت في
حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك كليته الراعي والقلب هو الراعي
فاذا صار مستوفى بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة
من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه هما واحدا فكفاه الله سائر الهموم ومن نال هذه
الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال
له مع انه لا صمم به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال
لمن عاتبه اذا مررت بي فحركني ولا تستبعد هذا فانك تجد نظير هذا في القلوب
المعظمة لملوك الارض حتى ان خدم الملك قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالس الملوك
لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب بمهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل
في الفكر فيه ويمشي فربما جاوز الموضع الذي قصده وينسى الشغل الذي نهض له
وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق
فقال ما اعرفه الا رجلا سيدخل عليكم الساعة فما كان الا سريعا حتى دخل عتبة الغلام
فقال له عبد الواحد بن زيد من اين جئت يا عتبة فقال من موضع كذا وكذا وكان طريقه
على السوق فقال من لقيت في الطريق فقال ما رأيت احدا وروي عن يحيى بن زكريا عليهما السلم انه مر بامراة
فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها الا جدارا

وحكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم فتقدمت اليه
فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله تعالى اشهى فقلت انت وحدك فقال معي ربي وملكاي فقلت من سبق
من هؤلاء فقال من غفر الله تعالى له فقلت اين الطريق فاشار نحو السماء وقام ومشى وقال اكثر خلقك
شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم الا منه ولا يسمع الا فيه
فهذا لا يحتاج الى المراقبة للسانه وجوارحه فانها لا تتحرك الا بما هو فيه ودخل الشبلي
على ابي الحسين النوري وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شيء فقال له
من اين اخذت هذه المراقبة والسكون فقال من سنور كانت لنا وكانت اذا ارادت الصيد
رابطت راس الجحر لا يتحرك لها شعرة وقال ابو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر
اريد الرملة للقاء ابي عبد الله الروذباري فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد
ان في صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لعلك تستفيد
منهما فدخلت صور وانا جائع عطشان وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شيء فدخلت المسجد
فاذا بشخصين قاعدين مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما اجاباني فسلمت ثانية وثالثة
فلم اسمع الجواب فقلت نشدتكما بالله تعالى الا رددتما علي السلام فرفع الشاب
راسه من مرقعته فنظر الي وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقي من القليل الا القليل
فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما اقل شغلك حتى تتفرغ الى لقائنا قال فاخذ كليتي
ثم طاطا راسه في المكان فبقيت عندهما حتى صليت الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي
وعنائي فلما كان وقت العصر قلت عظني فرفع راسه الي وقال يا ابن خفيف نحن اصحاب

بلغ

المصابيح يسر لنا الشأن العظة فبقيت عندهما ثلاثة ايام لا آكل ولا اشرب ولا انام ولا
رأيتهما اكلا ولا شربا ولا ناما فلما كان في اليوم الثالث قلت في سري احلفهما ان يعظاني لعلي
انتفع بعظتهما فرفع الشاب رأسه وقال لي ما حقيق عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته
وتقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله لا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا
هذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك

ه الدرجة الثانية مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين
اطلاع الله تعالى على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم ولكن لم يدهشهم ملاحظة الجلال
بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا انها مع ممارسة
الاعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد
التثبت فيه ويمتنعون عن كل امر يفتضحون به في القيامة فانهم يرون الله تعالى في الدنيا مطلعا
عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيامة ويعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات
فانك في خلوتك قد تتعاطى اعمالا فيحضرك صبي او امرأة فتعلم انه مطلع عليك فتستحي منه
فتحسن جلوسك وتراعي احوالك لا عن اجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وان كانت لا
تدهشك ولا تستغرقك فانها تهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك
او كبير من الاكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما انت فيه شغلا به لا حياء منه
فهكذا تختلف مراتب العباد في مراقبة الله تعالى ومن كان في هذه الدرجة
فيحتاج الى ان يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته

وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل اما قبل العمل
فلينظر ان ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره اهو لله خاصة او هو في هوى النفس ومتابعة
الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فان كان لله تعالى امضاه
وان كان لغير الله استحيا من الله وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبته فيه وهمه به
وميله اليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وانها عدوة نفسها
ان لم يتداركها الله بعصمته وهذا التوقف في بداية الامور الى حد البيان واجب
محتوم لا محيص لاحد عنه فان في الخبر انه ينشر للعبد في كل حركة من حركاته
وان صغرت ثلاثة دواوين الديوان الاول لم والثاني كيف والثالث لمن
ومعنى لم اي لم فعلت هذا اكان عليك ان تفعله لمولاك او ملت اليه بشهوتك
وهواك فان سلم عنه بان كان عليه ان يفعل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثاني فقيل له
كيف فعلت هذا فان لله تعالى في كل عمل شرطا وحكما لا يدرك قدره ووقته
وصفته الا بعلم فيقال له كيف فعلته ابعلم محقق ام بجهل وظن فان سلم من هذا
نشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالاخلاص فيقال له عملت لوجه الله خالصا فوفا
بقولك لا اله الا الله فيكون اجرك على الله او لمن رآك غيره فخذ اجرك منه ام عملته
لينال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا ام عملته بسهو وغفلة فقد سقط
اجرك وحبط عملك وخاب سعيك وان عملته لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي
اذ كنت عبدا لي تأكل رزقي وتترفه بنعمتي ثم تعمل لغيري اما سمعتني اقول ان الذين

تعبدون من دون الله عباد امثالكم ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا
عند الله الرزق واعبدوه ۝ وكذلك اما سمعتني اقول الا لله الدين الخالص فاذا عرف العبد
انه يتصدى لهذه المطالبات والتوبيخات طالب نفسه قبل ان يطالب واعد للسؤال
جوابا وللجواب صوابا فلا يبدي ولا يعيد الا بعد التثبت ولا يحرك جفنا ولا انملة
الا بعد التامل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ ان الرجل ليسال يوم القيمة عن كحل عينيه
وعن فتة الطين باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه ۝ وقال الحسن كان احدهم اذا اراد
ان يتصدق بصدقة نظر وتثبت فان كان لله امضاه ۝ وقال الحسن رحم الله عبدا
وقف عند همه فان كان له مضى وان كان لغيره تاخر ۝ وقال في حديث سعد حين
اوصاه سلمان اتق الله عند همك اذا هممت ۝ وقال محمد علي ان المومن وقاف متان
يقف عند همه ليس كحاطب ليل ۝ فهذا هو النظر الاول في هذه المراقبة
ولا يخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة الحقيقية باسرار الاعمال
واغوار النفس ومكايد الشيطان فمتى لم يعرف نفسه وربه وعدوه ابليس ولم يعرف
ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحب الله ويرضاه في نيته وهمته وحركاته
وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة بل الاكثرون يرتكبون
بالجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولا يظنن الجاهل
بما يقدر على التعلم فيه يعذر هيهات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم
ولهذا كانت ركعتان من عالم افضل من الف ركعة من غير عالم لانه يعلم افات

النفوس ومكايد الشيطان ومواضع الغرور فيتقي ذلك والجاهل لا يعرفه فكيف
يحترز منه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله
من الجهل والغفلة فهو راس كل شقاوة واساس كل خسران فحكم الله تعالى على كل
عبد ان يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم
وعن السعي حتى ينكشف له بنور العلم انه لله تعالى فيمضيه او هو لهوى النفس فيتقيه
ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فان الخطرة الاولى في الباطل اذا لم تدفع
اورثت الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم القصد والقصد يورث
الفعل والفعل يورث البوار والمقت فينبغي ان يحسم مادة الشر من منبعه الاول
وهو الخاطر فان جميع ما وراءه يتبعه ومهما اشكل على العبد ذلك او اظلمت
الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر في ذلك بنور العلم ويستعيذ بالله من مكر
الشيطان بواسطة الهوى وان عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضيء بنور
علماء الدين وليفر من العلماء المضلين المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل اشد
فقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلم لا تسال عني عالما اسكره حب الدنيا
فيقطعك عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي ۝ فالقلوب المظلمة بحب الدنيا
وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى فان مستقى انوار
القلوب حضرة الربوبية فكيف يستقى منها من استدبرها واقبل على عدوها
وعشق بغيضها وممقوتها وهي شهوات الدنيا فلتكن همة المريد اولا في

احكام العلم او في طلب عالم معرض عن الدنيا او ضعيف الرغبة فيها ان لم يجد من هو عديم
الرغبة فيها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب البصر النافذ عند ورود
الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات فجمع بين الامرين وهما متلازمان فمن كان
من ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر نافذ في الشبهات ولذلك قال عليه السلم
من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا فما قدر العقل الضعيف الذي يسعد الاذى
به حتى تعد الى محوه ومحقه بمقارفة الذنوب ومعرفة افات الاعمال فقد اندرست
في هذه الاعصار فان الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم واشتغلوا بالتوسط بين الخلق
في الخصومات الثائرة من اتباع الشهوات وقالوا هذا هو الفقه واخرجوا هذا العلم
الذي هو فقه الدين عن جملة العلوم وجردوا الفقه الدنيا الذي ما قصد به الا دفع
الشواغل عن القلوب لتفرغ لفقه الدين فكان فقه الدنيا من الدين بواسطته هذا
الفقه وفي الخبر انتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسياتي عليكم زمان خيركم
فيه المتثبت ولهذا توقف طائفة من الصحابة في القتال مع اهل العراق واهل الشام
لما اشكل عليهم الامر كسعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر واسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة وغيرهم
فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا لهواه معجبا برايه وكان ممن وصفه رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ قال فاذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه
فعليك بخاصة نفسك وكل من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى
ولا تقف ما ليس لك به علم وقوله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث

وان اراد به ظنا بغير دليل كما استفتى بعض العوام قلبه فما اشكل عليه فليتبع طريقه ولصعوبة
هذا الامر وعظمه كان من دعاء الصديق رضي الله عنه اللهم ارني الحق حقا وارزقني اتباعه
وارني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه ولا تجعله متشابها علي فاتبع الهوى
وقال عيسى عليه السلم الامور ثلاثة امر استبان رشده فاتبعه وامر استبان غيه
فاجتنبه وامر اشكل عليك فكله الى عالمه وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اني اعوذ بك ان اقول في الدين بغير علم فاعظم نعمة الله تعالى على عبده
هو العلم وكشف الحق والايمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتنانا على عبده وكان
فضل الله عليك عظيما واراد به العلم وقال تعالى فسئلوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون وقال تعالى ان علينا للهدى وقال ثم ان علينا بيانه وقال وعلى الله قصد السبيل
وقال علي كرم الله وجهه الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم
طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة رب بعيد اقرب
من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب
سوء ظن نعم الخلق التكرم والحياء سبب الى كل جميل واوثق العرى التقوى واوثق
سبب اخذت به سبب بينك وبين الله تعالى انما لك من دنياك ما اصلحت به مثواك
والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تاته اتاك وان كنت جازعا
على ما اصيب مما في يديك فلا تجزع على ما لم يصل اليك واستدل على ما لم يكن بما كان
فانما الامور اشباه والمرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه

عما نالك من دنياك فلا تكترث به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك اسفا ولكن
سرورك بما قدمت واسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت
وعن ضمام نقل هذه الكلمات فقوله ومن الموفق التوقف عند الحيرة فاذن النظر
الاول للمراقب نظره في الهم والحركة اهي لله ام للهوى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله
واذا عرض له امران احدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا واظهر ان يكشف له
في حركاته ان يكون مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام
المرء تركه ما لا يعنيه

ه النظر الثاني للمراقبة

عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله فيه وتحسن النية
في اتمامه وتكميل صورته وتعاطاه على اكمل ما يمكنه وهذا ملازم له
في جميع احواله فانه لا يخلو في جميع احواله عن حركة وسكون فاذا راقب الله في جميع
ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الادب فان كان
قاعدا فينبغي ان يقعد مستقبل القبلة لقوله صلى الله عليه وسلم خير المجالس
ما استقبل به القبلة ولا يجلس متربعا اذ لا تجالس الملوك كذلك وملك الملوك
مطلع عليه قال ابراهيم ادهم جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول
هكذا تجالس الملوك فلم اجلس بعد ذلك متربعا وان كان ينام فينام
على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في مواضعها

فكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة
فاذن لا يخلو العبد اما ان يكون في طاعة او معصية او مباح فمراقبته في الطاعة
بالاخلاص والاكمال ومراعاة الادب وحراستها عن الآفات وان كان في معصية فمراقبته
بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والاشتغال بالتكفير وان كان في مباح فمراقبته
مراعاة الادب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها ولا يخلو العبد في جملة احواله
عن بلية لا بد له من الصبر عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة
بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض لله تعالى عليه اما فعل يلزمه مباشرته
او محظور يلزمه تركه او ندب حث عليه ليسارع به الى مغفرة الله تعالى ويسابق به
عباد الله او مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون الله تعالى على طاعته
ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله
فقد ظلم نفسه فينبغي ان يتفقد العبد نفسه في جميع اوقاته في هذه الاقسام الثلاثة
فان كان فارغا من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغي ان يلتمس افضل الاعمال ليشتغل بها فان فاته
مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون والارباح تنال بالفضائل فبذلك
ياخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك انما
يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات ثلاثة ساعة مضت لا تعب على
الانسان فيها كيف ما انقضت في مشقة او رفاهية وساعة مستقبلة
لم تات بعد لا يدري العبد ايعيش اليها ام لا ولا يدري ما يقضي الله فيها

وساعة راهنة ينبغي أن يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فإن لم تأته الساعة
الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وإن أتته الساعة الثانية استوفى حقه
منها كما استوفى من الأولى ولا يطول أمله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة
فيها بل يكون ابن وقته كأنه في آخر أنفاسه فلعله آخر أنفاسه وهو لا يدري وإذا أمكن
أن يكون آخر أنفاسه فينبغي أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحال
ويكون جميع أحواله مقصورة على ما رواه أبو ذر رضي الله عنه من قوله عليه السلام
لا يكون المؤمن ظاعنا إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم
وما روي عنه أيضا في معناه وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات ساعة يناجي
فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله تعالى
إليه وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فإن هذه الساعة عون له على بقية
الساعات ثم هذه الساعة التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغي
أن تخلو عن عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر فإن الطعام الذي يتناوله مثلا
فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح
والناس فيه أقسام قسم ينظرون إليه بعين التبصر والاعتبار فينظرون
في عجائب صنعه وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله تعالى
لأسبابه وخلق الشهوة الباعثة عليه وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيه
كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوي الألباب

وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار إليه ويودون لو
استغنوا عنه ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته وهذا مقام الزاهدين
وقوم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها إلى صفات الخالق فيكون مشاهدة ذلك
سببا لتذكر أبواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه وهو أعلى المقامات وهو من مقامات
العارفين وعلامات المحبين إذ المحب إذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه
نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه صنع الله تعالى فله
في النظر منه إلى الصانع مجال رحب إن فتحت له أبواب الملكوت وذلك عزيز جدا وقسم
رابع ينظرون إليه بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم
من جملته ويذمون منه ما لا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون فاعله فيذمون الطبيخ
والطباخ ولا يعلمون أن الفاعل للطبيخ والطباخ ولقدرته ولعلمه هو الله عز وجل
وأن من ذم شيئا من خلق الله تعالى بغير إذن الله فقد ذم الله ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر فهذه هي المرابطة الثانية بمراقبة الأعمال
على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن أحكم الأصول

ه المرابطة الثالثة محاسبة النفس بعد العمل

ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها

أما الفضيلة فقد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد
وهذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال ولذلك قال عمر رضي الله عنه

حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا ۝ وفي الخبر انه عليه السلم
جاه رجل فقال له يا رسول الله اوصني فقال امستوص انت فقال نعم قال اذا هممت بامر فتدبر
عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه ۝ وفي الخبر وينبغي للعاقل
ان يكون له اربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه ۝ وقال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا
ايها المومنون والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه ۝ وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله تعالى واتوب اليه في اليوم مائة مرة ۝ وقال الله تعالى
ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ۝ وعن عمر رضي الله عنه
انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم ۝
وعن ميمون بن مهران انه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد من محاسبة
شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل ۝ وروي عن عايشة رضي الله عنها
ان ابا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت ما احد من الناس احب الي من عمر ثم قال لها
كيف قلت فاعادت عليه ما قال فقال لا احد اعز علي من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ
من الكلمة فتدبرها وابدلها بكلمة غيرها ۝ وحديث ابي طلحة حين شغله الطاير
في صلوته فتدبر ذلك فجعل حايطه صدقة لله ندما ورجا للعوض مما فاته ۝
وفي حديث ابن سلام انه حمل حزمة من حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في بنيك وغلمانك
ما يكفونك هذا فقال اردت ان اجرب نفسي هل تنكره ۝ وقال الحسن المومن
قوام على نفسه يحاسبها لله ۝ وانما خف الحساب على قوم حاسبوا انفسهم

في الدنيا وانما شق الحساب يوم القيمة على قوم اخذوا هذا الامر من غير محاسبة ثم
فسر المحاسبة فقال ان المومن يفجاه الشي يعجبه فيقول والله انك لتعجبني وانك لمن حاجتي
ولكن هيهات حيل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشي فيرجع
الى نفسه فيقول ما اردت بهذا والله لا اعذر بهذا والله لا اعود لهذا ابدا ان شا الله ۝
وقال انس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما وقد خرج وخرجت معه حتى دخل
حايطا فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو في الحايط عمر بن الخطاب امير المومنين
بخ بخ والله لتتقين الله او ليعذبنك ۝ وقال الحسن في قوله تعالى ولا اقسم بالنفس
اللوامة قال لا تلقى المومن الا يعاتب نفسه ماذا اردت بكلمتي ماذا اردت باكلتي ماذا
اردت بشربتي والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه ۝ وقال مالك بن دينار رحم الله عبدا
قال لنفسه الست صاحبة كذا الست صاحبة كذا ثم زمها وخطمها ثم الزمها
كتاب الله تعالى فكان لها قايدا وهذا من معاتبة النفس كما سياتي في موضعه ۝
وقال ميمون بن مهران التقي اشد محاسبة لنفسه من سلطان عاشم ومن شريك شحيح
وقال ابرهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها واشرب من انهارها واعانق
ابكارها ومثلت نفسي في النار آكل من زقومها واشرب من صديدها واعالج
سلاسلها واغلالها فقلت لنفسي يا نفس اي شي تريدين فقالت اريد ان ارد الى الدنيا
فاعمل صالحا قلت فانت في الامنية فاعملي ۝ وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج
يخطب وهو يقول امرؤ حاسب نفسه قبل ان يصير الحساب الى غيره ۝

امره اخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به امره نظر في مكياله امره نظر في ميزانه
فما زال يقول امره امره حتى ابكاني وحكى صاحب الاحنف بن قيس قال كنت اصحبه
فكان عامة صلوته بالليل الدعا وكان يجي الى المصباح فيضع اصبعه فيه حتى يحس بالنار
ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا

بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل

اعلم ان العبد كما يكون له وقت في اول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية
بالحق فينبغي ان يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع
حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركا في آخر كل سنة او شهر
او يوم حرصا منهم على الدنيا وخوفا من ان يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم
في فواته ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى الا اياما قلايل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه
فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة ابد الاباد ما هذه المساهلة الا عن الغفلة
والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك ومعنى المحاسبة مع الشريك ان ينظر
في راس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فان كان من فضل حاصل
استوفاه وشكره وان كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل
فكذلك راس مال العبد في دينه الفرايض وربحه النوافل والفضايل وخسرانه
المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعامله نفسه الامارة بالسو فليحاسبها
على الفرايض اولا فان اداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها

وان فوتها من اصلها طالبها بالقضا فان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب
معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به
ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه يفتش في حساب الدنيا على الحبة
والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شي منها فينبغي ان يتقي غبينة
النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب
عن جميع ما تكلم به طول النهار وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد
القيمة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده واكله وشربه
ونومه وحتى عن سكوته انه لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا عرف مجموع الواجب
على النفس وصح عنده قدر ادا الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له
الباقي على نفسه فليثبته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب
الباقي الذي على شريكه على قلبه وفي جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن ان
يستوفي منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينه
وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شي من ذلك الا بعد تحقيق الحساب
وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفا
ثم ينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع
الاعضا الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة وكان
محاسبا لنفسه فحسب يوما فاذا هو ابن ستين سنة فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون

الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتا القى المليك باحد وعشرين الف ذنب كيف
وفي كل يوم عشرة الف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قائلا يقول
يا لها ركضة الى الفردوس الاعلى. فهكذا ينبغي ان يحاسب نفسه على الانفاس
وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجرا
في داره لامتلأت داره في مدة يسيرة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي
والملكان يحفظان عليه ذلك احصاه الله ونسوه.

٥ المرابطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها

معاقبات النفس

مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى
فلا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليه مقارفة المعاصي وانست بها نفسه
وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها فاذا اكل لقمة
شبهة بشهوة نفس ينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم ينبغي ان يعاقب
العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من اطراف بدنه بمنعه عن شهواته
هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة فقد روي عن منصور بن ابرهيم ان رجلا من العباد
كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم فوضع يده على النار حتى نشت
وروي انه كان في بني اسرائيل رجل يتعبد في صومعته فمكث بذلك زمانا طويلا
فاشرف ذات يوم فاذا هو بامرأة فافتتن بها وهم بها فاخرج رجله لينزل اليها فادركه
الله تعالى بسابقة فقال ما هذا الذي اريد ان اصنع فرجعت اليه نفسه وعصمه
الله تعالى فندم فلما اراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت
تريد ان تعصي الله تعالى تعود معي في صومعتي لا يكون والله ذلك ابدا فتركها معلقة من الصومعة
تصيبها الامطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسقطت فشكر الله تعالى له ذلك وانزل في بعض
كتبه ذكره. ويحكى عن الجنيد قال سمعت ابن الكريني يقول اصابتني ليلة جنابة فاحتجت ان اغتسل
وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخرا وتقصيرا فحدثتني نفسي بالتأخير حتى اصبح واسخن الماء
او ادخل الحمام ولا اعني على نفسي فقلت واعجباه انا اعامل الله في طول عمري فيجب لي علي حقوق ولا اجد
في المسارعة واجد الوقوف والتأخير آليت لا اغتسلن الا في مرقعتي هذه واليت ان لا اعصرها
ولا اعصرها ولا اجففها في الشمس. ويحكى ان غزوان وابا موسى كانا في بعض مغازيهم
فتكشفت جارية فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت وقال انك للحاظة
الى ما يضرك. ونظر بعضهم نظرة واحدة الى امرأة فجعل على نفسه ان لا يشرب الماء البارد
طول حياته فكان يشرب الماء الحار لينغص على نفسه العيش. ويحكى ان حسان
ابن ابي سنان مر بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال تسألين عما لا يعنيك لاعاقبنك
بصوم سنة فصامها. وقال مالك بن ضيغم جاء رباح القيسي يسأل عن ابي بعد العصر
فقلنا انه نائم فقال نوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا فاتبعناه رسولا
قلنا الا نوقظه لك فجاء الرسول وقال هو اشغل من ان يفهم عني شيئا ادركته وهو يدخل المقابر
وهو يعاتب نفسه ويقول اقلت وقت نوم هذه الساعة افكان هذا عليك ينام الرجل متى شاء
وما يدريك ان هذا ليس وقت نوم تتكلمين بما لا تعلمين اما ان لله عهدا لا انقضه

ابدا الا وسدك الارض لتنوم حولا الا المرض حايل او الغفل نايل شقوة لك اما تستحيين كم توبخين
وعن عتبة اشتهى سنين قال وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رايت ذلك انصرفت وتركته
ويحكى ان تميم الداري نام ليلة لم يقم يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع
وعن طلحة رضي الله عنه قال انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضا
وكان يقول لنفسه ذوقي ونار جهنم اشد حرا اجيفة بالليل بطالة بالنهار قال فبينا
هو كذلك اذ ابصر النبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فاتاه فقال غلبتني نفسي فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم الم يكن لك بد من الذي صنعت اما لقد فتحت لك ابواب السما ولقد
باهى الله بك الملايكة ثم قال لاصحابه تزودوا من اخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع لي
يا فلان ادع لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم عمهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى
امرهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مابهم
وقال حذيفة بن قتادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شهواتها فقال ما على وجه الارض
نفس ابغض الي منها فكيف اعطيها شهواتها ودخل ابن السماك على داود الطائي
حين مات وهو في بيته على التراب فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبت نفسك
قبل ان تعذب فاليوم ترى ثواب ما كنت له تعمل وعن وهب بن منبه ان رجلا تعبد
زمانا ثم بدت له الى الله تعالى حاجة فصام سبعين سبتا ياكل في كل سبت احدى عشرة
تمرة ثم سال حاجته فلم يعطها فرجع الى نفسه وقال منك اتيت لو كان فيك خير
لاعطيت حاجتك فنزل اليه ملك وقال يا ابن ادم ساعتك هذه خير من عبادتك

التي مضت وقد قضى الله حاجتك وقال عبد الله بن قيس كنا في غزاة لنا
نحاضر العدو فصيح في الناس فقاموا الى المصاف في يوم شديد الريح واذا رجل امامي
وهو يخاطب نفسه ويقول اي نفس الم اشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي اهلك وعيالك
فاطعتك فرجعت يا نفس الم اشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي اهلك وعيالك فاطعتك
ورجعت والله لاعرضنك اليوم على الله عز وجل اخذك او تركك فقلت لارمقنه اليوم
فرمقته فحمل الناس على عدوهم وكان في اوايلهم ثم ان العدو حمل على الناس فانكشفوا
وكان في موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله ما زال ذلك دابه حتى رايته
صريعا فعددت به وبدابته ستين او اكثر من ستين طعنة وقد ذكرنا
حديث ابي طلحة لما اشتغل قلبه في الصلوة بطاير في حايطه فتصدق بالحايط
كفارة لذلك وان عمر كان يضرب قدميه بالدرة ويقول ماذا عملت اليوم
وعن مجمع انه رفع راسه الى السطح فوقع بصره على امراة فجعل على نفسه ان لا يرفع
راسه الى السما ما دام في الدنيا وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه المصباح
بالليل وكان يضع اصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك على ان صنعت يوم كذا وكذا
كذا وكذا وانكر وهب بن منبه شيا على نفسه فنتف شعرات على صدره حتى عظم
المه فجعل يقول لنفسه ويحك انما اريد بك الخير وراى محمد بن بشر داود الطائي
وهو ياكل عند افطاره خبزا بغير ملح فقال له لو اكلته بملح فقال ان نفسي لتدعوني
الى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحا ما دام في الدنيا

هكذا كانت عقوبة اولي الحزم لانفسهم والعجب انك تعاقب عبدك وامتك واهلك
وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في امر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم
لخرج امرهم عن الاختيار وبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي اعظم عدو لك واشد
طغيانا عليك وضررك من طغيانها اعظم من ضررك من طغيان اهلك فان غايتهم ان يشوشوا
عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الاخرة وان فيه النعيم المقيم
الذي لا اخر له ونفسك هي التي تنغص عليك عيش الاخرة فهي بالمعاقبة اولى من غيرها

المرابطة الخامسة المجاهدة

المجاهدة

وهو انه اذا حاسب نفسه فراها قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالعقوبات
التي مضت وان راها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل او ورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها
بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات منه وتداركا لما فرط
هكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه
حين فاتته صلاة العصر في جماعة بان تصدق بارض له كانت قيمتها مائتا الف درهم
وكان ابن عمر اذا فاتته صلاة في جماعة احيا تلك الليلة واخر ليلة صلاة المغرب
حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وفات ابن ابي ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة
وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله
كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها
فان قلت ان كانت نفسي لا تطاوعني على المجاهدة والمواظبة على الاوراد

فما سبيل معالجتها فاقول سبيلك في ذلك ان تسمعها ما ورد في الاخبار من فضل
المجتهدين ومن انفع اسباب العلاج ان تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد
في العبادة فتلاحظ احواله وتقتدي به وكان بعضهم يقول كنت اذا اعترتني
فترة في العبادة نظرت الى محمد بن واسع والى اجتهاده فعملت على ذلك اسبوعا الا ان هذا
علاج قد تعذر اذ قد فقد في هذا الزمان من يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين
فينبغي ان يعدل من المشاهدة الى السماع ولا شيء انفع من سماع احوالهم ومطالعة
اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم ابد الاباد
لا ينقطع فما اعظم ملكهم وما اشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه اياما
قلائل بشهوات مكدرة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه ابد الاباد
نعوذ بالله من ذلك ولنذكر من اوصاف المجتهدين وفضائلهم ما يحرك رغبة المريد
في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال صلى الله عليه وسلم ان اقواما حسبهم الناس مرضى
وما هم بمرضى وقال الحسن اجهدتهم العبادة قال الله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة قال الحسن يعملون ما عملوا من اعمال البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب الله
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله
ويروى ان الله تعالى يقول لملائكته ما بال عبادي مجتهدين فيقولون الهنا
خوفتهم شيئا فخافوه وشوقتهم الى شيء فاشتاقوا اليه فيقول الله تبارك وتعالى
فكيف لو راوني عبادي لكانوا اشد اجتهادا وقال الحسن ادركنا اقواما

وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ولا يتأسفون على شيء منها أدبر
ولهي كانت في أعينهم أهون من هذا التراب الذي تطؤونه بأرجلكم إن كان أحدهم
ليعيش عمره كله ما طوي له ثوب ولا أمر أهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين
الأرض شيئا قط وأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم إذا جنهم الليل فقيام
على أطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم
إذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله أن يتقبلها وإذا عملوا
السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك ووالله
ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة ۞ وحكي أن قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه
في مرضه فإذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له عمر يا فتى ما الذي بلغ بك ما أرى فقال يا أمير المؤمنين
أسقام وأمراض فقال سألتك بالله إلا صدقتني فقال يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا
فوجدتها مرة وصغر عندي زهرتها وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها
وكأني أنظر إلى عرش ربي والناس يساقون إلى الجنة والنار فأظمأت لذلك نهاري
وأسهرت ليلي وقليل حقير كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه ۞
وقال أبو نعيم كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز فقيل له في ذلك
فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية ۞ ودخل رجل عليه يوما فقال
إن في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن أخي إن لي في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت
إلى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام ۞

وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا إلى أحمد بن رزين من غدوة إلى العصر فما التفت يمنة ولا يسرة
فقيل له في ذلك فقال إن الله عز وجل خلق العينين لينظر بهما العبد إلى عظمة الله
فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة ۞ وقالت امرأة مسروق ما كان يوجد
مسروق إلا وساقاه منتفختان من طول الصلاة وقالت والله إن كنت لأجلس خلفه فأبكي
رحمة له ۞ وقال أبو الدرداء لولا ثلاث ما أحببت العيش يوما واحدا الظمأ لله بالهواجر
والسجود في جوف الليل ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب التمر ۞
وكان الأسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم في الحر حتى يخضر جلده ويصفر
وكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول كرامتها أريد وكان يصوم
حتى يخضر جلده ويصلي حتى يسقط فدخل عليه أنس بن مالك والحسن فقالا له إن الله تعالى
لم يأمرك بكل هذا فيقول إنما أنا عبد مملوك لا أدع من الاستكانة شيئا إلا جئت به ۞
وكان بعض المجتهدين يصلي في كل يوم ألف ركعة حتى أقعد من رجليه فكان يصلي
جالسا ألف ركعة فإذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف أرادت
بك بدلا منك عجبت للخليقة كيف أنست بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها
بذكر سواك ۞ وكان ثابت البناني قد حببت إليه الصلاة فكان يقول اللهم إن كنت
أذنت لأحد أن يصلي لك في قبره فأذن لي أن أصلي في قبري ۞ وقال الجنيد ما رأيت
أعبد من السري أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعا إلا في علة الموت ۞
وقال الحارث بن سعد مر قوم براهب فرأوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده

وتكلموا في ذلك فقال وما هذا تعبد ما يراد الخلق من ملاقاة الأهوال وهم غافلون قد
اعتكفوا على حظوظ أنفسهم ونسوا حظهم الأكبر من ربهم ويحكى القوم عن آخرهم ،
وعن أبي محمد المغازلي قال جاور أبو محمد الجريري بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند إلى عمود
ولا إلى حائط ولم يمد رجليه فعبر عليه أبو بكر الكتاني فسلم عليه وقال يا أبا محمد بم قدرت
على اعتكافك هذا فقال علم صدق باطني فأعانني على ظاهري فأطرق الكتاني ومشى مفكرا ،
وعن بعضهم قال دخلت على فتح الموصلي فرأيته قد مد كفيه يبكي حتى رأيت الدموع تنحدر
من أصابعه فدنوت منه فإذا دموعه قد خالطها صفرة فقلت له بالله يا فتح بكيت
الدم فقال لولا أنك حلفتني ما أخبرتك نعم بكيت دما فقلت له على ماذا بكيت الدموع فقال على
تخلفي عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا تكون ما صحت لي الدموع قال
فرأيته بعد موته في المنام فقلت له ما صنع الله بك فقال غفر لي فقلت له ما صنع في دموعك
فقال قربني ربي عز وجل وقال لي يا فتح الدمع على ماذا قلت يا رب على تخلفي عن واجب حقك
فقال والدم على ماذا قلت على دموعي أن لا تصح لي فقال يا فتح ما أردت بهذا كله وعزتي
لقد صعد حافظاك أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة ،
وقيل إن قوما أرادوا سفرا فحادوا عن الطريق فانتهوا إلى راهب منفرد عن الناس
فنادوه فأشرف عليهم من صومعته فقالوا يا راهب إنا قد أخطأنا الطريق فكيف الطريق
فأومى برأسه إلى السماء فعلم القوم ما أراد فقالوا يا راهب إنا سائلوك فهل أنت مجيبنا
فقال سلوا ولا تكثروا فإن النهار لن يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث

فعجب القوم من كلامه فقالوا يا راهب علام الخلق عند مليكهم فقال على نياتهم
فقالوا أوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم فإن خير الزاد ما بلغ البغية ثم
أرشدهم إلى الطريق وأدخل رأسه في صومعته ، وقال عبد الواحد بن زيد مررت
بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني
فناديته الثالثة فأشرف علي وقال يا هذا ما أنا براهب إنما الراهب من رهب الله في
سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضي بقضائه وحمده على آلائه وشكره
على نعمائه وتواضع لنعمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر
في حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله قائم قد أسهره ذكر النار ومسألة الجبار
فذلك هو الراهب وأما أنا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس
لئلا أعقرهم فقلت يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله تعالى بعد أن عرفوه فقال يا أخي
لم يقطع الخلق عن الله إلا حب الدنيا وزينتها لأنها محل المعاصي والذنوب والعاقل
من رمى بها عن قلبه وتاب إلى الله من ذنبه وأقبل على ما يقربه من ربه ،
وقيل لداود الطائي لو سرحت لحيتك فقال إني إذاً لفارغ وكان أويس القرني
يقول هذه ليلة الركوع فيحيي الليل كله في ركعة وإذا كان الليلة الآتية قال هذه
ليلة السجود فيحيي الليل كله في سجدة ، وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنا
بالطعام والشراب فقالت له أمه لو رفقت بنفسك قال الرفق أطلب دعيني
أتعب قليلا وأنعم طويلا ، وقد حج مسروق فما نام إلا ساجدا ،

وقال سفيان الثوري عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى
وقال عبد الله بن داود كان احدهم اذا بلغ اربعين سنة طوى فراشه اي لا ينام طول الليل
وكان كهمس بن الحسن يصلي كل يوم الف ركعة ثم يقول لنفسه قومي يا ماوى كل شر فلما ضعف
اقتصر على خمسمائة ثم كان يبكي ويقول ذهب نصف عملي وكانت ابنة الربيع بن خثيم تقول لابيه
مالي ارى الناس ينامون وانت لا تنام فيقول يا بنتاه ان اباك يخاف البيات
ولما رأت ام الربيع ما يلقى الربيع من البكاء والسهر نادته يا بني لعلك قتلت قتيلا فقال نعم
يا اماه قالت فمن هو حتى نطلب الى اهله فيعفوا عنك فوالله لو يعلمون ما انت فيه لرحموك وعفوا عنك
فيقول يا اماه هي نفسي وعن عمر ابن اخت بشر قال سمعت خالي بشر الحارث
يقول لامي يا اختي جوفي وخواصري تضرب علي فقالت له امي يا اخي تاذن لي حتى اصلح لك قليل
حسا بكف دقيق عندي تتحساه يرم جوفك فقال لها ويحك اخاف ان يقول لي من اين لك هذا
الدقيق ولا ادري ايش اقول له فبكت امي وبكى معها وبكيت معهم قال عمر ورأت امي ما بشر من شدة
الجوع وجعل يتنفس نفسا ضعيفا فقالت له امي يا اخي ليت امك لم تلدني فقد والله
تقطع كبدي مما ارى بك فسمعته يقول لها وانا فليت امي لم تلدني واذ ولدتني لم يدر ثديها
علي قال عمر وكان امي تبكي عليه الليل والنهار وقال الربيع اتيت اويسا
فوجدته جالسا قد صلى الفجر ثم جلس فجلست وقلت لا اشغله عن التسبيح فمكث مكانه
حتى صلى الظهر ثم قام الى الصلوة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب
ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فغلبته عيناه

فقال اللهم اني اعوذ بك من عين نوامه ومن بطن لا تشبع فقلت حسبي هذا منه ثم رجعت
ونظر رجل الى اويس فقال يا ابا عبد الله ما لي اراك كانك مريض فقال وما لاويس ان لا يكون مريضا
يطعم المريض واويس غير طاعم وينام المريض واويس غير نايم وقال احمد بن حرب يا عجبا لمن يعرف
ان الجنة تزين فوقه وان النار تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال رجل من النساك
اتيت ابرهيم بن ادهم فوجدته قد صلى العشا فقعدت ارقبه فلف نفسه بعباه ثم رمى
بنفسه فلم ينقلب من جنب الى جنب الليل كله حتى طلع الفجر واذن المؤذن فوثب الى الصلوه
ولم يحدث وضوا فحاك ذلك في صدري فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعا
ثم لم تجدد الوضو فقال كنت الليل كله جايلا في رياض الجنه احيانا وفي اوديه
النار احيانا فهل في ذلك نوم وقال ثابت البناني ادركت رجالا كان احدهم يصلي فيعجز
حتى ما ياتي فراشه الا حبوا وقيل مكث ابو بكر بن عياش اربعين سنه لا يضع جنبه
على فراش ونزل الما في احدى عينيه فمكث عشرين سنه لا يعلم به اهله وقيل كان ورد
سمنون في كل يوم خمسمايه ركعه وعن ابي بكر المطوعي قال كان وردي في شبيبتي
كل يوم وليله اقرا فيه قل هو الله احد احدى وثلثين الف مره او اربعين الف مره
شك الراوي وكان منصور بن المعتمر اذا رايته قلت رجل اصيب بمصيبه
منكسر الطرف منخفض الصوت رطب العينين ان حركته جات عيناه باربع
ولقد قالت له امه ما هذا الذي تصنع بنفسك تبكي الليل كله لا تسكت لعلك
يا بني اصبت نفسا لعلك قتلت قتيلا فيقول يا امه انا اعلم بما صنعت نفسي

طعام
وقيل لعامر بن عبد الله كيف صبرت على سهر الليل وظمأ الهواجر فقال هل هو الا اني صرفت طعام
النهار الى الليل ونوم الليل الى النهار وليس في ذلك خطير امر ۝ وكان يقول ما رأيت مثل الجنة
نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها وكان اذا جاء الليل قال اذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح
واذا جاء النهار قال اذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسي واذا جاء الليل قال من خاف ادلج وعند
الصباح يحمد القوم السرى ۝ وقال بعضهم صحبت عامر بن عبد الله اربعة اشهر فما رأيته نام بليل
ولا نهار ۝ ويروى عن رجل من اصحاب علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه قال صليت خلف علي عليه السلام
الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة ومكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله
لقد رأيت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما ارى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا
صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين اقدامهم وجباههم وكانوا
اذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم حتى تبل ثيابهم وكأن القوم
باتوا غافلين يعني من كان حوله ۝ وكان ابو مسلم الخولاني قد علق سوطا في مسجد بيته
يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومي فوالله لازحفن بك زحفا حتى يكون الكلل منك
لا مني واذا دخلته الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول انت اولى بالضرب من
دابتي وكان يقول ايظن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان يستأثروا به دوننا كلا والله
لنزاحمنهم زحاما حتى يعلموا انهم قد خلفوا خلفهم رجالا ۝ وكان صفوان بن سليم قد
تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غدا ما وجد مزيدا
وكان اذا جاء الشتا اضطجع على السطح ليضربه البرد واذا كان الصيف اضطجع

داخل البيوت ليجد الحر والغم فلا ينام وانه مات وهو ساجد وكان يقول اللهم اني احب لقاءك
فاحب لقائي ۝ وقال القسم بن محمد غدوت يوما وكنت اذا غدوت بدأت بعائشة رضي الله عنها
اسلم عليها فغدوت يوما اليها فاذا هي تصلي صلوة الضحى وهي تقرأ فمن الله علينا ووقانا
عذاب السموم وتبكي وتدعو وتردد الآية فقمت حتى مللت وهي كما هي فلما رأيت ذلك ذهبت الى السوق
فقلت افرغ من حاجتي وارجع ففرغت من حاجتي ثم رجعت فاذا هي كما هي تردد الآية وتدعو
وتبكي ۝ وقال محمد بن اسحاق لما ورد علينا عبد الرحمن بن الاسود حاجا اعتلت احدى قدميه
فقام يصلي على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء ۝ وقال بعضهم ما اخاف من الموت
الا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل ۝ وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه سيما الصالحين صفرة
الالوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم خلوا بالرحمن والبسهم
نورا من نوره ۝ وكان عامر بن عبد قيس يقول الهي خلقتني ولم تؤامرني وتميتني ولا تعلمني وخلقت
معي عدوا وجعلته يجري مني مجرى الدم وجعلته يراني ولا اراه وقلت لي استمسك الهي
كيف استمسك ان لم تمسكني الهي في الدنيا الهموم والاحزان وفي الآخرة العقاب
والحساب فاين الراحة والفرج ۝ وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع
الليل بثلاث صيحات كان اذا صلى العتمة وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى ثلث
الليل صاح صيحة ثم يضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى ثلث الليل صاح صيحة
ثم يضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فاذا كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد
فحدثت به بعض البصريين فقال لا تنظر الى صيحاته ولكن انظر الى ما كان فيه بين

المتحيرين حتى صاح بهم وعن القاسم بن راشد الشيباني قال كان زمعة نازلا عندنا بالمحصب
وكان له اهل وبنات وكان يقوم فيصلي ليلا طويلا فاذا كان السحر نادى باعلى صوته يا ايها الركب المعرسون
اكل هذا الليل ترقدون الا تقومون فترحلون فيتواثبون فيسمع من هاهنا باك ومن هاهنا داع
ومن هاهنا متوضئ فاذا طلع الفجر نادى باعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى
وقال بعض الحكماء ان لله تعالى عبادا انعم عليهم بمعرفته وشرح صدورهم فاطاعوه
وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والامر اليه فصارت قلوبهم معادن لصفا اليقين وبيوتا
للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين الخلائق مقبلون ومدبرون وقلوبهم
تجول في الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها طرايف من لطيف
الفوايد ما لا يمكن واصفا ان يصفه فهم في باطن امورهم كالديباج حسنا وهم في
الظاهر مناديل مبذولون لمن ارادهم تواضعا وهذه طريقة لا يبلغ اليها
بالتكلف وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء وقال بعض الصالحين بينما انا اسير في بعض
بيت المقدس اذ هبطت الى واد هنالك فاذا انا بصوت قد علا واذا لتلك الجبال
جبيه لها دوي عال فاتبعت الصوت فاذا انا بروضة عليها شجر ملتف فاذا انا برجل
قايم فيها يردد هذه الاية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الى قوله ويحذركم
الله نفسه قال فجلست خلفه اسمع كلامه وهو يردد هذه الاية اذ صاح صيحة
خر منها مغشيا عليه فقلت واسفاه هذا لشقاي ثم انتظرت افاقته فافاق
بعد ساعة فسمعته وهو يقول اعوذ بك من مقام الكذابين اعوذ بك من اعمال

البطالين اعوذ بك من اعراض الغافلين ثم قال لك خشعت قلوب الخائفين واليك
فزعت امال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يديه وقال ما لي وللدنيا
وما للدنيا ولي عليك يا دنيا يا بنات جنسك والاف نعيمك الى محبيك فاذهبي واباهم يا خادعي
ثم قال اين القرون الماضية واهل الدهور السالفة في التراب يبلون وعلى الزمان يفنون
فقلت له يا عبد الله انا منذ اليوم خلفك انتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر
الاوقات وتبادره يخاف ان يسبقها الموت الى نفسه ام كيف يفرغ من ذهبت ايامه وبقيت
اثامه ثم قال انت لها ولكل شدة اتوقع نزولها ثم لها عني ساعة وقرا وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون ثم صاح صيحة اخرى اشد من الاولى خر مغشيا عليه
فقلت قد خرجت نفسه فدنوت منه فاذا هو يضطرب ثم افاق وهو يقول من انا ما خطري
هب لي اساءتي بفضلك وجللني بسترك واعف عن ذنوبي بكرم وجهك اذا وقفت
بين يديك فقلت له بالذي ترجوه لنفسك يوثق به الا كلمتني فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه
ودع كلام من اوبقته ذنوبه اني لفي هذا الموضع منذ شاء الله اجاهد ابليس
ويجاهدني فلم يجد عونا علي ليخرجني مما انا فيه غيرك فاليك عني يا مخدوع فقد عطلت
علي لساني وميلت الى حديثك شعبة من قلبي وانا اعوذ بالله من شرك ثم ارجو ان يعيذني
من سخطه ويتفضل علي برحمته قال فقلت هذا ولي لله تعالى اخاف ان اشغله فاعاقب
في موضعي هذا فانصرفت وتركته وقال بعض الصالحين بينما انا اسير في مسيري
اذ ملت الى شجرة لاستريح تحتها فاذا بشيخ قد اشرف علي فقال لي يا هذا قم

كل نفس ذائقة الموت
فإن الموت لم يمت بعد ثم هام على وجهه فاتبعته فسمعته وهو يقول
اللهم بارك لي في الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال من أيقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر
ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهي بالنظر إليك واملأ قلبي
من المحبة لك وأجرني من ذل التوبيخ غدا عندك فقد آن لي الحياء منك وآن لي الرجوع
عن الإعراض عنك ثم قال لولا حلمك لم يسعني أجلي ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك أملي ثم
مضى وتركني وقد أنشدوا في هذا المعنى

نحيل الجسم مكتئب الفؤاد ... تراه بقنة أو بطن وادي
ينوح على معاصٍ فاضحات ... يكدر ثقلها صفو الفؤاد
فإن هاجت مخاوفه وزادت ... فدعوته أغثني يا عمادي
فأنت بما ألاقيه عليم ... كثير الصفح عن زلل العباد

وقيل أيضا

ألذ من التلذذ بالغواني ... إذا أقبلن في حلل حسان
منيب فرّ من أهل ومال ... يسيح إلى مكان من مكان
ليخمل ذكره ويعيش فردا ... ويظفر في العبادة بالأماني
تلذذه التلاوة أين ولّى ... وذكر بالفؤاد وباللسان
وعند الموت يأتيه بشير ... يبشر بالنجاة من الهوان
فيدرك ما أراد وما تمنى ... من الراحات في غرف الجنان

وكان كرز بن وبرة يختم القرآن في كل يوم ثلاث مرات وجاهد نفسه في العبادات غاية
المجاهدة فقيل له قد أجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة آلاف سنة فقال فكم
مقدار يوم القيامة فقيل خمسون ألف سنة فقال كيف يعجز أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى
يأمن ذلك اليوم يعني أنك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم
واحد كان مقداره خمسين ألف سنة لكان ربحك كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا
فكيف وعمرك قصير والآخرة لا غاية لها فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين
في مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على
العبادة فطالع أحوال هؤلاء فإنه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة
من اقتدى بهم فهو أنجع في القلب وأبعث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة وإذا عجزت
عن هذا فلا تغفل عن سماع أحوال هؤلاء فإنه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت
على مشاهدة من اقتدى بهم فهو أنجع في القلب وأبعث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة
وإذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع أحوال هؤلاء فإن لم يكن إبل فمعزى وخيّر نفسك
بين الاقتداء بهم والكون في زمرتهم وغمارهم وهم العقلاء والحكماء وذوو البصائر
في الدين والاقتداء بالجهلة الغافلين من أهل عصرك ولا ترضى لها أن تحشر في سلك
الحمقى وتقنع بالتشبه بالأغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء فإن حركتك نفسك بأن هؤلاء
رجال أقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع أحوال النساء المجتهدات وقل لها يا نفس
لا تستنكفين أن تكوني أقل من امرأة فأخسس برجل يقصر عن امرأة في أمر دينها

ولنذكر الان شيئا من احوال المجتهدات فقد روي عن حبيبة العدوية انها كانت اذا
صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت الهي غارت
النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك ابوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي
بين يديك ثم تقبل على صلاتها فاذا طلع الفجر قالت الهي هذا الليل قد ادبر وهذا
النهار قد اسفر فليت شعري اقبلت مني ليلتي هذه فاهنا ام رددتها علي فاعزى وعزتك
لهذا دابي ودابك ما ابقيتني وعزتك لو انتهرتني من بابك ما برحت منه لما وقع في نفسي
من جودك وكرمك. ويروى عن عجردة انها كانت تحيي الليل وكانت مكفوفة
البصر فاذا كان في السحر نادت بصوت لها محزون اليك قطع العابدون دجى الليالي
يستبقون الى مغفرتك فبك يا الهي اسالك لا بغيرك ان تجعلني في اول زمرة السابقين [الى رحمتك وفضل]
وان ترفعني لديك في عليين في درجة المقربين وان تلحقني بعبادك الصالحين فانت ارحم
الراحمين واعظم العظماء واكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فتسمع
لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي الى الفجر. وقال يحيى بن بسطام كنت اشهد
مجلس شعوانة فكنت ارى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو
اتيناها اذا خلت فامرناها بالرفق بنفسها فقال انت وذاك قال فاتيناها فقلت
لها لو رفقت بنفسك واقصرت عن هذا البكاء شيئا فكان لك اقوى على ما تريدين
قال فبكت ثم قالت والله لوددت اني ابكي حتى تنفد دموعي ثم ابكي دما حتى لا تبقى
قطرة من دم في جارحة من جوارحي واني لي بالبكاء واني لي بالبكاء فلم تزل تردد

واني لي بالبكاء حتى غشي عليها. وقال محمد بن معاذ حدثتني امرأة من المتعبدات قالت رأيت في منامي
كأني ادخلت الجنة فاذا اهل الجنة قيام على ابوابهم فقلت ما شان اهل الجنة قيام فقال لي قائل
خرجوا ينظرون الى هذه المرأة التي زخرفت الجنان لقدومها فقلت من هذه المرأة فقيل امة
سوداء من اهل الابلة يقال لها شعوانة قالت فقلت اختي والله قالت فبينا انا كذلك اذ اقبل بها
على نجيبة تطير بها في الهواء فلما رايتها ناديت يا اختي اما ترين مكاني من مكانك فلو دعوت لي
مولاك فالحقني بك قالت فتبسمت الي وقالت لم يان لقدومك ولكن احفظي عني ثنين الزمي الحزن قلبك
وقدمي محبة الله على هواك ولا يضرك متى مت. وقال عبد الله بن الحسن كانت لي جارية
رومية وكنت بها معجبا وكانت في بعض الليالي نائمة الى جنبي فانتبهت فلمستها فلم اجدها
فقمت اطلبها فاذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي الا ما غفرت لي ذنوبي فقلت لها لا تقولي
بحبك لي ولكن قولي بحبي لك فقالت لا يا مولاي بحبه لي اخرجني من الشرك الى الاسلام
وبحبه لي ايقظ عيني وكثير من خلقه نيام. وقال ابو هاشم القرشي قدمت علينا امرأة
من اهل اليمن يقال لها سرية فنزلت في بعض دورنا قال فكنت اسمع لها من الليل انينا وشهيقا
فقلت يوما لخادمي اشرف على هذه المرأة فانظر ماذا تصنع قال فاشرف عليها فما رآها
تصنع شيئا غير انها لا ترد طرفها عن السماء وهي مستقبلة القبلة تقول خلقت سرية
ثم غذيتها بنعمتك من حال الى حال وكل احوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل
وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة اتراها
تظن انك لا ترى شيئا من فعالها وانت عليم خبير وانت على كل شيء قدير

كلام امراة

وقال ذو النون المصري خرجت ليلة من وادي كنعان فلما علوت الوادي اذا سواد مقبل علي وهو يقول
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبكى فلما قرب مني السواد اذا هي امراة عليها جبة صوف
وبيدها ركوة فقالت لي من انت غير فازعة مني فقلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع
الله غربة قال فبكيت لقولها فقالت لي ما الذي ابكاك فقلت وقع الدوا على داء قد قرح
فاسرع في نجاحه قالت فان كنت صادقا فلم بكيت قلت يرحمك الله والصادق لا يبكي قالت لا قلت ولم
ذاك قالت لان البكاء راحة للقلب فسكت متعجبا من قولها ﻫ وقال احمد بن علي استاذنا
على عفيرة فحجبتنا ولازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعتها وهي تقول
اللهم اني اعوذ بك ممن جاء يشغلني عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا امة الله
ادعي لنا فقالت جعل الله قراكم في بيتي المغفرة ثم قالت لنا مكث عطا السليمي اربعين سنة
لا ينظر الى السما فحانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فاصابه فتق في بطنه قالت عفيرة لا
رفعت راسها لم تعص وياليتها اذ عصت لم تعد ﻫ وقال بعض الصالحين خرجت يوما الى
السوق ومعي جارية حبشية فاجلستها في موضع بناحية السوق وذهبت في بعض حوائجي
وقلت لا تبرحي حتى انصرف اليك قال فانصرفت فلم اجدها في الموضع فانصرفت الى منزلي
وانا شديد الغضب عليها فلما رأتني عرفت الغضب في وجهي فقالت لي يا مولاي لا تعجل علي
انك اجلستني في موضع لم ار فيه ذاكرا لله تعالى فخفت ان يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها
وقلت لها انت حرة فقالت بئس ما صنعت كنت اخدمك فيكون لي اجران اما الان فقد ذهب
عني احدهما ﻫ وقال ابن العلا السعدي كانت لي ابنة عم يقال لها برة تعبدت

وكانت تكثر القراءة في المصحف فكلما اتت على آية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها
من البكاء قال فدخلنا عليها فقلنا لها يا برة كيف اصبحت فقالت اصبحنا اضيافا منيخين بارض غربة
ننتظر متى ندعى فنجيب فقلنا لها كم هذا البكاء قد ذهبت عيناك منه فقالت ان يكن لعيني عند الله
خير فما اضرهما ما ذهب منهما في الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء اطول
من هذا ثم اعرضت قال فقال القوم قوموا انها هي والله في شيء غير ما نحن فيه ﻫ
وكانت معاذة العدوية اذا جاء النهار قالت هذا يومي الذي اموت فيه فما تطعم حتى تمسي فاذا
جاء الليل تقول هذه الليلة التي اموت فيها فتصلي حتى تصبح ﻫ وقال ابو سليمان الداراني بت
ليلة عند رابعة فقامت الى محراب لها وقمت انا الى ناحية من البيت فلم تزل قائمة الى السحر
فلما كان السحر قلت ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه ان نصوم له غدا ﻫ
وكانت شعوانة تقول في دعائها الهي ما اشوقني الى لقائك واعظم رجائي لجزائك وانت الكريم
الذي لا يخيب لديك امل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهي ان كنت قد دنا اجلي ولم
يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللي فان عفوت فمن اولى منك بذلك
وان عذبت فمن اعدل منك هنالك الهي قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك
فالويل لها ان لم يسعدها الهي انك لم تزل بي برا ايام حياتي فلا تقطع عني برك بعد
مماتي ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي باحسانه ان يشفعه عند مماتي بغفرانه
الهي كيف ايأس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني الا الجميل في حياتي الهي ان كانت ذنوبي
قد اخافتني فان محبتي لك قد اجارتني فتول من امري ما انت اهله وعد بفضلك على من غره جهله

الهي لو اردت اهانتي لما هديتني ولو اردت فضيحتي لم تسترني فمتعني بما له هديتني وادم لي ما به
سترتني الهي لما اظنك تردني في حاجة افنيت فيها عمري الهي لولا ما قارفت من الذنوب
ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك ۞
وقال الخواص دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت
وصلت حتى اقعدت وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها لشيء من العفو
ليهون عليها الامر قال فشهقت ثم قالت علمي بنفسي قرح فوادي وكلم كبدي والله لوددت
ان الله لم يخلقني ولم اك شيئا مذكورا ثم اقبلت على صلوتها ۞ فعليك ان كنت من المرابطين
المراقبين لنفسك ان تطالع احوال الرجال والنساء المجتهدين لتنبعث نشاطك
ويزيد حرصك واياك ان تنظر الى اهل عصرك فانك ان تطع اكثر من في الارض يضلوك
عن سبيل الله ۞ وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرنا كفاية للمعتبر
وان اردت مزيدا فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الاولياء فهو مشتمل على شرح
احوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف عليه تستبين لك بعدك وبعد
اهل عصرك عن اهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر الى اهل زمانك وقالت انما يتيسر
الخير في ذلك الزمان لكثرة الاعوان والان فان خالفت اهل زمانك عدوك مجنونا
ويسخروا بك فوافقهم فيما هم فيه وعليه ولا يجري عليك الا ما يجري عليهم والمصيبة
اذا عمت طابت فاياك ان تنخدع بخدعها وتغتر بغرورها وقل لها ارايت
لو هجم سيل جارف يغرق اهل البلد وثبتوا على موضعهم ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم

بحقيقة الحال وقدرت انت على ان تفارقهم وتركب في سفينة لتخلصي بها من الغرق
فهل تختلج في نفسك ان المصيبة اذا عمت طابت ام تتركين موافقتهم وتستجهلينهم في
صنيعهم وتتحرين حذرك مما دهاك فاذا كنت تتركين موافقتهم خوفا من الغرق وعذاب
الغرق لا يتمادى الا ساعة فكيف لا تهربين من عذاب الابد وانت معرضة له في كل
حال ومن اين تطيب المصيبة اذا عمت ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات الى العموم
والخصوص ولم يهلك الكفار الا بموافقة اهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا اباءنا على امة
وانا على اثارهم مقتدون ۞ فعليك اذا اشتغلت بمعاقبة نفسك او حملها على الاجتهاد
واستعصت ان لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتقريعها وتعنيفها وتسو نظرها
لنفسها فعساها تنزجر عن طغيانها ۞

الآفة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها

اعلم ان اعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء ميالة
الى الشر وفرارة من الخير وامرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر
الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها
جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل
والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي اقسم الله بها وترجو ان تصير النفس
المطمئنة المدعوة الى ان تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن
ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولا بوعظ

نفسك اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس
والا فاستحي مني وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر
عندها جهلها وغباوتها وانها ابدا تتعزز بفطنتها وهدايتها ويشتد
انفها واستنكافها اذا نسبت الى الحمق فتقول لها يا نفس ما اعظم جهلك تدعين
الحكمة والذكا والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحمقا اما تعرفين ما بين يديك
من الجنة والنار وانك صايرة الى احداهما على القرب فما لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين
باللهو وانت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين او غدا فاراك
ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين ان كل ما هو ات قريب وان البعيد
ما ليس بات اما تعلمين ان الموت ياتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطاة
وانه لا ياتي في شتاء دون صيف ولا في صيف دون شتا ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار
ولا ياتي في الصبي دون الشباب ولا في الشباب دون الصبي بل كل نفس من الانفاس يمكن ان
يكون الموت فيه فجاة فيكون المرض فجاة ثم يفضي الى الموت فما لك لا تستعدين للموت
وهو اقرب اليك من كل قريب اما تتدبرين قوله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم
في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون
لاهية قلوبهم ويحك يا نفس ان كانت جراتك على معصية الله عز وجل
لاعتقادك ان الله لا يراك فما اعظم كفرك وان كان مع علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك
واقل حياءك ويحك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك بل اخ من اخوانك بما تكرهينه

كيف كان غضبك عليه ومقتك له فباي جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه
وشدة عذابه افتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربي نفسك ان الهاك
البطر عن اليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس او في بيت الحمام او قربي اصبعك من النار
ليتبين لك قدر طاقتك ام تغترين بكرم الله تعالى وفضله واستغنايه عن طاعتك
وعبادتك فما لك لا تعولين على كرم الله تعالى في مهمات دنياك واذا قصدك عدو
فلم تستنبطين الحيل في دفعه ولا تكلينه الى كرم الله تعالى واذا ارهقتك حاجة
الى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضي الا بالدينار والدرهم فما لك تنزعين الروح
في طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله تعالى حتى يعثر بك
على كنز او يسخر عبدا من عبيده فيحمل اليك حاجتك من غير سعي منك ولا طلب افتحسبين
ان الله كريم في الاخرة دون الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل لها وان رب الدنيا
والاخرة واحد وان ليس للانسان الا ما سعى ويحك يا نفس ما اعجب نفاقك ودعاويك الباطلة
فانك تدعين الايمان بلسانك واثر النفاق ظاهر عليك الم يقل لك سيدك ومولاك وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها وقال في امر الاخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فقد
تكفل لك بامر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها فكذبته بافعالك
واصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ووكل امر الاخرة
الى سعيك فاعرضت عنها اعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات
الايمان لو كان الايمان باللسان فلماذا كان المنافقون في الدرك الاسفل من النار

ويحك يا نفس كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين أنك إذا مت انفلت وتخلصت وهيهات
أتحسبين أن تتركي سدى ألم تكوني نطفة من مني يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى أليس ذلك
بقادر على أن يحيي الموتى فإن كان هذا من إضمارك فما أكفرك وأجهلك أما تتفكرين أنه
مماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم أماتك فأقبرك أفتكذبينه
في قوله ثم إذا شاء أنشرك وإن لم تكوني مكذبة فما لك لا تأخذين حذرك ولو أن يهوديا أخبرك
في ألذ طعامك بأنه يضرك في مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه
أوكان قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى في كتبه المنزلة أقل عندك تأثيرا
من قول يهودي يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل وقصور علم والعجب أنه
لو أخبرك طفل بأن في ثوبك عقربا لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة له بدليل وبرهان
أوكان قول الأنبياء والعلماء والحكماء وكافة الأولياء أقل عندك من قول صبي من جملة الأغبياء
أم صار حر جهنم وأغلالها وأنكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها
وأفاعيها وعقاربها أحقر عندك من عقرب لا تحسين بألمها إلا يوما أو أقل منه
ما هذه أفعال العقلاء بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك
فإن كنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فما لك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد
ولعله يختطفك من غير مهلة فبماذا أمنت استعجال الأجل وهب أنك وعدت
بالإمهال مائة سنة أفتظنين أن من يطعم الدابة في حضيض العقبة يفلح ويقدر
على قطع العقبة بها إن ظننت ذلك فما أعظم جهلك أرأيت لو سافر رجل

ليتفقه في الغربة فأقام فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه في السنة
الأخيرة عند رجوعه إلى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه أن تفقيه النفس
مما يطمع فيه بمدة قريبة أو حسبانه أن مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتمادا على
كرم الله سبحانه ثم هب أن الجهد في آخر العمر نافع وأنه موصل إلى الدرجات العلى
فلعل اليوم آخر عمرك فلم لا تشتغلين فيه بذلك فإن أوحي إليك بالإمهال فما المانع لك من المبادرة
وما الباعث لك على التسويف هل له سبب إلا عجزك عن مخالفة شهوتك لما فيه من التعب
والمشقة أفتنتظرين يوما يأتيك لا تعسر فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم
يخلقه الله قط ولا يخلقه فلا تكون الجنة قط إلا محفوفة بالمكاره
ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس وهذا محال وجوده أما تتأملين منذ كم
تعدين نفسك وتقولين غدا غدا فقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدته
أو ما علمت أن الغد الذي جاء وصار يوما كان له حكم الأمس لا بل ما تعجزين عنه اليوم
فأنت غدا عنه أعجز وأعجز لأن الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد بقلعها
فإذا عجز عن قلعها للضعف وأخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي
فأخرها إلى سنة أخرى مع العلم بأن طول المدة تزيد الشجرة قوة ورسوخا
وتزيد القالع ضعفا ووهنا فما لا يقدر عليه في الشباب فلا يقدر عليه
قط في المشيب بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والقضيب
الرطب يقبل الانحناء فإذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك فإذا كنت أيتها النفس

لا تهمين من هذه الامور الجلية وتركنين الى التسويف فما لك تدعين الحكمة وانت حماقة
تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما يمنعني عن الاستقامة الا حرصي على لذة الشهوات
وقلة صبري على الالام والمشقات فما اشد غباوتك واقبح اعتذارك ان كنت صادقة
في ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدايمة ابد الاباد ولا مطمع في ذلك
الا في الجنة فان كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها فرب اكلة تمنع اكلات
وما قولك في عقل مريض اشار عليه الطبيب بترك الما البارد ثلاثة ايام ليصح ويتهنا بشربه
طول عمره واخبره انه ان شرب ذلك مرض مرضا مزمنا وامتنع عليه شربه طول عمره
فما مقتضى العقل في قضا حق الشهوة أيصبر ثلاثة ايام ليتنعم طول العمر ام يقضي
شهوته في الحال خوفا من الم المفارقة ثلاثة ايام حتى يلزمه الم المخالفة
ثلثماية يوم وثلاثة الف يوم وجميع عمرك بالاضافة الى الابد الذي هو مدة نعيم اهل الجنة
وعذاب اهل النار اقل من ثلاثة ايام بالاضافة الى جميع العمر وان طالت مدته
فليت شعري الم الصبر عن الشهوات اعظم شدة واطول مدة او الم النار في دركات جهنم
فمن لا يطيق الصبر على الم المجاهدة كيف يطيق الم عذاب الله تعالى ما اراك تتوانين عن النظر لنفسك
الا لكفر خفي او لحمق جلي اما الكفر الخفي فهو ضعف ايمانك بيوم الحساب وقلة
معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب واما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه
من غير التفات الى مكره واستدراجه واستغنايه عن عبادتك مع انك لا تعتمدين
على كرمه في لقمة من الخبز او حبة من المال او كلمة واحدة تسمعينها من الخلق

بل تتوصلين الى غرضك في ذلك بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله ويحك يا نفس لا ينبغي ان تغرك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري لنفسك
فما امرك بمهم لغيرك ولا تضيعي اوقاتك فالانفاس معدودة فاذا مضى منك نفس فقد ذهب
بعضك فاغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم
والحياة قبل الموت واستعدي للاخرة على قدر بقايك فيها يا نفس اما تستعدين للشتا
بقدر طول مدته فتجمعين له القوت والكسوة والحطب وجميع الاسباب ولا تتكلين
في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب وغير
ذلك فانه قادر على ذلك افتظنين ايتها النفس ان زمهرير جهنم اخف بردا
واقصر مدة من زمهرير الشتا ام تظنين ان العبد ينجو منها بغير سعي هيهات
كما لا يندفع برد الشتا الا بالجبة والنار وساير الاسباب فلا يندفع حر النار وبردها
الا بحصن التوحيد وخندق الطاعات وانما كرم الله تعالى في ان عرفك طريق التحصن
ويسر لك اسبابه لا في ان يدفع عنك العذاب دون حصنه كما ان كرم الله تعالى في دفع
برد الشتا ان خلق النار وهداك لطريق استخراجها من بين حديدة وحجر حتى تدفع بها
برد الشتا عن نفسك وكما ان شرا الحطب والجبة مما يستغني عنه خالقك ومولاك
وانما تشترينه لنفسك اذ خلقه سببا لاستراحتك فطاعاتك ومجاهداتك
ايضا هو مستغن عنها وانما هي طريقك الى نجاتك فمن احسن فلنفسه ومن اسا

وقيسي آخرتك بدنياك فما
فعلتها والله غنيّ عن العالمين ويحك يا نفس انزعي عن جهلك
خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بدانا اول خلق نعيده وكما بداكم تعودون وسنة
الله تعالى لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا ويحك يا نفس ما اراك الا الفت الدنيا وانست بها
فعسر عليك مفارقتها وانت مقبلة على مقاربتها وتوكدين في نفسك مودتها فاحسبي انك
غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن اهوال القيمة واحوالها فما انت مومنة بالموت المفرق
بينك وبين محابك افترى ان من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر ومد بصره الى وجه
مليح يعلم انه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لا محالة الى مفارقته اهو معدود
من العقلا او من الحمقى اما تعلمين ان الدنيا دار الملك الملوك وما لك فيها الا مجاز وكل ما
فيها لا يصحب المجتاز بها بعد الموت ولذلك قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم ان
روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزي به
وعش ما شئت فانك ميت ويحك يا نفس اما تعلمين ان كل من يلتفت الى ملاذ الدنيا
ويانس بها مع ان الموت من ورائه فانما يستكثر من الحسرة عند المفارقة
وانما يتزود من السم المهلك وهو لا يدري اوما تنظرين الى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا
ثم ذهبوا وخلوا وكيف اورث الله ارضهم وديارهم اعداءهم اما تراهم كيف يجمعون
ما لا ياكلون ويبنون ما لا يسكنون ويأملون ما لا يدركون يبني كل واحد قصرا مرفوعا
الى جهة السما ومقره قبر محفور تحت الارض فهل في الدنيا حمق وانتكاس
اعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا ويخرب آخرته

وهو صاير اليها قطعا اما تستحيين يا نفس من مساعدة هولا على حماقتهم واحسبي انك لست ذات
بصيرة تهتدين الى هذه الامور وانما تميلين بالطبع الى التشبه والاقتدا فقيسي عقل
عقل الانبيا والعلما والحكما بعقل هولا المكبين على الدنيا واقتدي من الفريقين
بمن هو اعقل عندك ان كنت تعتقدين في نفسك العقل والذكا يا نفس ما اعجب امرك واشد
جهلك واظهر طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور الواضحة الجلية
ولعلك يا نفس اسكرك حب الجاه وادهشك عن فهمها اوما تتفكرين ان الجاه لا معنى له
الا ميل القلوب من بعض الناس اليك فاحسبي ان كل من على وجه الارض سجد لك واطاعك
افما تعرفين انه بعد خمسين سنة لا تبقين انت ولا احد ممن على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك
وسياتي زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر من ذكرك كما اتى على الملوك الذين كانوا من قبلك فهل
تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فكيف تبيعين يا نفس ما يبقى ابد الآباد بما لا يبقى اكثر
من خمسين سنة ان بقي هذا ان كنت ملكا من ملوك الارض سلم لك الشرق والغرب حتى اذعنت
لك الرقاب وانتظمت لك الاسباب كيف ومن ادبارك وشقاوتك لن يسلم لك امر
محلتك بل امر دارك فضلا عن محلتك فان كنت يا نفس لا تتركين الدنيا رغبة في الآخرة
لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترفعا عن خسة شركائها وتنزها عن كثرة
عنائها وتوقيا من سرعة فنائها ام ما لك لا تزهدين في قليلها بعد ان زهد فيك
كثيرها وما لك تفرحين بدنيا ان ساعدتك فلا تخلو بلدك عن جماعة من اليهود والمجوس
يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها واف لدنيا يسبقك بها هولا الاخسة

وا جهلك وا خسة همتك وا سقط رايك اذ رغبت عن ان تكوني في زمرة المقربين الصديقين
والنبيين في جوار رب العالمين ابد الابدين لتكوني في صف النعال من جملة الحمقى الى اهلين اياما قلايل
فيا حسرة عليك اذ خسرتها الدنيا والدين فبادري ويحك يا نفس فقد اشرفت على الهلاك
واقترب الموت وورد النذير من ذا الذي يصلي عنك بعد الموت ومن ذا الذي يصوم عنك بعد الموت
ومن ذا الذي يرضي عنك ربك بعد الموت   ويحك يا نفس ما لك الا ايام معدودة هي بضاعتك
ان اتجرت فيها وقد ضيعت اكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرة
في حق نفسك فكيف اذا ضيعت البقية واصررت على عادتك   اما تعلمين يا نفس ان
الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود انيسك والفزع الاكبر بين يديك
اما علمت يا نفس ان عسكر الموتى بباب البلد ينتظرونك وقد آلوا كلهم على انفسهم بالايمان المغلظة
انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يأخذوك معهم   اما تعلمين يا نفس انهم يتمنون الرجعة الى الدنيا
يوما ليشتغلوا بتدارك ما فرطوا فيه وانت في امنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها
لاشتروه لو قدروا عليه وانت تضيعين ايامك في الغفلة والبطالة   ويحك يا نفس اما تستحيين
تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله تعالى في السر بالعظائم افتستحيين من الخلق ولا تستحيين
من الخالق ويحك اهو اهون الناظرين عليك اتامرين الناس بالخير وانت متلطخة بالرذائل
تدعين الى الله وانت عنه فارة وتذكرين بالله وانت له ناسية اما تعلمين يا نفس ان المذنب
انتن من العذرة وان العذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين في تطييب غيرك وانت غير طيبة
في نفسك ويحك يا نفس لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت ان الناس ما يصيبهم بلاء

الا بشومك   ويحك يا نفس قد جعلت نفسك حمارا لابليس يقودك الى حيث يريد ويسخر بك ومع هذا
تعجبين بعملك وفيه من الآفات ما لو نجوت منها راسا براس لكان الربح في يديك وكيف تعجبين
بعملك مع كثرة خطاياك وقد لعن الله ابليس بخطيئة واحدة بعد ان عبده مائتي الف سنة
واخرج آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه   ويحك يا نفس ما اغدرك
ويحك يا نفس ما اوقحك ويحك يا نفس ما اجهلك وما اجراك على المعاصي ويحك كم تعقدين فتنقضين
ويحك كم تعهدين فتغدرين   ويحك يا نفس اتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كانك
غير مرتحلة عنها اما تنظرين الى اهل القبور كيف كانوا جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا
واملوا بعيدا فاصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا واملهم غرورا   ويحك يا نفس
اما لك بهم عبرة اما لك اليهم نظرة اتظنين انهم دعوا الى الآخرة وانت من المخلدين هيهات
هيهات ساء ما تتوهمين ما انت الا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فابني على وجه
الارض قصرك فان بطنها عن قليل يكون قبرك   اما تخافين اذا بلغت النفس منك التراقي
ان تبدو رسل ربك منحدرة اليك بسواد الالوان وكلح الوجوه وبشرى العذاب
فهل ينفعك حينئذ الندم او يقبل منك الحزن او يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك
يا نفس انك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك انك تفرحين كل يوم بزيادة
مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك وما نفع مال يزيد وعمر ينقص   ويحك يا نفس تعرضين
عن الآخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك وكم من مستقبل يوما
لا يستكمله وكم من مؤمل لغد لم يبلغه وانت تشاهدين ذلك في اخوانك واقاربك

حيرتك وتزيد حسرتهم عند الموت ثم لا يرجعون عن جهالتك فاحذري ايتها النفس المسكينه
يوما اتى الله تعالى فيه على نفسه ان لا يترك عبدا امره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله
كيفه وجليله وسره وعلانيته فانظري يا نفس بادري بتحقيق بينه وباي لسان تجيبين
واعدي للسؤال جوابا وللجواب صوابا واعملي في بقيه عمرك في ايام قصار لايام طوال
وفي دار زوال لدار مقامه وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود اعملي قبل ان لا
تعملي اخرجي من الدنيا اختيارا خروج الاحرار قبل ان تخرجي منها على الاضطرار ان
ولا تفرحي بما تساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون ورب مغبون لا يشعر
فويل لمن له الويل ثم لا يشعر يضحك ويفرح ويلهو ويمرح وياكل ويشرب وقد حق
له في كتاب الله انه من وقود النار فليكن نظرك يا نفس الى الدنيا اعتبارا
وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك للاخره ابتدارا ولا تكوني
ممن يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزياده فيما بقي وينهى الناس ولا ينتهي واعلمي يا نفس انه
ليس للدين عوض ولا للايمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار
فانه يسار به وان لم يسر فاتعظي يا نفس بهذه الموعظه واقبلي هذه النصيحه
فان من اعرض عن الموعظه فقد رضي بالنار وما اراك بها راضيه ولا لهذه
الموعظه واعيه فان كانت القساوه تمنعك عن قبول الموعظه فاستعيني عليها
بدوام التهجد والقيام فان لم تزل فبالمواظبه على الصيام فان لم تزل فبقله المخالطه
والكلام فان لم تزل فبصله الارحام واللطف بالايتام فان لم تزل فاعلمي ان الله تعالى

قد طبع على قلبك واقفل عليه وانه قد تراكمت ظلمه الذنوب على ظاهره وباطنه
فوطني نفسك على النار فقد خلق الله تعالى الجنه وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها
اهلا وكل ميسر لما خلق له فان لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطي من نفسك والقنوط
كبيره من الكبائر نعوذ بالله من ذلك فلا سبيل لك الى القنوط ولا سبيل لك الا الرجا
مع اليأس ان احاطه الخيبه عليك فان ذلك اغترار ولست بمرجاة فانظري الان هل تحزن
حزنا على هذه المصيبه التي ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعه رحمه منك على نفسك
فان سمحت فمستقى الدمع من بحر الرحمه فقد بقي فيك موضع للرجا فواظبي على النياحه
والبكا واستغيثي بارحم الراحمين واشتكي الى اكرم الاكرمين وادمني الاستغاثه
ولا تملي طول الشكايه لعله ان يرحم ضعفك ويغيثك فان مصيبتك قد عظمت
وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وراحت عنك
العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا منجا ولا ملجا الا الى مولاك
وافزعي اليه بالتضرع واخشعي في تضرعك على قدر عظم جهلك وكثره ذنوبك لانه
يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوه المضطر وقد
اصبحت اليه مضطره والى رحمته محتاجه وقد ضاقت بك السبل وانسدت
عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظات ولم يكسرك التوبيخ
والمطلوب منه كريم والمسؤول جواد والمستغاث به بر رؤوف والرحمه
واسعه والكرم فايض والعفو شامل وقولي يا ارحم الراحمين يا رحمن يا رحيم

يا حليم يا عظيم يا كريم انا المذنب المصر انا الجري الذي لا اقلع انا المتمادي الذي لا استحي
هذا مقام المتضرع المستكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق
فعجل اغاثتي وفرجي وارني اثار رحمتك واذقني برد عفوك ومغفرتك وارزقني قوة
عصمتك يا ارحم الراحمين اقتدا بابيك ادم عليه السلام فقد قال وهب بن منبه لما
اهبط الله تعالى ادم الى الارض مكث لا ترقا له دمعة فاطلع الله عز وجل
عليه في اليوم السابع وهو محزون كئيب كظيم منكس راسه فاوحى الله تعالى اليه يا ادم
ما هذا الجهد الذي ارى بك قال يا رب عظمت مصيبتي واحاطت بي خطيئتي واخرجت
من ملكوت ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقا بعد السعادة
وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلا بعد العافية وفي دار الزوال
بعد القرار وفي دار الموت والفنا بعد الخلود والبقا وكيف لا ابكي على خطيئتي
فاوحى الله تعالى اليه يا ادم الم اصطفك لنفسي واحللتك داري وخصصتك بكرامتي
وحذرتك سخطي الم اخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي واسجدت لك ملايكتي
فعصيت امري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي لو ملات الارض رجالا
كلهم مثلك يعبدونني ويسبحونني ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين فبكى ادم
عند ذلك ثلثمايه عام ⁂ وكان عبيد الله البجلي كثير البكا يقول في بكايه
طول ليله الهي انا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي انا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت
لي شهوة اخرى وا عبيداه خطيئة لم تبل وصاحبها في طلب اخرى وا عبيداه

ان كانت النار لك مقيلا وماوى وا عبيداه ان كانت المقامع لراسك تهيا وا عبيداه
ان نسيت حاجة الطالبين ولعل حاجتي لا تقضى ⁂ وقال منصور بن عمار سمعت في بعض الليالي
بالكوفة عابدا يناجي ربه وهو يقول يا رب وعزتك ما اردت بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك
اذ عصيتك وانا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا بنظرك مستخف ولكن سولت لي
نفسي واعانني على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخى علي فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي
فمن عذابك الان من يستنقذني وبحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني واسوأتاه من الوقوف
بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا امع المخفين اجوز ام مع المثقلين
احط ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي فالى متى
اتوب والى متى اعود اما ان لي ان استحي من ربي ⁂ فهذه طرق القوم في مناجاة
مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وانما مطلبهم من المناجاة الاسترضا ومقصدهم
من المعاتبة التنبيه والاسترعا فمن اهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه
مراعيا ويوشك ان لا يكون الله تعالى عنه راضيا والله اعلم ⁂ اخر كتاب المحاسبة

كتاب التفكر

وهو الكتاب التاسع من ربع المنجيات من كتاب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لم يقدر لانتها عزته نحوا ولا قطرا ولم يجعل لمرقى اقدام الاوهام

ومرمي سهام الافهام الى حمى عظمته مجرى بل ترك قلوب الطالبين في بيدا كبريايه والهة حيرى كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا واذا همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا صبرا ثم قيل لها اجيلي في ذل العبودية منك فكرك لانك لو تفكرت في جلال الربوبية لم تقدري له قدرا وان طلبت ورا الفكر في صفاتك امرا فانظري في نعم الله تعالى واياديه كيف توالت عليك تترا وجددي لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتاملي في بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا ونفعا وضرا وعسرا ويسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطيا ونشرا وايمانا وكفرا وعرفانا ونكرا وان جاوزت النظر في الافعال الى النظر في الذات فقد حاولت امرا امرا وخاطرت بنفسك مجاوزة حد طاقة البشرية ظلما وجورا فقد انبهرت العقول دون مبادي اشراقه وانتكصت على اعقابها اضطرارا وقهرا والصلوة على محمد سيد ولد آدم وان كان لم يعد سيادته فخرا صلوة تبقى لنا في عرصات القيمة عدة وذخرا وعلى آله واصحابه الذين اصبح كل واحد منهم في سماء الدين بدرا ولطوائف المسلمين صدرا وسلم كثيرا

اما بعد فقد وردت السنة بان تفكر ساعة خير من عبادة سنة وكثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى ان الفكر هو مفتاح الانوار ومبدا الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم واكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصادره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلموا انه كيف يتفكر وفيماذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به اهو مراد لعينه ام لثمرة تستفاد منه وان كان لثمرة فما تلك الثمرة اهي من العلوم او من الاحوال ام منهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر اولا فضيلة التفكر ثم حقيقة التفكر وثمرته ثم مجاري الفكر ومسارحه ان شا الله

فضيلة التفكر

قد امر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى واثنى على المتفكرين فقال الذين يتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقد قال ابن عباس ان قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج على قوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل فقال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب ارضا بيضا نورها بياضها او بياضها نورها مسيرة الشمس اربعين يوما بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله عز وجل طرفة عين قالوا يا رسول الله فاين الشيطان عنهم قال ما يدرون خلق الشيطان ام لا قالوا ومن ولد آدم هم قال لا يدرون خلق آدم ام لا

وعن عطا قال انطلقت انا وعبيد بن عمير الى عايشة رضي الله عنها فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول النبي صلى الله عليه وسلم

زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فاخبرينا باعجب شي رايته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت
ثم قالت كل امره كان عجبا اتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني اتعبد لربي عز وجل
فقام الى القربة فتوضا منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع
على جنبه حتى اتى بلال يوذنه بصلوة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما
تقدم من ذنبك وما تاخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعني ان ابكي وقد انزل الله تعالى علي في هذه
الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب ثم قال ويل لمن
قراها ولم يتفكر فيها فقيل للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال يقراهن ويعقلهن
وعن محمد بن واسع ان رجلا من اهل البصرة ركب الى ام ذر بعد موت ابي ذر فسالها عن عبادة
ابي ذر فقالت كان نهاره اجمع في ناحية البيت يتفكر وعن الحسن قال تفكر ساعة
خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مراة تريك حسناتك وسيياتك
وقيل لابرهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل وكان سفيان بن عيينه
كثيرا ما يتمثل ويقول

اذا المرء كانت له فكرة ... ففي كل شي له عبرة

وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى عليه السلم يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك
فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلي
وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن
نظره اعتبارا فهو لهو وفي قول الله عز وجل ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون

(في الهامش: بل)
(في الهامش: ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها)

في الارض بغير الحق قال امنع قلوبهم التفكر في امري وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها
من العبادة قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجايبه وعن امراة كانت تسكن
البادية قريبا من مكة انها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ادخر لها في حجب الغيوب
من خير الاخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تقر لهم في الدنيا عين وكان لقمان يطيل الجلوس
وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان انس لك
فيقول لقمان ان طول الوحدة افهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الجنة
وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امري قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل وقال عمر بن عبد العزيز
الفكرة في نعم الله عز وجل من افضل العبادة وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن علي
وراه ساكتا متفكرا اين بلغت قال الصراط وقال بشر لو تفكر الناس في عظمة الله
تعالى ما عصوا الله عز وجل وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب
وبينا ابو شريح يمشي اذ جلس فتقنع بكسايه فجعل يبكي فقلنا ما يبكيك قال تفكرت في ذهاب
عمري وقلة عملي واقتراب اجلي وقال ابو سليمان عودوا اعينكم البكا وقلوبكم التفكر
وقال ابو سليمان الفكر في الدنيا حجاب عن الاخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر
في الاخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر
يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف وقال ابن عباس رضي الله عنهما التفكر في الخير
يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه ويروى ان الله تعالى قال في بعض كتبه

(في الهامش: الفكر في الدنيا حجاب عن الاخرة والفكرة في الاخرة يورث الحكمة)

ان لست اقرا كلام الحكيم ولكن انظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم. وقال الحسن ان اهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة. وقال اسحق بن خلف كان داود الطائي رحمه الله على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السماوات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن انه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك. وقال الجنيد اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ثم قال يا لها من مجالس ما اجلها ومن شراب ما الذه طوبى لمن رزقه. وقال الشافعي رحمه الله استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكرة. وقال ايضا صحة النظر في الامور نجاة من الغرور والعزم في الراي سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة العلماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل ان تعزم وتدبر قبل ان تهجم وشاور قبل ان تقدم. وقال ايضا الفضائل اربع احداها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها في الشهوة والثالثة القوة وقوامها في الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس. فهذه اقاويل العلماء في الفكرة وما شرع احد منهم في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها.

بيان حقيقة الفكر وثمرته

اعلم ان معنى الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ومثاله ان من مال الى العاجلة وآثر الحياة الدنيا واراد ان يعرف ان الآخرة اولى بالايثار من العاجلة فله طريقان احدهما ان يسمع من غيره ان الآخرة اولى بالايثار فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الامر فيميل بعمله الى ايثار الآخرة اعتمادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثاني ان يعرف ان الابقى اولى بالايثار ثم يعرف ان الآخرة ابقى فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهي ان الآخرة اولى بالايثار ولا يمكن تحقق المعرفة بان الآخرة اولى بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به الى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتاملا وتدبرا اما التدبر والتامل والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد وليس تحتها معان مختلفة. واما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وان كان اصل المسمى واحدا كما ان اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته الى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزوائد فكذلك الاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين من حيث انه يعبر منهما الى معرفة ثالثة فان لم يقع العبور ولم يكن الا الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار. واما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان فيه طلب معرفة ثالثة فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا

قضية حملية وهي الابقى اولى بالايثار والآخرة ابقى

معنى التذكر والاعتبار

فايده الفكر والذكر والفكر اخص منه

وكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا وفايده التذكار تكرار المعارف على القلب
لترسخ ولا تنمحى عن القلب وفايده التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفه ليست حاصله
فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر والمعارف اذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب
مخصوص اثمرت معرفه اخرى فالمعرفه نتاج المعرفه فاذا حصلت معرفه اخرى
وازدوجت مع معرفه اخرى حصل من ذلك نتاج اخر وهكذا يتمادى النتاج ويتمادى العلوم
ويتمادى الفكر الى غير نهايه وانما تنسد طريق زياده المعارف بالموت او العوائق هذا
لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدى الى طريق التفكر واما اكثر الناس فانما
منعوا الزياده في العلوم لفقدهم راس المال وهى المعارف التى بها تستثمر العلوم كالذى
لا بضاعه له فانه لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعه ولكن لا يحسن صناعه التجاره
فلا يربح شيئا فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو راس مال العلوم ولكنه
ليس يحسن استعمالها وتاليفها وايقاع الازدواج المفضى الى النتاج فيها ومعرفه طريق
الاستعمال والاستثمار تاره يكون بنور الهى في القلب يحصل بالفطره كما كان للانبيا عليهم السلم
وذلك عزيز جدا وقد يكون بالتعلم والممارسه وهو الاكثر ثم المتفكر قد تحضره
هذه المعارف ويحصل له الثمره وهو لا يشعر بكيفيه حصولها ولا يقدر على التعبير
عنها لقله ممارسته لصناعه التعبير في الايراد فكم من انسان يعلم ان الاخره اولى بالايثار
علما حقيقيا ولو سيل عن سبب معرفته لم يقدر على ايراده والتعبير عنه مع
انه لم يحصل معرفته الا عن المعرفتين السابقتين وهو ان الابقى اولى بالايثار وان الاخره

لا تزداد المعرفه بعد الموت

ابقى من الدنيا فيحصل له معرفه ثالثه وهو ان الاخره اولى بالايثار فرجع حاصل حقيقه
الفكر الى احضار معرفتين للتوصل بهما الى معرفه ثالثه واما ثمره الفكر فهى
العلوم والاحوال والاعمال ولكن ثمرته الخاصه العلم لا غير نعم اذا حصل العلم في القلب
تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغيرت اعمال الجوارح فالعمل تابع الحال والحال
تابع العلم والعلم تابع الفكر فالفكر اذا هو المبدا والمفتاح للخيرات كلها
وهذا هو الذى يكشف لك عن فضيله التفكر وانه خير من الذكر والتذكر لان الفكر
ذكر وزياده وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر فاذن
التفكر افضل من جمله الاعمال ولذلك قيل تفكر ساعه خير من عباده سنه
فقيل هو الذى ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرغبه والحرص الى الزهد والقناعه
وقيل هو الذى يحدث مشاهده وتقوى ولذلك قال تعالى لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا
وان اردت ان تفهم كيفيه تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من امر الاخره
فان الفكر فيه يعرفنا ان الاخره اولى بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفه يقينا في
قلوبنا تغيرت القلوب الى الرغبه في الاخره والزهد في الدنيا وهذا ما عنيناه
بالحال اذ كان حال القلب قبل هذه المعرفه حب العاجله والميل اليها والنفره
عن الاخره وقله الرغبه فيها وبهذه المعرفه تغير حال القلب وتبدلت ارادته
ورغبته ثم اثمر تغير الاراده اعمال الجوارح في اطراح الدنيا والاقبال على
اعمال الاخره فها هنا خمس درجات اولها التذكر وهو احضار المعرفتين في القلب

ثمره الفكر

الفكر خير من ذكر القلب وذكر القلب خير من عمل الجوارح

خمس درجات

وثانيها التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منهما والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء بها الموضع فتصير العين مبصرة بعد ان لم تكن مبصرة وتنتهض الاعضا للعمل فكذلك زناد نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تأليفا مخصوصا كما تضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما ينبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل الى ما لم يكن يميل اليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنتهض الاعضا للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند ادراك البصر ما لم يكن يبصره فاذن ثمرة الفكر العلوم والاحوال والعلوم لا نهاية لها والاحوال التي تتصور ان تنقلب على القلب لا يمكن حصرها ولهذا لو اراد مريد ان يحصر فنون الفكر ومجاريه وانه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لان مجاري الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية نعم نجتهد في ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية وبالاضافة الى الاحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جمليا فان تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فانها مشتملة على علوم تلك العلوم تستفاد من افكار مخصوصة فلنشر الى الضبط الجامع منها ليحصل

مثال القضيتين المقدمتين والحجر والنتيجة كالنار

الوقوف على مجاري الفكر ٢

بيان مجاري الفكر

اعلم ان الفكر قد يجري في امر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين وانما غرضنا ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الاخر ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب تعالى فجميع افكار العبد اما ان يتعلق بالعبد وصفاته واحواله واما ان يتعلق بالمعبود وصفاته وافعاله لا يمكن ان يخرج عن هذين القسمين وما يتعلق بالرب تعالى اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمائه الحسنى واما ان يكون نظرا في افعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الاقسام بمثال وهو ان حال السائرين الى الله تعالى والمشتاقين الى لقائه تضاهي حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر مثالا فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو فكره ان يتعلق بمعشوقه او يتعلق بنفسه فان تفكر في معشوقه فاما ان يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته ليتنعم بالفكر فيه وبمشاهدته واما ان يتفكر في افعاله اللطيفة الحسنة الدالة على اخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفا للذته ومقويا لمحبته وان تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه عن عين محبوبه حتى يتنزه عنها او في الصفات التي تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف بها فان تفكر في شيء خارج عن هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل ما استغرق العاشق واستوفى القلب

حتى لا يشترك فيه متسعا لغيره من حب الله تعالى ينبغي أن يكون كذلك ولا تعدو نظره وفكره
محبوبه ومهما كان تفكره محصورا في هذه الأقسام الأربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة
أصلا فليبدأ بالقسم الأول وهو تفكره في صفات نفسه وأفعال نفسه ليميز المحبوب منها
عن المكروه فإن هذا الفكر هو الذي يتعلق بعلم المعاملة الذي هو مقصود هذا الكتاب
وأما القسم الآخر فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله أو محبوب
ينقسم إلى ظاهر كالطاعات والمعاصي وإلى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التي
محلها القلب وذكرنا تفصيلها في ربع المهلكات والمنجيات والطاعات والمعاصي تنقسم
إلى ما يتعلق بالأعضاء السبعة وإلى ما ينسب إلى جميع البدن كالفرار من الزحف وعقوق
الوالدين والسكون في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلاثة أمور
الأول التفكر في أنه هل هو مكروه عند الله أم لا فرب شيء لا يظهر كونه
مكروها بل يدرك بدقيق النظر والثاني التفكر في أنه إن كان مكروها
فما طريق الاحتراز عنه والثالث أن هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه
أو هو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه أو قارفه فيما مضى من الأحوال فيحتاج
إلى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم هذه الانقسامات وإذا جمعت
هذه الأقسام زادت مجاري الفكر في هذه الأقسام على مائة والعبد مدفوع
إلى التفكر إما في جميعها أو في أكثرها وشرح آحاد هذه الأقسام يطول
ولكن الحصر هذا القسم في أربعة أنواع الطاعات والمعاصي والصفات المهلكات

والصفات المنجيات فلنذكر في كل نوع مثالا ليقيس به المريد سائرها وينفتح له باب
الفكر ويتسع عليه طريقه. النوع الأول المعاصي ينبغي أن يفتش العبد صبيحة
كل يوم جميع أعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية
بها فيتركها أو لابسها بالأمس فيتداركها بالترك والندم أو هو متعرض لها في نهاره
فيستعد للاحتراز والتباعد منها فينظر في اللسان ويقول إنه متعرض للغيبة
والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والممازحة والخوض
فيما لا يعني إلى غير ذلك من المكاره فيقرر أولا في نفسه أنها مكروهة عند الله
ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في أحواله
أنه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر أنه كيف يحترز منها ويعلم
أنه لا يتم له ذلك إلا بالعزلة والانفراد أو بأن لا يجالس إلا صالحا تقيا ينكر
عليه مهما تكلم بما يكرهه الله تعالى وإلا فيضع حجرا في فيه إذا جالس غيره حتى يكون ذلك
مذكرا له فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز. ويتفكر في سمعه
أنه يصغي به إلى الغيبة والكذب وفضول الكلام وإلى اللهو والبدعة وأن ذلك
إنما يسمعه من زيد ومن عمرو وأنه كيف ينبغي أن يحترز منهم بالاعتزال أو بالنهي
عن المنكر مهما سمع ذلك. ويتفكر في بطنه أنه إنما يعصي الله فيه بالأكل
والشرب إما بكثرة الأكل من الحلال فإن ذلك مكروه عند الله ومقوي
للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله وإما بأكل الحرام أو الشبهة

فينظر اين مطعمه وملبسه ومسكنه وما مكسبه ويتفكر في طرق الحلال
ومداخله ثم يتفكر في وجوه الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز عن الحرام ويقرر
على نفسه ان العبادات كلها ضايعة مع اكل الحرام وان اكل الحلال هو اساس
العبادات كلها وان الله تعالى لا يقبل صلوة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر به
(في الحاشية: لا يقبل صلوة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام)
فهكذا يتفكر في اعضايه ففي هذا القدر كفاية عن الاستقصا فمهما حصل
بالتفكر حقيقة المعرفة بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضا
عنها واما النوع الثاني وهو الطاعات فينظر اولا في الفرايض المكتوبة عليه انه
كيف يوديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير او كيف يجبر نقصانها بكثرة
النوافل ثم يرجع الى عضو عضو فيتفكر في الافعال التي تتعلق بها مما يحبه الله تعالى
فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض عبرة ولتستعمل في طاعة الله
وينظر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وانا قادر على ان اشغل العين
بمطالعة القران والسنة فلم لا افعله وانا قادر على ان انظر الى فلان المطيع بعين
التعظيم فادخل السرور على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء فازجره
بذلك عن معصيته فلم لا افعله وكذلك يقول في سمعه اني قادر على استماع
كلام ملهوف او استماع حكمة وعلم او استماع قراءة وذكر فما لي اعطله وقد انعم
الله تعالى به علي واودعنيه لاشكره فما لي اكفر نعمة الله فيه بتضييعه وتعطيله
وكذلك يتفكر في اللسان ويقول اني قادر على ان اتقرب الى الله تعالى

بالتعليم والوعظ وبالتودد الى قلوب اهل الصلاح وبالسوال عن احوال الفقرا وادخال
السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة
وكذلك يتفكر في ماله فيقول انا قادر على ان اتصدق بالمال الفلاني فاني مستغن عنه ومهما
احتجت اليه رزقني الله مثله وان كنت محتاجا الان فانا الى ثواب الايثار احوج مني
الى ذلك المال وهكذا يفتش عن اعضايه وجملة بدنه وامواله بل عن دوابه وغلمانه
واولاده فان كل ذلك ادواته واسبابه ويقدر على ان يطيع الله تعالى بها فيستنبط
بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيما يرغبه في البدار الى
تلك الطاعات ويتفكر في اخلاص النية ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى
يزكوا بها عمله وقس على هذا ساير الطاعات واما النوع الثالث فهي الصفات
المهلكة التي محلها القلب فيعرفها مما ذكرناه في ربع المهلكات وهي استيلا الشهوة
والغضب والبخل والكبر والعجب والريا والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور
وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه منزه عنها
فيتفكر في كيفية امتحانه والاستشهاد بالعلامات عليه فان النفس
ابدا تعد بالخير من نفسها وتخلف فاذا ادعت التواضع والبراة من الكبر فينبغي
ان تجرب بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الاولون يجربون به انفسهم واذا
(في الحاشية: تجربة التواضع والحلم)
ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم تجربها في كظم الغيظ وكذلك
في ساير الصفات وهذا تفكر في انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة

ام الاولى لك علامات ذكرناها في ربع المهلكات فاذا دلت العلامة على وجودها فكر
في الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده وتبين ان منشاها من الجهل والغفلة
وخبث الدخلة كما لو راى في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر ويقول انما عملي ببدني وجارحتي
وبقدرتي وارادتي وكل ذلك ليس مني ولا الي وانما هو من خلق الله وفضله علي

مداواة العجب والكبر والشره والغضب وغيره

فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وارادتي وهو الذي حرك اعضاي
بقدرته وقدرتي وارادتي فكيف اعجب بعملي او بنفسي ولا قوام لنفسي بنفسي
واذا احس في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها
لم ترين نفسك اكبر والكبير من هو كبير عند الله تعالى وذلك ينكشف بعد الموت
وكم من كافر في الحال يموت مقربا الى الله تعالى بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم
يموت شقيا بتغير حاله عند الموت بسوء الخاتمة فاذا عرف ان
الكبر مهلك وان اصله الحماقة فيتفكر في علاج ازالة ذلك بان يتعاطى افعال
المتواضعين فاذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه يتفكر في ان هذه صفة
البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله تعالى
وصفات الملائكة كالعلم والقدرة وكلما اتصف به البهائم ومهما كان الشره
عليه اغلب كان بالبهائم اشبه وعن الملائكة المقربين ابعد وكذلك يقرر على
نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب
فمن يريد ان يتسع له طريق الفكر فلا بد له من تحصيل ما في هذه الكتب

واما النوع الرابع وهو المنجيات فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء
والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله وتعظيمه والرضا
بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا اسبابه
وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من هذه الصفات

المقربات الى الله تثمرها علوم وتثمر العلوم التفكر

التي هي المقربة الى الله تعالى فاذا افتقر الى شيء منها فليعلم انها احوال لا يثمرها الا
علوم وان العلوم لا يثمرها الا افكار فاذا اراد ان يكتسب لنفسه حال التوبة والندم

اكتساب التوبة والشكر والمحبة والخوف والرجا

فليفتش ذنوبه اولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه ثم لينظر
في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيها وليتحقق عند نفسه انه متعرض
لمقت الله به حتى ينبعث له حال الندم واذا اراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في
احسان الله اليه واياديه عليه وفي ارسال جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه
في كتاب الشكر وليطالع ذلك واذا اراد حال المحبة والشوق فليتفكر في جلال الله
وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب حكمته وبدائع صنعه كما
سنشير الى طرف منه في القسم الثاني من الفكر واذا اراد حال الخوف فلينظر
اولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته ثم فيما بعده
من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثم في
هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد
واحد ثم في المناقشة في الحساب والمضايقة في النقير والقطمير ثم في

الصراط ودقته وحدته ثم خطر الامر عنده انه يصرف الى الشمال فيكون من اصحاب
النار او يصرف الى اليمين وينزل دار القرار ثم يحضر بعد اهوال القيمة في قلبه صورة
جهنم ودركاتها ومقامعها واهوالها وسلاسلها واغلالها وزقومها
وصديدها وانواع العذاب فيها وقبح صورة الزبانية الموكلين بها وانه كلما نضجت
جلودهم بدلوا جلودا غيرها وانهم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وانهم
اذا راوها من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وهلم جرا الى جميع ما ورد
في القران من شرحها واذا اراد ان يستجلب حال الرجا فلينظر الى الجنة ونعيمها
واشجارها وانهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدايم
فهكذا طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب احوال محبوبة
او التنزه عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الاحوال كتابا مفردا
يستعان به على تفصيل الفكر اما بذكر مجامعه فلا يوجد فيه انفع من قراءة القران
بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفا للعالمين
ففيه ما يورث الخوف والرجا والصبر والشكر والمحبة والشوق وساير
الاحوال وفيه ما يزجر عن ساير الصفات المذمومة فينبغي ان يقراه العبد ويردد
الاية التي هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد اخرى ولو مايه مرة فقراءة
اية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وفهم وليتوقف في التامل فيها ولو
ليلة واحدة فان تحت كل كلمة منها اسرارا لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدقيق

اليمين الجنة والشمال النار

الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اختلاف الاحوال

قراءة اية بتفكر وفهم خير من قراءة ختمة بلا تفكر

تحت كل كلمة من القران اسرار لا تنحصر
الفكر عن صفاء ال...
وكذا اخبا...

الفكر عن صفا القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة اخبار رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانه قد اوتي جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة
لو تاملها العالم حق التامل لم ينقطع فيها نظره طول عمره وشرح احاد الايات
والاخبار يطول فانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت
فانك مفارقه وعش ما شيت فانك ميت واعمل ما شيت فانك مجزي به فان هذه
الكلمات جامعة حكم الاولين والاخرين وهي كافية للمتاملين فيها طول العمر
اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحال ذلك بينهم
وبين التلفت الى الدنيا بالكلية فهذا طريق الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد
من حيث هي محبوبة عند الله او مكروهة والمبتدي ينبغي ان يكون مستغرق
الوقت في هذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة والمقامات الشريفة
وينزه باطنه وظاهره عن المكاره وليعلم ان هذا مع انه افضل من ساير العبادات
فليس هو غاية المطلب بل المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم
بالفكر في جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه اي ينسى نفسه
واحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر
عند لقا الحبيب فانه لا يتفرغ للنظر في احوال نفسه واوصافها بل يبقى
كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق فاما ما ذكرناه فهو تفكر
في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال فاذا اضيع جميع عمره في اصلاح نفسه

ان الروح القدس نفث في روعي

بلغ

الفكر في علوم المعاملات افضل من ساير العبادات وافضل من الفكر في جلال الله والعلم الاول حجاب عن الثاني

يفنى عن نفسه اي ينسى نفسه

اذا افنى عمره في اصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب

ممن يتنعم بالقرب ولذلك كان الخواص يدور في البوادي فلقيه الحسين بن منصور وقال فيم
انت فقال ادور في البوادي اصحح حالي في التوكل فقال افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفنا
في التوحيد فالفنا في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين
واما التنزه عن الصفات المهلكات فيجري مجرى الخروج عن العدة في النكاح واما الاتصاف
بالصفات المنجيات وساير الطاعات فتجري مجرى تهيية المراة جهازها وتنظيفها وجهها
ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها فان استغرقت جميع عمرها في تبرية رحمها
وتزيين وجهها كان ذلك حجابا لها عن لقا المحبوب فهكذا ينبغي ان تفهم طريق الدين
ان كنت من اهل المجالسة وان كنت كالعبد السو لا يتحرك الا خوفا من الضرب وطمعا في الاجرة
فدونك واتعاب البدن بالاعمال الظاهرة فان بينك وبين القلب حجابا كثيفا فاذا قضيت
حق الاعمال كنت من اهل الجنة ولكن للمجالسة اقوام آخرون واذا عرفت مجال الفكر
في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه فينبغي ان تتخذ ذلك عادتك وديدنك صباحا
ومساء ولا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة من الله عز وجل واحوالك المقربة
اليه سبحانه وتعالى بل كل مريد فينبغي ان يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات المهلكات
وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم
ويكفيه من المهلكات النظر في عشرة فانه ان سلم منها سلم من غيرها
وهي البخل والكبر والعجب والريا والحسد وشدة الغضب وشره
الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه ومن المنجيات عشرة

محو الصفات المذمومة كالخروج عن العدة وتحصيل المحمودة كتطهير المراة وجهها فاذا استغرق فيها دهرا حجابا لها عن لقا المحبوب

العامل للثواب عبد السو وليس من اهل المجالسة

المهلكات العشر والمنجيات العشر

الندم على الذنوب والصبر على البلاء والرضى بالقضا والشكر على النعما واعتدال الخوف والرجا
والزهد في الدنيا والاخلاص في الاعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله تعالى والخشوع
له فهذه عشرون خصلة عشر مذمومة وعشر محمودة فمهما كفي من المذمومات واحدة
فيخط عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته اياها وتنزيه
قلبه عنها ويعلم ان ذلك لم يتم الا بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكله الى نفسه
لم يقدر على محو اقل الرذايل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى
يخط على الجميع وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة
منها كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج اليه
المريد المتشمر واما اكثر الناس المعدودين من الصالحين فينبغي ان يثبتوا
في جرايدهم المعاصي الظاهرة كاكل الشبهة واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة
والمرا والثنا على النفس والافراط في معاداة الاعدا وموالاة الاوليا والمداهنة
مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان اكثر من يعد نفسه من وجوه
الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه وما لم تطهر الجوارح عن الاثام
لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع
من المعصية فينبغي ان يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا في معاص هم
بمعزل عنها مثاله العالم الورع فانه لا يخلو في غالب الامر عن اظهار
نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت اما بالتدريس او بالوعظ

بلغ

والذنوب الافراط في المعاداة والموالاة

عليهم نوع

وطلب الشهرة بالدرس او بالوعظ تصدى لفتنة عظيم

ومن تعدى ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها إلا الصديقون فإنه إن كان كلامه
مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الإعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك
من المهلكات وإن رد كلامه لم يخل عن أنفة وغيظ وحقد على من يرده وهو أكثر غيظه
على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول إن غيظك من حيث إنه رد الحق
وأنكره وإن وجد تفرقة بين أن يرد عليه كلامه أو يرد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة
للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف من الرد والإعراض
لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والإيراد حرصا على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين
والشيطان قد يلبس عليه ويقول إنما حرصك على تحسين الألفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق
ويحسن موقعه في القلب إعلاء لدين الله فإن كان فرحه بحسن ألفاظه وثناء الناس عليه
أكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من أقرانه فهو مخدوع وإنما يدندن حول طلب الجاه وهو
يظن أن مطلبه الدين ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك حتى يكون
للموقر له المعتقد لفضله أكثر احتراما ويكون بلقائه أشد فرحا واستبشارا
ممن يغلو في موالاة غيره وإن كان ذلك الغير مستحقا للموالاة وربما ينتهي الأمر بأهل العلم إلى أن
يتغايرون تغاير النساء فيشق على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته إلى غيره وإن كان يعلم
أنه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه وكل هذا رشح الصفات المهلكات
المستكنة في سر القلب التي قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وإنما
ينكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة العالم عظيمة وهو إما مالك وإما هالك

من وجب عليه الانفراد والعزلة

ولا مطمع له في سلامة العوام فمن أحس في نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه الانفراد
والعزلة وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهما سئل فقد كان المسجد يحوي في زمن الصحابة
رضي الله عنهم جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا يتدافعون الفتوى
وكل من كان يفتي كان يود أن يكفيه غيره وعند هذا ينبغي أن يتقي شياطين الإنس إذ يقولون
لا تفعل هذا فإن هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق وليقل لهم
إن دين الإسلام مستغن عني فإنه قد كان معمورا قبلي وكذلك يكون بعدي ولو مت
لم ينهدم أركان الإسلام فالدين مستغن عني وأما أنا فلست مستغنيا عن إصلاح قلبي وأما أداء
ذلك إلى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل فإن الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا
بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب العلو والرياسة يحملهم على كسر القيود
وهدم حيطان السجون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم لا يندرس
ما دام الشيطان يحبب إلى الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله إلى يوم القيامة
بل ينتهض لنشر العلم أقوام لا نصيب لهم في الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله
يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا ينبغي أن يغتر
العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى في قلبه حب الجاه والثناء
والتعظيم فإن ذلك بذر النفاق قال صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق
في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة
غنم بأكثر فسادا فيها من حب الجاه والمال في دين المرء المسلم ولا ينقلع

جواب من قال إذا انفتح باب العزلة اندرست العلوم

بسبب أن العلم لا يندرس

ينتهض لنشر الدين أقوام لا نصيب لهم في الآخرة

إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم وبالرجل الفاجر

حب الجاه من القلب إلا بالاعتزال عن الناس والهرب عن مظنته وترك كل ما يزيد جاهه
في قلوبهم فليكن فكر العالم المتقي في التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق
الخلاص منها وهذه وظيفة العالم المتقي فأما أمثالنا فينبغي أن يكون تفكرنا
فيما يقوي إيماننا بيوم الحساب إذ لو رآنا السلف الصالحون لقالوا قطعاً إن هؤلاء لا
يؤمنون بيوم الحساب فما أعمالنا أعمال من يؤمن بالجنة والنار فإن من خاف شيئاً
هرب منه ومن رجا شيئاً طلبه وقد علمنا أن الهرب من النار بترك الشبهات والحرام وبترك
المعاصي ونحن منهمكون فيها وأن طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون
في الفرائض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم إلا أنه يقتدى بنا في الحرص على الدنيا والتكالب
عليها ويقال لو كان هذا مذموماً لكان العلماء أولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام
إذا متنا ماتت معنا ذنوبنا فما أعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسأل
الله تعالى أن يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل أن يتوفانا إنه الكريم اللطيف بنا
المنعم علينا فهذه مجاري أفكار العلماء والصالحين في علم المعاملة فإن فرغوا منها
انقطع التفاتهم عن أنفسهم وارتقوا منها إلى التفكر في جلال الله وعظمته
والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك إلا بعد الانفكاك من جميع المهلكات
والاتصاف بجميع المنجيات وإن ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولاً معلولاً مكدراً
مقطوعاً وكان ضعيفاً كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق
الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد أخرى فتنغص عليه

صفة تفكر أمثالنا ما فعلنا فعل من يؤمن بالجنة والنار

ما حصل لنا من ثمرة العلم إلا الاقتداء بنا في الحرص على الدنيا

فهذه الأفكار في علم المعاملة ولا يتم التفكر في جلال الله إلا بعد ...

لذة المشاهدة ولا طريق له في كمال التنعم إلا بإخراج العقارب من ثيابه وهذه الصفات
المذمومة عقارب وحيات وهي مؤذيات ومشوشات وفي القبر يزيد ألم لدغها على لدغ
العقارب والحيات فهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات
نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه تعالى

القسم الثاني

الفكر في جلال الله وعظمته

الفكر في جلال الله وعظمته وكبريائه وفيه مقامان المقام الأول الفكر في ذاته
وصفاته ومعاني أسمائه وهذا مما منع منه حيث قال تفكروا في خلق الله ولا تفكروا
في ذات الله وذلك لأن العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر إليه إلا الصديقون
ثم لا يطيقون دوام النظر بل سائر الخلق أحوال أبصارهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى
كحال بصر الخفاش بالإضافة إلى نور الشمس فإنه لا يطيقه البتة بل يختفي نهاراً
وإنما يتردد ليلاً لينظر في بقية نور الشمس إذا وقع على الأرض وأحوال الصديقين
كحال الإنسان في النظر إلى الشمس فإنه يقدر على النظر إليها ولا يطيق دوامه ويخشى
على بصره لو أدام النظر ونظره المختطف إليها يورث العمش ويفرق البصر وكذلك
النظر إلى ذات الله تعالى يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل والصواب إذن أن لا يتعرض
لمجاري الفكر في ذات الله سبحانه وصفاته فإن أكثر العقول لا تحتمله بل
القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو أن الله تعالى مقدس عن المكان
ومنزه عن الأقطار والجهات وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم
ولا هو منفصل عنه قد حير عقول أقوام حتى أنكروه إذ لم يطيقوا سماعه

ومعرفته بل ضعفت طايفة عن احتمال اقل من هذا اذ قيل لهم انه تعالى عن ان
يكون له راس ورجل ويد وعين وعضو وان يكون جسما متشخصا له مقدار وحجم فانكروا
هذا وظنوا ان ذلك قدح في عظمة الله تعالى وجلاله حتى قال بعض الحمقى من العوام ان
هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الاله لظن المسكين ان الجلالة والعظمة في
هذه الاعضا وهذا لان الانسان لا يعرف الا نفسه ولا يستعظم الا نفسه فكل ما لا
يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه نعم غايته ان يقدر نفسه جميل الصورة
جالسا على سريره وبين يديه غلمان يمتثلون امره ولا جرم غايته ان يقدر ذلك في حق الله تعالى
وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل
ولا له طيران لانكر ذلك وقال كيف يكون خالقي انقص مني افيكون مقصوص الجناح
او يكون زمنا لا يقدر على الطيران او يكون لي آلة وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقي
ومصوري وعقول اكثر الخلق قريب من هذا العقل وان الانسان لجهول ظلوم كفار
ولذلك اوحى الله تعالى الى بعض انبيايه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكروني ولكن اخبرهم
عني بما يفهمون ۞ ولما كان النظر في ذات الله وصفاته مخطرا من هذا الوجه
اقتضى ادب الشرع وصلاح الخلق ان لا يتعرض لمجاري الفكر فيه لكنا نعدل
الى المقام الثاني وهو النظر الى افعاله ومجاري قدره وعجايب صنعه وبدايع امره في خلقه
فانها تدل على جلاله وكبريايه وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته
وعلى نفاذ مشيته وقدرته فينظر الى صفاته من آثار صفاته فانا لا نطيق النظر

الى صفاته كما انا نطيق النظر الى الارض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل بذلك على عظم
نور الشمس بالاضافة الى نور القمر وساير الكواكب لان نور الارض من آثار نور الشمس
والنظر في الاثر يدل على المؤثر دلالة ما وان كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع
موجودات الدنيا اثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من انواره بل لا ظلمة اشد من العدم
ولا نور اظهر من الوجود ووجود الاشيا كلها نور من انوار ذاته تعالى وتقدس
اذ قوام وجود الاشيا بذاته القيوم بنفسه كما ان قوام نور الاجسام بنور الشمس المضية
بنفسها ومهما انكسف بعض الشمس فقد جرت العادة بان يوضع طست ما حتى ترى
الشمس فيه ويمكن النظر اليها فيكون الما واسطة تغض قليلا من نور الشمس حتى يطاق
النظر اليها فكذلك الافعال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولا يبهرنا
نور الذات بعد ان تباعدنا عنها بواسطة الافعال فهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم
تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله ۞

قوام وجود الاشيا بذات القيوم بنفسه

بيان كيفية التفكر في خلق الله تعالى

اعلم ان كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلقه وكل ذرة
من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجايب وغرايب تظهر بها
حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته واحصا ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر
مدادا لذلك لنفد البحر قبل ان ينفد عشر عشيره ولكنا نشير الى جمل منه
ليكون ذلك كالمثال لما عداه فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة الى ما لا يعرف

اقسام الموجودات

اصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التي نعلمها كما قال تعالى سبحان
الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وقال وننشئكم فيما لا تعلمون
والذي نعرف اصلها وجملتها ولا نعرف تفصيلها فيمكننا ان نتفكر في تفصيلها
وهي منقسمة الى ما ادركناه بحس البصر والى ما لا ندركه بالبصر اما الذي لا ندركه
بالبصر فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغير ذلك ومجال التفكر
في هذه الاشياء مما يضيق ويغمض فلنعدل الى الاقرب الى الافهام وهي المدركات
بحس البصر وذلك هو السموات السبع والارض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها — السموات مشاهدة بالبصر
وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة
بما فيها من جبالها ومعادنها وانهارها وبحارها وحيوانها ونباتها وما بين السما
والارض وهو الجو مدرك بغيومها وامطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها
وشهبها وعواصف رياحها فهذه هي الاجناس المشاهدة من السموات والارض
وما بينهما وكل جنس منها ينقسم الى انواع وكل نوع ينقسم الى اقسام ويتشعب كل
قسم الى اصناف ولا نهاية لانشعاب ذلك وانقسامه في اختلاف صفاته وهيئاته
ومعانيه الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجال الفكر فلا تتحرك ذرة في السموات — لا تتحرك ذرة في السموات والارض الا والله هو محركها
والارض جماد ولا نبات ولا حيوان ولا فلك ولا كوكب الا والله تعالى هو محركها
وفي حركتها حكمة او حكمتان او عشر او الف حكمة كل ذلك شاهد لله تعالى — في كل ذرة آيات تشهد بالوحدانية
بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه وقد ورد القرآن

بالحث على التفكر في هذه الآيات كما قال تعالى ان في اختلاف الليل والنهار لآيات
وكما قال تعالى ومن آياته ومن آياته من اول القرآن الى آخره فلنذكر كيفية الفكر
في بعض الآيات فمن آياته الانسان المخلوق من النطفة واقرب شيء اليك — عجائب الانسان
نفسك وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى ما تنقضي الاعمار في الوقوف على
عشر عشيره وانت غافل عنه فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع في معرفة
غيرك وقد امرك الله تعالى بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال وفي انفسكم افلا تبصرون
وذكر انك مخلوق من نطفة قذرة فقال قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه
من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره
وقال تعالى ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون وقال تعالى
الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى وقال تعالى الم نخلقكم من ماء
مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم وقال اولم ير الانسان انا خلقناه
من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج
ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما
فقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار
مكين ثم خلقنا النطفة علقة الآية فتكرير ذكر النطفة في الكتاب
العزيز ليس ليسمع لفظه ويترك التفكر في معناه فانظر الآن الى النطفة
وهي قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت وانتنت

كيف اخرجهم من بين الاصلاب والترايب وكيف جمع بين الذكر والانثى والقى الالف
والمحبة في قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف
استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من اعماق العروق
وجمعه في الرحم ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بما الحيض وغذاه
حتى نمى وربا وكبر وكيف جعل النطفة وهي بيضا مشرقة علقة حمرا ثم كيف
جعلها مضغة ثم كيف قسم اجزا النطفة وهي متشابهة متساوية الى العظام
والاعصاب والعروق والاوتار واللحم ثم كيف ركب من اللحوم والاعصاب والعروق
والاعضا الظاهرة فدور الراس وشق السمع والبصر والانف والفم وساير
المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم روسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل
ثم كيف ركب الاعضا الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرية
والرحم والمثانة والامعا كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص
لعمل مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضا باقسام اخر فركب العين
من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت
طبقة منها او زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الابصار ولو ذهبنا
نصف ما في احاد هذه الاعضا من العجايب والايات لانقضى فيه الاعمار
فانظر الان الى العظام وهي اجسام قوية صلبة كيف خلقها من نطفة
سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها بمقادير

مختلفة واشكال مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت
وعريض ودقيق ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض اعضايه
للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل
حتى يتيسر بها الحركة وقدر شكل كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبة
به ثم وصل مفاصلها وربط بعضها بالبعض باوتار انبتها من احد طرفي
العظم والصقه بالطرف الاخر كالرباط له ثم خلق في احد طرفي العظم
زوايد خارجة منه وفي الاخر حفرا غايصة فيه موافقة لشكل الزوايد
لتدخل فيها وتنطبق عليها فصار العبد ان اراد تحريك جزء من بدنه لم يمتنع
عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام
الراس وكيف جمعها وركبها وقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة [عظام الراس خمسة وخمسين عظما]
الاشكال والصور والف بعضها الى البعض بحيث استوى به كرة الراس كما تراه
فمنها ستة تخص القحف واربعة عشر للحى الاعلى واثنان للحى الاسفل والبقية
هي الاسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهي الانياب
والاضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مركبا للراس وركبها من سبع خرزات [الرقبة سبع خرزات]
مجوفات مستديرات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على
بعض ويطول ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب
الظهر من اسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من اربع وعشرين خرزة [الظهر اربع وعشرين خرزة]

وركب عظم العجز من ثلاثة اجزا مختلفة ويتصل به من اسفله عظم العصعص وهو
ايضا مولف من ثلاثة اجزا ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف
وعظام اليدين وعظام العانة وعظام العجز ثم عظام الفخذين والساقين
واصابع الرجلين فلا نطول بذكر عدد ذلك ومجموع عدد العظام في بدن الانسان
مايتا عظم وثمانية واربعون عظما سوى العظام الصغيرة التي حشي بها خلل المفاصل
فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة رقيقة وليس المقصود من ذكر
اعداد العظام ان يعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الاطبا والمشرحون وانما الغرض
ان ينظر منها في مدبرها وخالقها انه كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها
واقدارها وخصها بهذا العدد المخصوص لانه لو زاد عليها واحدا
لكان وبالا على الانسان يحتاج الى قلعه ولو نقص منها واحدا لكان نقصانا يحتاج
الى جبره والطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها واهل البصاير ينظرون
فيها ليستدلون بها على جلالة خالقها ومصورها فشتان بين النظرين ثم انظر كيف خلق
الله تعالى آلات لتحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن الانسان خمس مايه عضله
وتسعا وعشرين عضله والعضله هي مركبه من لحم وعصب ورباط واغشيه
وهي مختلفه المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها
فاربع وعشرون عضله منها هي لتحريك حدقه العين واجفانها لو نقصت واحده
من جملتها اختل امر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص

عظم العجز ثلاثة اجزا
وعظم العصعص ثلاثة اجزا

جميع عظام بدن الانسان
مايتين ثمانية واربعين عظما

عضلات البدن خمسمايه وتسعه
وعشرين عضله

اربع وعشرين عضله لتحريك العين

وقدر مخصوص وامر الاعصاب والعروق والاورده والشرايين وعددها ومنابتها
وانشعاباتها اعجب من هذا كله وشرحه يطول فللتفكر مجال في احاد هذه الاجزا
ثم في احاد الاعضا ثم في جملة البدن وكل ذلك نظر الى عجايب اجسام البدن وعجايب
المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس اعظم فانظر الان الى ظاهر الانسان وباطنه
والى بدنه وصفاته فترى فيه من الصنعة ما يقضي به العجب وكل ذلك صنع الله
في قطرة ما قذرة فترى هذا صنعه في قطرة ما فما صنعه في ملكوت السموات
وكواكبها وما حكمته في اوضاعها واشكالها ومقاديرها واعدادها
واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها
فلا تظنن ان ذرة من ملكوت السموات تنفك عن حكمه وحكم بل هو احكم خلقا
واتقن صنعا واجمع للعجايب من بدن الانسان بل لا نسبة لجميع ما في الارض
الى عجايب السموات لذلك قال تعالى أأنتم اشد خلقا ام السما بناها
فارجع الان الى النطفة وتامل حالها اولا وما صارت اليه ثانيا وتامل لو
اجتمع الجن والانس على ان يخلقوا للنطفة سمعا وبصرا وعقلا وقدرة
او علما او روحا او يخلقوا فيها عظما او عرقا او عصبا او جلدا او شعرا
هل يقدرون على ذلك بل لو ارادوا ان يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته
بعد ان خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت الى صورة
انسان مصور على حايط تانق النقاش في تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الانسان

وقال الناظر اليها كانه انسان عظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده
وتمام فطنته وعظم في قلبك محله مع انك تعلم ان تلك الصورة انما تمت بالصبغ والقلم
وبالحايط واليد وبالقدرة وبالعلم والارادة وشي من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه
بل هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحايط على ترتيب مخصوص فيكثر
تعجبك منه وتستعظمه وانت ترى النطفة القذرة كانت معدومة فخلقها
خالقها في الاصلاب والترايب ثم اخرجها منها وشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها
تقديرها وتصويرها وقسم اجزاها المتشابهة الى اجزا مختلفة فاحكم
العظام في ارجايها وحسن اشكال اعضايها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها
واعصابها وجعلها مجرى لغذايها ليكون ذلك سبب بقايها وجعلها سميعة
بصيرة عالمة ناطقة وخلق لها الظهر اساسا لبدنها والبطن حاويا للالات
غذايها والراس جامعا لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها واحسن شكلها
ولونها وهيياتها ثم حماها بالاجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع
الاقذا عنها ثم اظهر في مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع
اكنافها وتباعد اقطارها فهو ينظر اليها ثم شق اذنيه واودعهما ماء مرا
لحفظ سمعها وتدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الاذن لتجمع الصوت
فترده الى صماخها ولتحس بدبيب الهوام اليها وجعل فيها تحريفات واعوجاجات
لتكثر حركة ما يدب فيها وتطول طريقه فينتبه عن النوم صاحبها

اذا قصدها دابة في حال النوم ورفع الانف من وسط الوجه واحسن شكله وفتح منخريه واودع
فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروايح على مطاعمه واغذيته وليستنشق بمنفذ
المنخرين روح الهوا غذا للقلب وترويحا لحرارة باطنه وفتح الفم واودعه اللسان
ناطقا وترجمانا ومعربا عما في القلب وزين الفم بالاسنان لتكون الة للطحن والكسر والقطع
فاحكم اصولها وحدد روسها وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية الروس متناسقة
الترتيب كانها الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتنطبق على الفم فتسد
منفذه وليتم بهما حروف الكلام ثم خلق الحنجرة وهياها لخروج الصوت
وخلق للسان قدرة الحركات والتقطيعات ليقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف
بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق — سبب اختلاف الاصوات
والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر
حتى اختلفت بسببها الاصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان
حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الراس
بالشعور والاصداغ وزين الوجه باللحية والحاجبين وزين الحاجب برقة الشعر
واستقواس الشكل وزين العينين بالاهداب ثم خلق الاعضا الباطنة وسخر كل واحد — الاعضا الباطنة وافعالها
لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذا والكبد لاحالة الغذا الى الدم
والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال تخدمها بجذب — السودا في الطحال والصفرا في المرارة
السودا عنها والمرارة تخدمها بجذب الصفرا عنها والكلية تخدمها بجذب المايية

والمثانة بحكم الكلية تقول الماء عنها ثم تخرجه في طريق الاحليل والعروق تخرج من الكبد
في ايصال الدم الى سائر اطراف البدن ٥ ثم خلق اليدين وطولهما لتمتد الى المقاصد وعرّض الكف
وقسم الاصابع الخمس وقسم كل اصبع بثلاث انامل ووضع الاربعة في جانب والابهام في جانب
ليدور الابهام على الجميع ولو اجتمع الاولون والآخرون على ان يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر
في وضع الاصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الابهام عن الاربع وتفاوت الاربع في
الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه اذ بهذا الترتيب صلحت اليد
للقبض والاعطاء فان بسطها كانت له طبقا يضع عليها ما يريد وان جمعها كانت
آلة للضرب وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم اصابعها
كانت مجرفة له ثم خلق الاظفار على رؤوسها زينة للانامل وعمادا لها من ورائها
حتى لا تتقطع وليلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تتناولها الانامل وليحك
بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو اخس الاعضاء لو عدمه الانسان وظهرت به
حكة لكان اعجز الخلق واضعفهم ولم يقم احد مقامه في حك بدنه ثم هدى
اليد الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو في النوم والغفلة من غير حاجة الى طلب
ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك الا بعد تعب طويل ثم خلق هذا
كله من النطفة وهي في داخل الرحم في ظلمات ثلاث ولو كشف الغشاء والغطاء
وامتد البصر اليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليه شيئا فشيئا
ولا يرى المصور ولا آلته فهل رأيت مصورا او فاعلا لا يمس آلته ومصنوعه

ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه فسبحانه ما اعظم شانه واظهر برهانه ثم انظر
مع كمال قدرته الى تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه
السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كانه عاقل بصير بما
يحتاج اليه ثم لما خرج واحتاج الى الغذاء كيف هداه الى التقام الثدي ثم لما كان
بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه
من الفرث والدم سائغا خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وانبت منهما حلمتين
على قدر ما ينطبق عليه فم الصبي ثم فتح في حلمة الثدي ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج
اللبن منه الا بعد المص تدريجا فان الطفل لا يطيق منه الا القليل ثم كيف هداه
للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع به ثم
انظر الى عطفه ورأفته كيف اخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه في الحولين
لا يتغذى الا باللبن فيستغني عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج
الى الطعام الغليظ ويحتاج الطعام الى المضغ والطحن فانبت له الاسنان عند الحاجة
لا قبلها ولا بعدها فسبحانه كيف اخرج تلك العظام الصلبة في تلك اللثات
اللينة ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا
عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما لكان الطفل اعجز الخلق عن تدبير
نفسه ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية تدريجا
حتى بلغ وتكامل وصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا اما كفورا او شكورا

مطيعا او عاصيا مومنا او كافرا تصديقا لقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر
لم يكن شيا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا
انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا فانظر الى اللطف والكرم ثم الى القدرة
والحكمة تبهرك عجايب الحضرة الربانية فالعجب كل العجب ممن يرى خطا حسنا
او نقشا حسنا على حايط فيستحسنه فيصرف جميع همه الى التفكر في النقاش والخطاط
وانه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه ويقول ما
احذقه وما اكمل صنعته واحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجايب في نفسه
وفي غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا تحيره جلاله
وحكمته فهذه نبذة من عجايب بدنك التي لا يمكن استقصاوها فهو اقرب مجال الفكر
واجلى شاهد على عظمة خالقك وانت غافل عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك
لا تعرف من نفسك الا ان تجوع فتاكل وتشبع فتنام وتشتهي فتجامع وتغضب فتقاتل
والبهايم كلها تشاركك في معرفة ذلك وانما خاصية الانسان التي حجبت البهايم
عنها معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والارض وعجايب الافاق
والانفس اذ بها يدخل العبد في زمرة الملايكة المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين
مقربا من حضرة رب العالمين وليس هذه المنزلة للبهايم ولا لانسان رضي من الدنيا
بشهوات البهايم فانه شر من البهيمة بكثير اذ لا قدرة للبهايم على ذلك
واما هو فقد خلق له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها فاولئك كالانعام

بل هم اضل سبيلا واذ عرفت طريق الفكر في نفسك فتفكر في الارض التي هي
مقرك ثم في انهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها الى ملكوت السما
عجايب الارض
اما الارض فمن اياته ان خلق الارض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا
فجاجا وجعلها ذلولا لتمشوا في مناكبها وجعلها قارة لا تتحرك وارسى فيها الجبال
اوتادا لها تمنعها من ان تميد ثم وسع اكنافها حتى عجز الادميون عن بلوغ جميع جوانبها
لا يبلغ الادميون جميع جوانب الارض
وان طالت اعمارهم وكثر تطوافهم فقال تعالى والسما بنيناها بايد وانا لموسعون
والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا
في مناكبها وقال تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا وقد اكثر في كتابه العزيز
من ذكر الارض ليتفكر في عجايبها فظهرها مقر للاحيا وبطنها مرقد للاموات
قال الله تعالى الم نجعل الارض كفاتا احيا وامواتا فانظر الى الارض وهي ميتة
فاذا انزل عليها الما اهتزت وربت واخضرت وانبتت عجايب النبات وخرجت
منها اصناف الحيوانات ثم انظر كيف احكم جوانب الارض بالجبال الراسيات
الشوامخ الصم الصلاب وكيف اودع المياه تحتها ففجر العيون واسال الانهار
تجري على وجهها واخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر مارقيقا
عذبا صافيا زلالا وجعل به كل شي حيا فاخرج به فنون الاشجار والنبات
من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة
الاشكال والالوان والطعوم والصفات والروايح يفضل بعضها على بعض

في الأكل تسقى بماء واحد وتخرج من أرض واحدة وأن أزواجها اختلافها الاختلاف
بذورها وأصولها فمن كان في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ومن كان
في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم انظر إلى الأراضي البوادي
وقشر ظاهرها وباطنها فتراها ترابا متشابها فاذا انزل عليها الما اهتزت
وربت وانبتت من كل زوج بهيج الوانا مختلفة ونباتا متشابها وغير متشابه
لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر فانظر الى كثرتها واختلاف اصنافها
وكثرة اشكالها ثم اختلاف طبايع النبات وكثرة منافعه وكيف اودع الله تعالى
۵ العقاقير المنافع الغريبة فهذا النبات يغذي وهذا يقوي وهذا يحيي
وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا اذا حصل في المعدة قمع الصفرا
من اعماق العروق وهذا يستحيل الى الصفرا وهذا يقمع البلغم والسودا وهذا
الصفرا في العروق
يستحيل الى الما وهذا يصفي الدم وهذا يستحيل دما وهذا يفرح وهذا ينوم
وهذا يقوي وهذا يضعف فلم ينبت من الأرض ورقة ولا نبتة الا وفيها منافع
من الارض ورقة ولا نبتة الا فيها منافع لا يدركها البشر
لا يقوى البشر على الوقوف على كنهها وكل واحد من هذا النبات يحتاج الفلاح
في ترتيبه الى عمل مخصوص فالنخيل تؤبر والكرم يكسح والزرع يسقى عنه
الحشيش والدغل وبعض ذلك يستنبت ببث البذر في الأرض وبعضه بغرس
الأغصان وبعضه تركب في الشجر ولو اردنا ان نذكر اختلاف اجناس النبات
وانواعه ومنافعه واحواله وعجايبه لانقضت الأيام في وصف ذلك

فكيف من كل حشيش نبذة يسيرة تنزلك على طريق الفكر فهذه عجايب النبات ٢
۵ ومن اياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة
من الأرض ففي الأرض قطع متجاورات مختلفة فانظر الى الجبال كيف يخرج منها
الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللعل وغيرها بعضها منطبعة
تحت المطارق كالذهب والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا ينطبع كالفيروزج
واللعل وكيف هدى الله تعالى الناس الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني والالات
والنقود والحلي منها ثم انظر الى معادن الأرض من النفط والكبريت والقير
وغيرها واقلها الملح ولا يحتاج اليه الا لتطييب الطعام ولو خلت عنه
بلد لتسارع الهلاك اليها فانظر الى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الأراضي
سبخة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الما الصافي من المطر فيستحيل ملحا مالحا
محرقا لا يمكن تناول مثقال منه ليكون ذلك تطييبا للطعام اذا اكلته
فيتهنى عيشك وما من جماد ولا حيوان ولا نبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا
الجنس ما خلق شي منها عبثا ولا لعبا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق وكما ينبغي وعلى
الوجه الذي ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال تعالى
وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ٩
۵ ومن اياته اصناف الحيوانات وانقسامها الى ما يطير والى ما
يمشي وانقسام ما يمشي الى ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على اربع وعلى عشر

وعلى ما به كما يشاهد في بعض الحشرات ثم انقسامها الى المنافع والصور والاشكال
والاخلاق والطباع فانظر الى طيور الجو والى وحوش البر والى البهائم الاهلية
ترى فيها من العجائب ما لا يشك معه في عظمة خالقها وقدرة مقدرها
وحكمة مصورها وكيف يمكن ان نستقصي ذلك بل لو اردنا ان نذكر عجائب البقة
او النملة او النحلة او العنكبوت وهي من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي
جمعها غذائها وفي الفها لزوجها وفي ادخارها لنفسها وفي حذقها في هندسة
بيتها وفي هدايتها الى حاجاتها لم نقدر على ذلك فترى العنكبوت يبني بيته

نسج العنكبوت

على طرف نهر فيطلب اولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع
فما دونه حتى يمكنه ان يصل بالخيط بين طرفيه ثم يبتدي ويلقي اللعاب
الذي هو خيطه على جانب ليلتصق به ثم يغدو الى الجانب الاخر فيحكم الطرف الاخر
من الخيط ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناسبا
تناسبا هندسيا حتى اذا احكم معاقد القمط ورتب الخيوط كالسدى
اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى ويضيف بعضه الى بعض ويحكم
العقد على موضع التقا اللحمة بالسدى ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة
ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد في زاوية مترصدا
لوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع الصيد بادر الى اخذه واكله
فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية

بخيط ثم علق نفسه منه بخيط آخر وبقي منكسا في الهوا ينتظر ذبابة
فاذا طارت ذبابة رمى نفسه اليه فاخذه ولف خيطه على رجليه واحكمه ثم اكله
وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من هذه العجايب ما لا يحصى افترى انه
تعلم هذه الصنعة من نفسه او تكون بنفسه او كونه آدمي او علمه او لا هادي له
ولا معلم افيشك ذو بصيرة في انه مسكين ضعيف عاجز بل الفيل العظيم
شخصه الظاهرة قوته عاجز عن امر نفسه فكيف هذا الحيوان
الضعيف افلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجايب
صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم والبصير يرى في هذا
الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته
وحكمته ما يتحير فيه الالباب والعقول فضلا عن ساير الحيوانات
وهذا الباب ايضا لا حصر له فان الحيوانات واشكالها واخلاقها وطباعها
غير محصورة وانما سقط تعجب القلوب منها لانسها بكثرة المشاهدة
نعم اذا راى حيوانا غريبا ولو دودا تجدد تعجبه وقال سبحان الله
ما اعجبه والانسان اعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر الى الانعام
التي الفها ونظر الى اشكالها وصورها والى منافعها وفوايدها
من جلودها واصوافها واوبارها واشعارها التي جعلها الله تعالى لباسا
لخلقه واكنانا لهم في ظعنهم واقامتهم وآنية لاشربتهم واوعية

لاغذيتهم واصواتا لافدابهم وجعل البانها ولحومها اغذيه لهم ثم جعل بعضها
زينه للركوب وبعضها حامله للاثقال قاطعه للبوادي والمفازات ولا كثر
الناظر المتعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها الا لعلم محيط
بجميع منافعها سابق على خلقه اياها فسبحان من الامور مكشوفه في علمه من غير
تفكر ومن غير تامل وتدبر ومن غير استعانه بوزير او مشير فهو العليم الخبير
الحكيم القدير ولقد استخرج باقل القليل مما خلقه صدق الشهاده من قلوب
العارفين بتوحيده فالخلق الا الاذعان بقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته
والاقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته فمن الذي يحصي ثناء عليه بل هو كما اثنى على
نفسه وانما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته فنسال الله تعالى
ان يكرمنا بهدايته بمنه ورافته ومن اياته البحار العميقه
المكتنفه لاقطار الارض التي هي قطع من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض
حتى ان جميع المكشوف من البوادي والجبال عن الما بالاضافه الى الما كجزيره
صغيره في بحر عظيم وبقيه الارض مستوره بالما قال النبي صلى الله عليه وسلم
الارض في البحر كالاصطبل في الارض فانسب اصطبلا الى جميع الارض واعلم [في الهامش: الارض في البحر كالاصطبل في الارض]
ان الارض بالاضافه الى البحر مثله وقد شاهدت عجايب الارض وما فيها
فتامل الان عجايب البحر فان عجايب ما فيه من الحيوان والجواهر اضعاف عجايب
ما تشاهده على وجه الارض كما ان سعته اضعاف سعة الارض ولعظم البحر

كان فيه من الحيوانات العظام ما يرى ظهورها في البحر فيظن انها جزيره فينزل الركاب عليها [في الهامش: ظهر سمكه كالجزيره]
فربما يحس بالنيران اذا اشتعلت فيتحرك فيعلم انه حيوان وما من صنف من اصناف حيوان البر من فرس
او طير او بقر او انسان الا وفي البحر امثاله واضعافه وفيه اجناس لا يعهد لها نظير [في الهامش: كل ما في البر في البحر مثله من انسان وفرس وغيره]
في البر وقد ذكرت اوصافها في مجلدات وجمعها اقوام عنوا بركوب البحر وجمع عجايبه
ثم انظر كيف خلق اللولو ودوره في صدفه تحت الما وانظر كيف انبت المرجان من
صم الصخور تحت الما وانما هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر ثم تامل ما عداه من العنبر [في الهامش: صفه نبت المرجان والعنبر]
واصناف النفايس التي يقذفها البحر ويستخرج منه ثم انظر الى عجايب السفن
كيف امسكها الله تعالى على وجه الما وسير فيها التجار وطلاب الاموال وغيرهم
وسخر لهم الفلك لتحمل اثقالهم ثم ارسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف الملاحين
موارد الرياح ومهابها ومواقيتها ولا تستقصي على الجمله عجايب صنع الله عز وجل
في البحر في مجلدات واعجب من ذلك كله ما هو اظهر من كل ظاهر وهو كيفيه
قطرة الما وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الاجزا كانه شي واحد لطيف
التركيب سريع القبول للتقطيع كانه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال
والاتصال به حياة كل ما على وجه الارض من حيوان ونبات فلو احتاج العبد
الى شربة ما ومنع منها لبذل جميع خزاين الدنيا في تحصيلها لو ملك ذلك ثم اذا
شربها ومنع من اخراجها لبذل جميع خزاين الارض وملك الدنيا في اخراجها فالعجب
من الادمي كيف يستعظم الدينار والدرهم ونفايس الجواهر ويغفل عن نعمة الله تعالى

في نربد ما اذا احتاج الى سقيها او الاستفراغ منها ترك جميع الدنيا فيها فتاملن في عجايب
المياه والانهار والابار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال وكل ذلك شواهد منطقه
وايات متناصره ناطقه بلسان حالها مفصحه عن جلال باريها معربه عن كمال حكمته
تهامناديه ارباب القلوب بنغماتها قايله لكل ذي لب اما ترانى وترى صورتى وشكلى
وصفاتي ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوايدي انظر الى تكون سفنتى او حلقى احد
حبشي او ما ينسخني بنظره في كلمه مرقومه من ثلاثه احرف فيقطع بانه صنعه ادمي
عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر الى عجايب الخطوط الالهيه المرقومه على صفحات
وجهي بالقلم الالهي الذي لا تدرك الابصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل
الخط كيف يغفل قلبك عن جلاله صانعه وتقول النطفه لارباب السمع والقلب
لا الذين هم عن السمع معزولون توهمني في ظلمه الاحشا مغموسه في دم الحيض في الوقت
الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فيقش النقاش حدقتي واجفاني
وجبهتي وخدي وشفتي فترى النقوش تظهر يسيرا يسيرا على التدريج ولا ترى داخل النطفه
نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجه ولا خبر منها للام ولا للاب
ولا للنطفه ولا للرحم افما هذا النقاش باعجب ممن يشاهد ينقش بالقلم صوره
عجيبه لو نظرت اليها مره او مرتين لتعلمته فهل تقدر على ان تتعلم هذا الجنس
من النقش والتصوير الذي يعم ظاهر النطفه وباطنها وجميع اجزايها من غير
ملامسه للنطفه ومن غير اتصال بها لا من داخل ولا من خارج فان كنت لا تعجب

من هذه العجايب ولا تفهم به ان الذي صور ونقش وقدر لا نظير له ولا يساويه نقاش ومصور
كما ان نقشه وصنعته لا يساويه نقش وصنع فبين الفاعلين من المباينه والتباعد
ما بين الفعلين فان كنت لا تتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك فانه اعجب من كل عجب فان
الذي اعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك من التبين مع هذا البيان جدير بان تتعجب منه
فسبحان من هدى واضل واغوى وارشد واشقى واسعد وفتح بصاير احبابه فشاهدوه
في جميع ذرات العالم واجزايه واعمى قلوب اعدايه واحتجب عنهم بعزه وعلايه
فله الخلق والامر والامتنان والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا معقب لقضايه
٥ ومن اياته الهوا اللطيف المحبوس بين مقعر السما ومحدب الارض
يدرك بحس اللمس عند هبوب الرياح جسمه ولا ترى بالعين شخصه وجملته مثل البحر
الواحد والطيور محلقه في جو الهوا ومسفه سباحه فيه باجنحتها
كما تسبح حيوانات البحر في الما وتضطرب جوانبه وامواجه عند هبوب
الرياح كما تضطرب امواج البحر فاذا حرك الله الهوا وجعله ريحا هابه فان شا
جعله نشرا بين يدي رحمته كما قال سبحانه وارسلنا الرياح لواقح فيصل بحركته
روح الهوا الى الحيوانات والنبات فيستعد للنما وان شا جعله عذابا
على العصاه من خليقته كما قال تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر
تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر ثم انظر الى لطف الهوا ثم شدته
وقوته مهما ضغط في الما فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوي ليغمسه

في الما فيغرق عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الما فيرسب فيه فانظر كيف يقبض الهوا
من الما بقوته مع لطافته وبهذه الحكمة امسك الله تعالى السفن على وجه الما وكذلك
كل مجوف فيه هوا لا يغوص في الما لان الهوا ينقبض عن الغوص في الما فلا ينفصل عن السطح

سرّ السفينة

الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها متعلقة من الهوا
اللطيف كالذي يقع في بير فيتعلق بذيل رجل قوي ممتنع عن الهوي في البير فالسفينة بمقعرها
تتشبث باذيال الهوا القوي حتى تمتنع من الهوي والغوص في الما فسبحان من علق المركب
الثقيل من هوا لطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد ثم انظر الى عجايب
الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والامطار والثلوج والشهب
والصواعق فهي عجايب ما بين السما والارض وقد اشار القران الى جملة ذلك في قوله تعالى
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وهذا هو الذي بينهما واشار الى تفصيله

ما بين السما والارض هو كاينات الجو

في مواضع شتى حيث قال والسحاب المسخر بين السما والارض وحيث تعرض للرعد والبرق
والسحاب والمطر فاذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة الا ان ترى المطر بعينك وتسمع
الرعد باذنك فالبهيمة تشاركك في هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم
البهايم الى عالم الملا الاعلى فقد فتحت عينيك فادركت ظاهرها فغمض عينك الظاهرة
وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجايب باطنها وغرايب اسرارها وهذا ايضا باب
يطول الفكر فيه ولا مطمع في استقصايه فتامل السحاب الكثيف المظلم
كيف تراه يجتمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله تعالى اذا شا

ومتى شا وهو مع رخاوته حامل للما الثقيل وممسك له في جو السما الى ان ياذن الله تعالى في ارسال الما
وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر الذي اراده الله تعالى وعلى الشكل الذي شاه فترى
السحاب يرش الما على الارض ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل
واحدة باخرى بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم لها لا تعدل عنه ولا يتقدم
المتاخر ولا يتاخر المتقدم حتى تصيب الارض قطرة قطرة فلو اجتمع الاولون والاخرون
على ان يخلقوا منها قطرة او يعرفوا عدد ما ينزل منها في بلدة واحدة او قرية واحدة
لعجز حساب الجن والانس عن ذلك ولا يعلم عددها الا الذي اوجدها ثم كل قطرة منها
عينت لكل جز من الارض ولكل حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب مكتوب
على تلك القطرة بخط الهي لا يدرك بالبصر الظاهر انها رزق الدودة الفلانية التي في ناحية
الجبل الفلاني تصل اليها عند عطشها في الوقت الفلاني هذا مع ما في انعقاد
البرد الصلب من الما اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطن المندوف من العجايب
التي لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لاحد
من الخلق فيه شرك ولا مدخل بل ليس للمومنين من خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت
جلاله وعظمته ولا للعميان الجاحدين الا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه
وعلته فيقول الجاهل المغرور انما ينزل الما لانه ثقيل بطبعه وانما هذا سبب
نزوله ويظن ان هذه معرفة انكشفت له ويفرح بها ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذي
خلقه ومن الذي خلق الما الذي طبعه الثقل وما الذي رقى الما المصبوب في اسافل

الاشجار الى الاغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف يهوي الى اسفل ثم ارتفع الى فوق في داخل
تجاويف الاشجار شيئا فشيئا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع اطراف الاوراق فيغذي
كل جزء من كل ورقة ويجري اليها في تجاويف عروق شعرية صغار ترى منه العرق
الذي هو اصل الورقة ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود في طول الورقة عروق صغار
فكان الكبير نهر وما انشعب عنه جداول ثم ينشعب من الجداول سواقي اصغر
منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن ادراك البصر حتى تنبسط في جميع
عرض الورقة فيصل الماء في اجوافها الى سائر اجزاء الورقة ليغذيها وينميها
ويزينها ويبقي طراوتها ونضارتها وكذلك الى سائر اجزاء الفواكه فان كان الماء
يتحرك بطبعه الى اسفل فكيف تحرك الى فوق وان كان ذلك بجذب جاذب فالذي سخر
ذلك الجاذب فان كان ينتهي بالآخرة الى خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت
فلم لا يحال عليه من اول الامر فنهاية الجاهل بداية العاقل ومن اياته
ملكوت السموات وما فيها من الكواكب وهو الامر كله ومن ادرك الكل وفاته عجائب
السموات فقد فاته الكل تحقيقا فالارض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات
بالاضافة الى السموات كقطرة في بحر واصغر ثم انظر كيف عظم الله امر
السموات والنجوم في كتابه فما من سورة الا وتشتمل على تفخيمها في مواضع وكم من قسم
في القرآن بها كقوله تعالى والسماء ذات البروج والسماء والطارق والسماء ذات الحبك
والسماء وما بناها وقوله والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها وكقوله فلا اقسم

[هامش: نهاية الجاهل بداية العاقل]

[هامش: ملكوت السموات]

[هامش: كل سفلي حقير تحت الفلك كنقطة من السموات]

بالخنس الجوار الكنس وقوله والنجم اذا هوى وفلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم
لو تعلمون عظيم فقد علمت ان عجائب النطفة القذرة عجز عن معرفتها الاولون
والآخرون وما اقسم الله تعالى بها فما ظنك بما اقسم الله تعالى به واحال الارزاق عليه
واضافها اليه فقال وفي السماء رزقكم وما توعدون واثنى على المتفكرين فيه فقال ويتفكرون
في خلق السموات والارض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الاية ثم مسح بها
سبلته اي تجاوزها من غير فكر وذم المعرضين عنها فقال وجعلنا
السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون فاي نسبة لجميع البحار والارض الى
السماء وهذه متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغير
الى ان يبلغ الكتاب اجله ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فقال وجعلنا
السماء سقفا محفوظا وقال وبنينا فوقكم سبعا شدادا وقال أأنتم اشد
خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها فانظر الى الملكوت لترى عجائب
العز والجبروت ولا تظنن ان معنى النظر الى الملكوت بان تمد البصر اليه
فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فان البهائم تشاركك في هذا
النظر فان كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى ابراهيم عليه السلام بقوله
وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر
فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الابصار فيعبر عنه بالغيب
والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت

[هامش: الملك والشهادة والملكوت والغيب]

ولا يحيط احد بشي من علمه الا بما شا وهو عالم الغيب فلا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
واطل ايها الغافل فكرك في الملكوت فعسى يفتح لك ابواب السما فتجول بقلبك في اقطارها
الى ان تقوم بقلبك بين يدي عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجا لك ان تبلغ رتبة عمر بن الخطاب
حيث قال راى قلبي ربي وهذا لان بلوغ الاقصى لا يكون الا بعد مجاوزة الادنى وادنى شي اليك نفسك
ثم الارض التي هي مقرك ثم الهوا المكتنف لك ثم النبات والحيوان وما على وجه الارض
ثم عجايب الجو وهو ما بين السما والارض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسي ثم العرش
ثم الملايكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم منه تجاوز الى النظر الى رب العرش
والكرسي والسموات والارض وما بينهما فبينك وبين هذه المفاوز الفيح والمسافات الشاسعة
والعقبات الشاهقة وانت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة وهي معرفة
ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعي معرفة ربك وتقول قد عرفته
وعرفت خلقه ففيماذا اتفكر والى ماذا اتطلع فارفع الان راسك الى السما وانظر فيها
وفي كواكبها وفي دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها
ومغاربها ودووبها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها ومن غير تغير
في سيرها بل تجري جميعها في منازل مرتبة بحساب مقدر لا تزيد ولا تنقص الى ان
يطويها الله تعالى طي السجل للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف
الوانها فبعضها يميل الى الحمرة وبعضها الى البياض وبعضها الى اللون الرصاصي ثم انظر
كيفية اشكالها فبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور

لا يقيم التوفيق في المعارف اولا فاولا وكلما اوليها النفس واخرها الاول والاخر عشرة
سلما سنه عمر رحم

والاسد والانسان وما من صورة في الارض الا ولها مثال في السما ثم انظر الى مسير الشمس في فلكها
في مدة سنة ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب بسير اخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها
وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت ولاطبق الظلام على الدوام او الضيا
على الدوام وكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الله تعالى
الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر الى ايلاجه الليل في النهار والنهار
في الليل وادخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص وانظر الى امالته مسير الشمس
عن وسط السما حتى اختلف بسببه الصيف والشتا والربيع والخريف فاذا
انخفضت الشمس عن وسط السما في مسيرها برد الهوا وظهر الشتا واذا استوت
في وسط السما اشتد القيظ واذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان وعجايب السماوات
لا مطمع في احصا عشر عشير جز من اجزايها وانما هذا تنبيه على طريق الفكر
واعتقد على الجملة انه ما من كوكب من الكواكب الا ولله تعالى حكم كثيرة في خلقه
ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السما وقربه من وسط السما
وبعده وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده وقس ذلك بما ذكرناه من اعضا
بدنك اذ ما من جز الا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وامر السما اعظم بل لا نسبة لعالم
الارض الى عالم السما لا في كبر جسمه ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي
بينهما في كثرة المعاني بما بينهما من التفاوت في كبر الارض وانت تعرف كبر الارض
واتساع اطرافها انه لا يقدر ادمي على ان يدور بجوانبها وقد اتفق

ما في الارض صورة الا ولها مثال في السما
سبب نقص النهار وبرد الهوا
ما لا يدرك
الحكم التي في الكواكب

الشمس مثل الارض مايه وستون مره / واصغر الكواكب مثل الارض ثمان مرات / واكبرها مايه وعشرين مره

على ان الشمس مثل الارض مايه ونيف وستون مرة وفي الاخبار ما يدل
عظمها والكواكب التي تراها اصغرها مثل الارض ثمان مرات واكبرها ينتهي الى قريب
من مايه وعشرين مرة مثل الارض وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها اذ للبعد صارت
ترى صغارًا ولذلك اشار تعالى الى بعدها فقال رفع سمكها فسواها وفي الاخبار
ان بين كل سما الى الاخرى مسيرة خمسمايه عام فاذا كان هذا مقدار كوكب واحد
من الارض فانظر الى كثرة الكواكب ثم انظر الى السما التي الكواكب مركوز فيها
والى عظمها ثم انظر الى سرعة حركتها وانت لا تحس بحركتها فضلًا عن ان تدرك سرعتها

يرها سريع الحركه اليوميه

لكن لا تشك في انها في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لان الزمان من طلوع اول جز
من كوكب الى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الارض مايه مرة وزيادة فقد دار
الفلك في هذه اللحظة مثل الارض مايه مرة وهكذا يدور على الدوام وانت غافل عنه

قال النبي لجبريل زالت الشمس / قال لا نعم

وانظر كيف عبر جبريل عليه السلم عن سرعة حركته اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم
هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال من حيث قلت لا الى ان قلت نعم سارت
الشمس مسيرة خمسمايه عام فانظر الى عظم شخصها ثم الى خفة حركتها ثم انظر
الى قدرة الفاطر الحكيم كيف اثبت صورتها مع اتساع اكنافها في حدقة العين
مع صغرها حتى تجلس على الارض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها فهذه السما
بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها انظر الى باريها كيف خلقها ثم امسكها
من غير عمد ترونها ومن غير علاقة من فوقها وكل العالم كبيت واحد والسما

سقفه فالعجب منك انك تدخل بيت غني فتراه مزوقًا بالصبغ مموهًا بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه
ولا يزال ذكره ووصف حسنه طول عمرك وانت ابدًا تنظر الى هذا البيت العظيم والى ارضه
والى سقفه والى هوايه والى عجايب امتعته وغرايب حيواناته وبدايع نقوشه ثم لا تتحدث
فيه ولا تلتفت بقلبك اليه فما هذا البيت دون البيت الذي تصفه بل ذلك البيت هو ايضًا جزء من
الارض التي هي اخس اجزا هذا البيت ومع هذا فلا تنظر اليه ليس له سبب الا انه بيت ربك
هو المنفرد ببنايه وترتيبه وانت قد نسيت نفسك وربك واشتغلت ببطنك وفرجك
ليس لك هم الا شهوتك او حشمتك وغاية شهوتك ان تملا بطنك ولا تقدر على ان تاكل
عشر ما تاكله بهيمة فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك ان يقبل
عليك عشرة او مايه من معارفك فينافقون بالسنتهم بين يديك ويضمرون خبايث الاعتقادات
عنك وان صدقوك في مودتهم اياك فلا يملكون لك ولا لانفسهم ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا
ولا حياة ولا نشورًا وقد يكون في بلدك من اغنيا اليهود والنصارى من يزيد جاهه
على جاهك وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر في جمال ملكوت السماوات

مثل المغرور مثل النمله

والارض ثم عن التنعم بالنظر الى جلال مالك الملك والملكوت ○ وما مثلك ومثل عقلك الا
مثل النملة تخرج من جحرها الذي حفرته في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان
حصين الاركان مزين بالجواري والغلمان وانواع الذخاير والنفايس فانها اذا خرجت
من جحرها ولقيت صاحبتها لم تتحدث لو قدرت على النطق الا عن بيتها وغذايها
وكيفية ادخارها فاما حال القصر والملك الذي في القصر فهي بمعزل عنه.

وعن التفكر فيه بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذائها وبيتها الى غيره
فكما غفلت النملة عن القصر وعن ارضه وسقفه وحيطانه وسائر بنيانه وعقل الضا
عن سكانه فانت ايضا غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته ولا تعرف
من السما الا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ولا تعرف من ملائكة السموات الا ما تعرف
النملة منك ومن سكان بيتك نعم ليس للنملة طريق الى ان تعرفك وتعرف عجايب قصرك
وبدايع صنعة الصانع فيه واما انت فلك قدرة على ان تجول في الملكوت وتعرف من عجايبه
ما الخلق غافلون عنه ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فانه مجال لا اخر له ولو
استقصينا اعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله تعالى علينا بمعرفته
وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالاضافة الى ما عرفه جملة العلما والاوليا وما عرفوه
قليل نزر بالاضافة الى ما عرفه الانبيا وجملة ما عرفوه قليل بالاضافة الى ما عرفه
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما عرفه الانبيا كلهم قليل الى ما عرفه الملايكة المقربون
كاسرافيل وجبريل وغيرهما ثم جميع علوم الملايكة والجن والانس اذا اضيفت الى علم
الله سبحانه وتعالى لم تستحق ان تسمى علما بل هو الى ان يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا
اقرب فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما اوتيتم العلم الا قليلا
هذا بيان معاقد الجمل التي تجول فيها فكر المتفكرين في خلق الله تعالى وليس فيها
فكر في ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفكر في الخلق لا محالة معرفة الخالق
وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى

علم العلما والاوليا
والانبيا والملايكه

كانت معرفتك بجلال الله وعظمته اتم وهذا كما انك تعظم عالما بسبب معرفتك
بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة غريبة من تصنيفه او شعره فتزداد به
معرفة وتزداد بحسبه له توقيرا وتعظيما واحتراما حتى ان كل كلمة
من كلماته وكل بيت عجيب من ابيات شعره يزيده محلا في قلبك ويستدعي التعظيم
له في نفسك فهكذا تامل في خلق الله تعالى وتصنيفه وتاليفه وكل ما في الوجود
من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا تتناهى ابدا وانما لكل عبد
منه بقدر ما رزق فلنقتصر على ما ذكرناه ولنضف الى هذا ما فصلناه
في كتاب الشكر فانا نظرنا في ذلك الكتاب في فعل الله تعالى من حيث
هو احسان الينا وانعام علينا وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه
فعل الله تعالى فقط وكل ما نظرنا فيه فان الطبيعي ينظر فيه ويكون نظره
سبب ضلالته وشقاوته والموفق ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته
وما من ذرة في السما والارض الا والله سبحانه وتعالى يضل بها من يشا ويهدي
بها من يشا فمن نظر في هذه الامور من حيث انها فعل الله تعالى وصنعه استفاد
منه المعرفة بجلال الله تعالى وعظمته واهتدى ومن نظر فيها قاصرا
للنظر عليها من حيث تاثير بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب
فقد شقي وارتدى ونعوذ بالله من الضلال ونسأله ان يجنبنا مزلة اقدام
الجهال بمنه وفضله   اخر كتاب الفكر

كتاب ذكر الموت وما بعده

وهو الكتاب العاشر من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الاكاسرة وقصر به آمال
القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فارداهم في الحافرة
فنقلوا من القصور الى القبور ومن ضيا المهود الى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجواري والغلمان
الى مقاساة الهوام والديدان ومن التنعم بالشراب الى التمرغ في التراب ومن انس العشرة
الى وحشة الوحدة ومن المضجع الوثير الى المصرع الوبيل فانظر هل وجدوا من الموت حصنا
او اتخذوا دونه حجابا وحرزا وانظر هل تحس منهم احدا وتسمع لهم ركزا فسبحان من
تفرد بالقهر والاستيلاء واستاثر باستحقاق البقاء واذل اصناف الخلق بما كتب عليهم من الفنا
ثم جعل الموت مخلصا للاتقياء وموعدا في حقهم للقاء وجعل القبر سجنا للاشقياء وحبسا
ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضا فله الانعام بالنعم المتظاهرة وله الانتقام بالنقم القاهرة
وله الشكر في السموات والارض وله الحمد في الاولى والآخرة والصلوة على سيدنا
محمد ذي المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله واصحابه وسلم كثيرا
اما بعد فجدير بمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود انيسه
ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الارض مستقره والقيامة موعده

والجنة او النار مورده الا يكون له فكر الا في الموت ولا ذكر الا له ولا استعداد
الا لاجله ولا تدبير الا فيه ولا تطلع الا اليه ولا تعريج الا عليه ولا اهتمام الا به
ولا حوم الا حوله ولا انتظار وتربص الا له وحقيق بان يعد نفسه من الموتى ويراها في اصحاب
القبور فان كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد للشيء الا عند تجدد ذكره على القلب
ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغاء الى المذكرات له والنظر في المنبهات
عليه ونحن نذكر من امر الموت ومقدماته ولواحقه واحوال الآخرة والقيامة والجنة
والنار وما لا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار
ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد فقد قرب لما بعد الرحيل فما بقي من العمر الا القليل والخلق
غافلون اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ونحن نذكر ما يتعلق بالموت
في شطرين الشطر الاول في مقدماته وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ثمانية ابواب

الباب الاول

في فضل ذكر الموت والترغيب فيه

الباب الثاني

في ذكر طول الامل وقصره

الباب الثالث

في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت

الباب الرابع

في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده

الباب الخامس

في كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين

الباب السادس

في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور

الباب السابع

في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر إلى نفخة الصور

الباب الثامن

فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام

الباب الأول

في ذكر الموت والترغيب في الإكثار من ذكره

اعلم أن المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة
عن ذكر الموت فلا يذكره وإذا ذكر به كرهه ونفر منه أولئك الذين قال الله تعالى فيهم
قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون ○ ثم الناس إما منهمك وإما تائب مبتدئ أو عارف منتهى أما (منهمك وتائب وعارف)
المنهمك فلا يذكر الموت وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته

وهذا يزيده ذكر الموت من الله تعالى بعدا ○ وأما التائب فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث
من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه
قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا
تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه فإن هذا ليس يكره الموت ولقاء الله (من كره لقاء الله كره الله لقاءه)
وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا
بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه وعلامة هذا
أن يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه وإلا التحق بالمنهمك في الدنيا ○
وأما العارف فإنه يذكر الموت دائما لأنه موعد لقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط
موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الأمر يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من
دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين كما روي عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة
قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إلي من الغنى والسقم
أحب إلي من الصحة والموت أحب إلي من العيش فسهل علي الموت حتى ألقاك ○
فإذن التائب معذور في كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت
وتمنيه ○ وأعلى منهما رتبة من فوض أمره إلى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا (لا يختار موتا ولا حياة)
حياة بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب
والولاء إلى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففي ذكر
الموت ثواب وفضل فإن المنهمك في الدنيا أيضا يستفيد بذكر الموت التجافي

عن الدنيا اذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان
اللذات والشهوات فهو من اسباب النجاة

بيان فضل ذكر الموت كيف ما كان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هادم اللذات معناه نغصوا بذكره اللذات
حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم
ابن آدم ما اكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهدا
احد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة كلها
ان ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويقتضي الاستعداد للآخرة والغفلة
عن الموت تدعو الى الانهماك في شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المومن الموت
وانما قال هذا لان الدنيا سجن المومن اذ لا يزال فيها في عنا من مقاساة نفسه ورياضة
شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق
تحفة في حقه وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم واراد بهذا المسلم حقا
المومن صدقا الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه اخلاق المومنين ولم يتدنس
من المعاصي الا اللمم والصغاير فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه
الكباير واقامته الفرايض وقال عطا الخراساني مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس
قد استعلا الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر
اللذات قال الموت وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر الموت

فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا وقال عليه السلام
كفى بالموت واعظا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون
فقال اذكروا الموت اما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فاحسنوا الثنا عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم
للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك
وقال ابن عمر اتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من اكيس الناس واكرم الناس
فقال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له اولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا
وكرامة الآخرة

واما الآثار

فقد قال الحسن رحمه الله
فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وقال الربيع بن خثيم ما غايب ينتظره
المومن خير له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي احدا وسلوني الى ربي سلا
وكتب بعض الحكما الى رجل من اخوانه يا اخي احذر الموت في هذه الدار قبل ان تصير
الى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل
عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقها فيتذاكرون الموت والقيامة
والآخرة ثم يبكون حتى كان بين ايديهم جنازة وقال ابراهيم التيمي شيان قطعا عني
لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله تعالى وقال كعب من عرف الموت
هانت عليه مصايب الدنيا وهمومها وقال مطرف رايت فيما يرى النايم كان
قايلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخايفين فوالله ما

ترى أهم إلا والجنين. وقال الأشعث كنا ندخل على الحسن فإنما هو النار وذكر الآخرة والموت
وقالت صفية إن امرأة اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت أكثري ذكر الموت
يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها. وكان عيسى عليه السلام
إذا ذكر عنده الموت يقطر جلده دما. وكان داود عليه السلام إذا ذكر الموت
والقيامة بكى حتى تنخلع أوصاله فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه. وقال الحسن ما رأيت
عاقلا قط إلا أصبته من الموت حذرا وعليه حزينا. وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء
عظني فقال أنت أول خليفة تموت قال زدني قال ليس من آبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت
وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك. وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبرا في داره وكان
ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي
ساعة لفسد. وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير إن هذا الموت قد نغص
على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه. وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة
أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك
وقال أبو سليمان الداراني قلت لأم هارون أتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت آدميا
ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته.

بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب

اعلم أن الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم
له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع ذكر

100

الموت في قلبه فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت
الذي هو بين يديه كالذي يريد أن يسافر إلى مفازة مخطرة أو يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا فيه
فإذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره
بالدنيا وينكسر قلبه وأوقع طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله
فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم ويتأمل
كيف محا التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم وكيف أرملوا
نساءهم وأيتموا أولادهم وضيعوا أموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت
آثارهم فمهما تذكر رجلا رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم
صورته وتذكر نشاطه وتردده وأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه
بمواتاة الأسباب وركونه إلى القوة والشباب وميله إلى الضحك واللهو وغفلته
عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وأنه كيف كان يتردد والآن قد
تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك
وقد أكل التراب أسنانه وأنه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين
في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم
يحتسبه فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداء إما بالجنة وإما بالنار
فعند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته
كعاقبتهم. قال أبو الدرداء إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم.

وقال ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره. وقال عمر بن عبد العزيز ألا ترون أنكم
تجهزون كل يوم غاديا أو رائحا إلى الله عز وجل تضعونه في صدع من الأرض قد توسد
التراب وخلف الأحباب وقطع الأسباب. فملازمة هذه الأفكار وأمثالها مع
دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب
عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافى
عن دار الغرور وإلا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير
والتنبيه ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي أن يتذكر في الحال أنه لا بد من مفارقته
ونظر ابن مطيع ذات يوما إلى داره فأعجبه حسنها فبكى ثم قال والله لولا الموت لكنت
بك مسرورا ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ثم بكى
بكاء شديدا حتى ارتفع صوته.

الباب الثاني

في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طوله وكيفية معالجته

فضيلة قصر الأمل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا
أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك
فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا. وروى علي كرم الله وجهه أنه صلى الله عليه وسلم
قال إن أشد ما أخاف عليكم خصلتين اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى

فإنه يصد عن الحق وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا ثم قال ألا إن الله تعالى
يعطي الدنيا من يحب ويبغض وإذا أحب عبدا أعطاه الإيمان ألا إن للدين أبناء وللدنيا أبناء
فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا إن الدنيا قد ارتحلت مولية ألا إن
الآخرة قد ارتحلت مقبلة ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ألا وإنكم يوشك أن تكونوا
في يوم حساب ليس فيه عمل. وقالت أم المنذر اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية
إلى الناس فقال أيها الناس أما تستحيون من الله قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تأكلون
وتأملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون. وقال أبو سعيد الخدري
اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل والذي نفسي
بيده ما طرفت عيناي إلا ظننت أن شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت
طرفي فظننت أني واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة إلا ظننت أني لا أسيغها حتى أغص
بها من الموت ثم قال يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي
بيده إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين. وعن ابن عباس رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فأقول له يا رسول الله
إن الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي لا أبلغه. وروي أنه صلى الله عليه وسلم
أخذ ثلاثة أعواد فغرز عودا بين يديه والآخر إلى جنبه وأما الثالث فأبعده
فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الإنسان وهذا الأجل

وذاك الأمل يتعاطاه ابن آدم وتختلجه الآجال دون الأمل ۞ وقال عليه السلام مثل ابن آدم
وإلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته المنايا وقع في الهرم ۞ وقال ابن مسعود
هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع إليه والهرم وراء الحتوف والأمل وراء الهرم
فهو يأمل وهذه الحتوف شوارع إليه فأيها أمر به أخذه فإن أخطأته الحتوف
وقع في الهرم وهو ينظر إلى الأمل ۞ وقال عبد الله خط لنا رسول الله
خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا إلى جنب الخط وخط
خطا خارجا فقال أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا الإنسان للخط
الذي في الوسط وهذا الأجل محيط به وهذه الأعراض للخطوط التي حوله تنهشه
إن أخطأه هذا نهشه هذا وذاك الأمل يعني الخط الخارج ۞
وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنان الحرص والأمل
وفي رواية وتشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر ۞
وقال صلى الله عليه وسلم نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الأمة
بالبخل والأمل ۞ وقيل بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها
الأرض فقال عيسى اللهم انزع منه الأمل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة
فقال عيسى عليه السلام اللهم اردد إليه الأمل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك
فقال بينما أنا أعمل إذ قالت لي نفسي إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير فألقيت المسحاة
واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فقمت إلى مسحاتي ۞

وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلكم يحب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله
قال قصروا من الأمل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء ۞
وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم إني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة
وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل ۞
وقال مطرف بن عبد الله لو علمت متى أجلي لخشيت على ذهاب عقلي
ولكن الله تعالى منّ على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش
ولا قامت بينهم الأسواق ۞ وقال الحسن السهو والأمل نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولاهما
ما مشى المسلمون في الطرق ۞ وقال الثوري بلغني أن الإنسان خلق أحمق ولولا ذلك
لم يهنه العيش ۞ وقال سعيد عبد الرحمن إنما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها
وقال سلمان رضي الله عنه ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني مؤمل الدنيا والموت يطلبه
وغافل وليس يغفل عنه وضاحك ملء فيه لا يدري أساخط رب العالمين عليه
أم راض وثلاث أحزنتني حتى أبكتني فراق الأحبة محمد وحزبه وهول المطلع
والوقوف بين يدي الله تعالى لا أدري إلى الجنة يؤمر بي أو إلى النار ۞
وقال بعضهم رأيت زرارة بن أوفى بعد موته في المنام فقلت أي الأعمال
أبلغ عندكم قال التوكل وقصر الأمل وقال الثوري الزهد في الدنيا
قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباءة ۞ وسأل المفضل فضالة ربه عز وجل
أن يرفع عنه الأمل فذهب عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه فرد عليه

الامل ورجع الى الطعام والشراب • وقيل للحسن يا ابا سعيد الا تغسل قميصك فقال الامر
اعجل من ذلك • وقال الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم •
وقال بعضهم انا كرجل مادّ عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب عنقه • وقال داود
الطائي لو املت ان اعيش شهرا لرأيتني قد اتيت عظيما وكيف اومل ذلك وارى الفجائع تغشى
الخلائق في ساعات الليل والنهار • وحكي انه جاء شقيق البلخي الى استاذ له يقال له
ابو هاشم الرماني وفي طرف كسائه شي مصرور فقال له استاذه ايش هذا معك قال لوزات
دفعها الي اخ لي وقال احب ان تفطر عليها فقال يا شقيق وانت تحدث نفسك انك تبقى الى الليل
لا كلمتك ابدا واغلق في وجهي الباب ودخل • وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ان لكل
سفر زادا لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما
اعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم وتنقادوا
لعدوكم فانه والله ما بسط امل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مساء ولا يمسي بعد صباح
وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغترا وانما
تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله وانما يفرح من امن اهوال يوم القيامة فاما من لا يداوي
كلما الا اصابه جارح من ناحية اخرى فكيف يفرح اعوذ بالله ان امركم بما انهى
عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر عيبتي وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغني والفقير
والموازين فيه منصوبة لقد عنيتم بامر لو عنيت به النجوم لانكدرت او عنيت
به الجبال لذابت ولو عنيت به الارض لتشققت اما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة

وانكم صائرون الى احداهما • وكتب رجل الى اخ له اما بعد فان الدنيا حلم والآخرة يقظة
والمتوسط بينهما الموت ونحن في اضغاث احلام والسلام • وكتب آخر الى اخ له ان الحزن
على الدنيا طويل والموت من الانسان قريب وللنقص في كل يوم منه نصيب وللبلى في جسمه
دبيب فبادر قبل ان تنادى بالرحيل والسلام • وقال الحسن كان آدم عليه السلام قبل ان اخطى
امله خلف ظهره واجله بين عينيه فلما اصاب الخطيئة حوّل فجعل امله بين عينيه
واجله خلف ظهره • وقال عبيد بن شميط سمعت ابي يقول ايها المغتر بطول صحته
اما رأيت ميتا قط من غير سقم ايها المغتر بطول المهلة اما رأيت ماخوذا قط من غير
عدة انك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك ابالصحة تغترون
ام بطول العافية تمرحون ام الموت تامنون ام على ملك الموت تجترؤون ان ملك الموت
اذا جاء لم يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك اما علمت ان ساعة الموت
ذات كرب وغصص وندامة على التفريط ثم يقول رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت
رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت • وقال ابو زكريا التيمي بينا سليمان
ابن عبد الملك في المسجد الحرام اذ اتي بحجر منقوش فطلب من يقراه فاتي بوهب بن منبه
فاذا فيه ابن آدم انك لو رأيت قرب ما بقي من اجلك لزهدت في طول املك ولرغبت في الزيادة
من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما تلقى غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك
واسلمك اهلك وحشمك وفارقك الولد القريب ورفضك الوالد والنسيب
فلا انت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة

ومحي سليمان بن بركاشد بدا ؛ وقال الفضيل رايت كتابا من محمد بن يوسف الى عبد الرحمن بن يوسف
سلام عليك فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو اما بعد فاني احذرك متحولك من دار
مهلتك الى دار اقامتك وجزاء اعمالك فتصير في قرار باطن الارض بعد ظاهرها فياتيك
منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فان يكن الله معك فلا باس ولا وحشة ولا فاقة
وان يكن غير ذلك فاعاذني الله واياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تبلغك صيحة الحشر
ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الارض من اهلها والسموات
من سكانها فباحت الاسرار واسعرت النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء
وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج
وكم من معذب ومرحوم فياليت شعري ما حالي وحالك يومئذ ففي هذا ما هدم
اللذات واسلى عن الشهوات وقصر الامل وايقظ النائمين وحذر الغافلين اعاننا الله
واياك على هذا الخطر العظيم واوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك موقعهما
من قلوب المتقين فانما نحن به وله والسلم ؛ وخطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله واثنى عليه
وقال ايها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وان لكم معادا
يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم فخاب وشقي من اخرجه الله من رحمته التي وسعت
كل شيء وجنته التي عرضها السموات والارض وانما يكون الامان غدا لمن خاف واتقى
وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقوة بسعادة الا ترون انكم في اسلاب
الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون الا ترون انكم في كل يوم تشيعون غاديا

او رائحا الى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقطع امله فتضعونه في بطن صدع من
الارض غير موسد ولا ممهد قد قطع الاسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب
وايم الله اني لاقول مقالتي هذه ولا اعلم عند احد منكم من الذنوب اكثر مما اعلم من نفسي
ولكنها سنن من الله عادلة امر فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته واستغفر الله
ووضع كمه على وجهه فبكى حتى بلت دموعه لحيته وما عاد الى مجلسه حتى مات رحمه الله ؛
وقال القعقاع بن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلثين سنة فلو اتاني ما احببت
تاخير شيء عن شيء ؛ وقال الثوري رايت شيخا في مسجد الكوفة يقول انا في هذا
المسجد منذ ثلثين سنة انتظر الموت ان ينزل بي لو اتاني ما امرته بشيء ولا نهيته
عن شيء ولا لي على احد شيء ولا لاحد علي شيء ؛ وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل
اكفانك قد خرجت من عند القصار ؛ وقال ابو محمد الزاهد خرجنا في جنازة
بالكوفة وخرج فيها داود الطائي وانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت
قريبا منه فتكلم فقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال امله
ضعف عمله وكل ما هو آت قريب واعلم يا اخي ان كل شيء يشغلك عن ربك
فهو عليك مشؤوم واعلم ان اهل الدنيا جميعا من اهل القبور انما يندمون على ما
يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما ندموا عليه اهل القبور اهل الدنيا عليه يقتتلون
وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون ؛ وروي ان معروف
الكرخي اقام الصلوة قال محمد ابن ابي توبة فقال لي تقدم فقلت اني ان صليت بكم

هذه الصلوة لم اصلّ بكم غيرها فقال معروف واني تحدث نفسك ان تصلي
صلوة اخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز
في خطبته ان الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفنا وكتب على اهلها
الظعن منها فكم عامر موثق عما قليل يخرب وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن
فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة باحسن ما بحضرتكم من النقلة وتزودوا فان
خير الزاد التقوى انما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينا ابن آدم في الدنيا ينافس وهو بها
قرير عين اذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه اثاره وصيّر لقوم ودنياه
آخرين مصانعه ومغناه ان الدنيا لا تسر بقدر ما تضر انها تسر قليلا وتحزن طويلا
وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان يقول في خطبته اين الوضاءة الحسنة
وجوههم المعجبون بشبابهم اين الملوك الذين بنوا المداين وحصنوها بالحيطان
اين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر
في ظلمات القبور الوحا الوحا ثم النجا النجا

بيان السبب في طول الامل وعلاجه

لطول الامل سببان

اعلم ان طول الامل له سببان احدهما الجهل والاخر حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه
اذا انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها
وامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره
شيئا دفعه عن نفسه والانسان مشغوف بالاماني الباطلة فيمني نفسه ابدا

بما يوافق مراده وانما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه
ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال واهل ودار واصدقاء ودواب وسائر
اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر
الموت ولا يقدر قربه فان خطر له في بعض الاحوال امر الموت والحاجة الى
الاستعداد له سوّف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك الى ان تكبر ثم
تتوب واذا كبر فيقول الى ان تصير شيخا فاذا صار شيخا قال الى ان تفرغ
من بناء هذه الدار او عمارة هذه الضيعة او ترجع من هذه السفرة او تفرغ
من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له او تفرغ من قهر هذا العدو
الذي يشمت بك فلا يزال يسوّف ويؤخر ولا يخوض في شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل
عشرة اشغال اخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم ويفضي
به شغل الى شغل بل الى اشغال الى ان تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه
فيطول عند ذلك حسرته واكثر اهل النار صياحهم من سوف يقولون واحزناه
من سوف والمسوّف المسكين لا يدري ان الذي يدعوه الى التسويف اليوم
هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن انه يتصور
ان يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات
فما يفرغ منها الا من اطرحها

فما قضى احد منها لبانته ... وما انتهى ارب الا الى ارب

واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم احبب
ما احببت فانك مفارقه واما الجهل فهو ان الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب
الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر
رجال البلد وانما قلوا لان الموت في الشباب اكثر والى ان يموت شيخ يموت الف صبي
وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجاه ولا يدري ان ذلك غير
بعيد وان كان ذلك بعيدا فالمرض فجاه غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاه واذا
مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص
من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتا وخريف وربيع ومن ليل ونهار
لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا
دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو ابدا يظن ان الموت
يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو ابدا يظن انه يشيع الجنائز
ولا يقدر ان تشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه وهو مشاهده
موت غيره اما موت نفسه فلم يالفه ولا يتصور ان يالفه فانه لا يقع واذا وقع لم يقع
دفعة اخرى بعد هذا فهو الاول وهو الاخر وسبيله ان يقيس نفسه بغيره ويعلم انه
لا بد ان تحمل جنازته ويدفن في قبره ولعل اللبن الذي يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه
وهو لا يدري فتسويفه جهل محض واذا عرفت ان سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه
دفع سببه اما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة

البالغة من القلوب الطاهرة واما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد
وهو الدا العضال الذي اعيا الاولين والاخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان باليوم الاخر
وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه
حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير واذا راى حقارة الدنيا
ونفاسة الاخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها وان اعطي ملك الارض من المشرق
الى المغرب فكيف وليس لكل عبد من الدنيا الا قدر يسير مكدر منغص فكيف
يفرح بها او يترسخ في القلب حبها مع الايمان بالاخرة فنسال الله تعالى ان يرينا الدنيا كما اراها
الصالحين من عباده ولا علاج في تقرير الموت في القلب مثل النظر الى من مات من الاقران
والاشكال وانهم كيف جاهم الموت في وقت لم يحتسبوا اما من كان مستعدا فقد فاز
فوزا عظيما واما من كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر
الانسان كل ساعة في اطرافه واعضايه وليتدبر انها كيف تاكلها الديدان
لا محالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر في ان الدود يبتدي بحدقته اليمنى
اولا او باليسرى فما على بدنه شي الا وهو طعمة الدود وما له من نفسه الا العلم والعمل
الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسوال منكر
ونكير ومن الحشر والنشر واهوال القيمة وقرع النداء يوم العرض الاكبر فامثال هذه
الافكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى الاستعداد له

بيان مراتب الناس في طول الامل وقصره

اعلم ان الخلق في ذلك يتفاوتون فمنهم من يامل البقا ويشتهي ذلك ابدا قال الله تعالى يود
احدهم لو يعمر الف سنه ومنهم من يامل البقا الى الهرم وهو اقصى العمر الذي شاهده
وراه وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ شاب في حب طلب
الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ما هم ومنهم من يامل الى سنه
ولا يشتغل بتدبير ما وراه ولا يقدر لنفسه وجودا في عام قابل ولكن هذا استعد
في الصيف للشتاء وفي الشتا للصيف واذا جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعباده
ومنهم من يامل مده الصيف او الشتا فلا يدخر في الصيف ثياب الشتا ولا في الشتا ثياب
الصيف ومنهم من يرجع امله الى يوم وليله فلا يستعد الا لنهاره واما للغد
فلا قال عيسى عليه السلم لا تهتموا برزق غد فان يكن غدا من اجالكم فستاتي فيه
ارزاقكم مع اجالكم وان لم يكن من اجالكم فلا تهتموا لاجال غيركم ومنهم من لا يجاوز
امله ساعه كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم يا عبد الله اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمسا
واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر البقا ايضا ساعه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم مع القدره على الما قبل مضي ساعه ويقول لعلي لا ابلغه
ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كانه واقع به فهو ينتظره وهذا الانسان
هو الذي يصلي صلوه مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ رضي الله عنه لما ساله رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن حقيقه ايمانه فقال ما خطوت خطوه الا ظننت ان لا اتبعها اخرى
وكما نقل عن الاسود وهو حبشي انه كان يصلي ليلا ويلتفت يمينا وشمالا فقال له قايل

ما هذا قال انتظر ملك الموت من اي جهه ياتيني فهذه مراتب الناس ولكل درجات
عند الله وليس من امله مقصور على شهر كمن امله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجه
عند الله فان الله لا يظلم مثقال ذره ومن يعمل مثقال ذره خيرا يره ثم يظهر اثر قصر
الامل في المبادره الى العمل وكل انسان يدعي انه قصير الامل وهو كاذب وانما يظهر
ذلك باعماله فانه يعتني باسباب ربما لا يحتاج اليها في سنه فيدل ذلك على
طول امله وانما علامه التوفيق ان يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعه فيستعد
للموت الذي يرد عليه في الوقت فان عاش الى المسا شكر الله تعالى على طاعته وفرح
بانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستانف مثله
الى الصباح وهكذا اذا اصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه
فمثل هذا اذا مات سعد وغنم وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذه المناجاه
فالموت له سعاده والحياه له مزيد فليكن الموت على بالك يا مسكين فان السير حاث
بك وانت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافه ولا يكون
ذلك الا بمبادره العمل اغتناما لكل نفس امهلت فيه

بيان المبادره الى العمل وحذر آفه التاخير

اعلم ان من له اخوان غايبان ينتظر قدوم احدهما في غد وينتظر قدوم الاخر بعد شهر
او سنه فلا يستعد للذي يقدم الى شهر او سنه وانما يستعد للذي ينتظر قدومه
غدا فالاستعداد نتيجه قرب الانتظار فمن انتظر مجي الموت بعد سنه اشتغل

فكيف بالمرة وينسى ما وراء المرة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة يبكي لها الا تنقص
منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل ابدا فانه ابدا يرى لنفسه متسعا
في تلك السنة فيؤخر العمل كما قال صلى الله عليه وسلم ما ينتظر احدكم من الدنيا الا غنى مطغيا
او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال والدجال
شر غائب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر ۞ وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك
قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك ۞ وقال صلى الله عليه وسلم نعمتان
مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ۞ اي لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما
عند زوالهما ۞ وقال صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله
غالية الا ان سلعة الله الجنة ۞ وقال صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها
الرادفة جا الموت بما فيه ۞ وكان صلى الله عليه وسلم اذا انس من اصحابه غفلة او غرة
نادى فيهم بصوت رفيع اتتكم المنية راتبة لازمة اما بشقاوة واما بسعادة ۞
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا النذير والموت المغير والساعة الموعد
وقال ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على اطراف السعف فقال ما بقي
من الدنيا الا مثل ما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه ۞ وقال صلى الله عليه وسلم مثل
الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط
ان ينقطع ۞ وقال جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب فذكر الساعة

رفع صوته واحمرت وجنتاه كانه منذر جيش يقول صبحتكم ومسيتكم بعثت انا والساعة
كهاتين وفرق بين اصبعيه ۞ وقال ابن مسعود تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل الصدر
انفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة تعرف قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ۞ وقال السدي في قوله تعالى الذي خلق
الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ايكم اكثر للموت ذكرا واحسن له
استعدادا واشد منه خوفا وحذرا ۞ وقال حذيفة ما من صباح ولا مسا
الا مناد ينادي ايها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى انها لاحدى الكبر نذيرا
للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر في الموت ۞ وقال سحيم مولى بني تميم جلست
الى عامر بن عبد الله وهو يصلي فاوجز في صلوته ثم اقبل علي فقال ارحني بحاجتك فاني ابادر
قلت ما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال فقمت عنه وقام الى صلوته ۞
ومر داود الطائي فساله رجل عن حديث فقال دعني انما ابادر خروج نفسي ۞
وقال عمر رضي الله عنه التؤدة في كل شي خير الا في اعمال الآخرة ۞ وقال المنذر
سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادري قبل ان ياتيك الامر ويحك بادري
قبل ان ياتيك الامر حتى كرر ذلك ستين مرة اسمعه ولا يراني ۞ وكان الحسن يقول
في موعظته المبادرة المبادرة فانما هي الانفاس لو حبست انقطعت عنكم
اعمالكم التي تتقربون بها الى الله عز وجل رحم الله امرا نظر لنفسه وبكى على ذنوبه

انما يعد لهم عدا يعني الانفاس آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر
العدد دخولك في قبرك ۝ واجتهد ابو موسى الاشعري قبل موته اجتهادا شديدا
فقيل له لو امسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا ارسلت فقاربت راس
مجراها اخرجت جميع ما عندها والذي بقي من اجلي اقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات
وكان يقول لامراته شدي رحالك فليس على جهنم معبر ۝ وقال بعض الخلفاء على منبره
عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا ان الدنيا
ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد اظلكم وترحلوا فقد جد بكم
وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غايبا
يحدوه الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة وان قادما يحل بالفوز
او الشقوة لمستحق لافضل العدة فاتقى عبد ربه وناصح نفسه وقدم
توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان موكل به
يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها حتى يهجم منيته عليه
اغفل ما يكون عنها وانه ما بين احدكم وبين الجنة والنار الا الموت ان ينزل به
فيالها حسرة على ذي غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان تورده ايامه الى
شقوة جعلنا الله واياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة الله معصية
ولا تحل به بعد الموت حسرة انه سميع الدعا وانه بيده الخير دايما فعال
لما يشاء ۝ وقال بعض المفسرين في قول الله تعالى فتنتم انفسكم قال بالشهوات

واللذات وتربصتم قال بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتى جاء امر الله قال الموت وغركم
بالله الغرور ۝ وقال الحسن تصبروا وتشددوا فانما هي ايام قلايل وانما انتم ركب
وقوف يوشك ان يدعا الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم
وقال ابن مسعود ما منكم احد اصبح الا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل
والعارية مؤداة ۝ وقال ابو عبيدة الناجي دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات فيه
فقال مرحبا بكم واهلا وحياكم الله بالسلام واحلنا واياكم دار المقام هذه
علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم واتقيتم فلا يكن حظكم من هذا الخبر رحمكم الله
ان تسمعوه بهذه الاذن وتخرجوه من هذه الاذن فانه من راى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد راه
غاديا ورايحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه
الوحا الوحا النجا النجا على ما تعرجون انتم ورب الكعبة كانكم والامر معا
رحم الله عبدا جعل العيش عيشا واحدا فاكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالارض
واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى
ياتيه اجله وهو على ذلك ۝ وقال عاصم الاحول قال لي فضيل الرقاشي
وانا اسايله يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فان الامر
يخلص اليك دونهم ولا تقل اذهب هاهنا وهاهنا فينقطع عنك
النهار في لا شي فان الامر محفوظ عليك ولم تر شيا قط احسن طلبا ولا اسرع
ادراكا حسنة حديثة لذنب قديم ۝

الباب الثالث

في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عنده

اعلم انه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بان يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقا بان يطول فيه فكرته ويعظم له استعداده لا سيما وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك وقال لقمان لابنه يا بني امر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل ان يفجاك والعجب ان الانسان لو كان في اعظم اللذات واطيب مجالس اللهو فانتظر ان يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو في كل نفس بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب الا الجهل والغرور واعلم ان شدة الالم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها اما بالقياس الى الالام التي ادركها واما بالاستدلال باحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه فاما القياس الذي يشهد له فهو ان كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالالم فاذا كان فيه الروح فالمدرك للالم هو الروح فمهما اصاب العضو جرح او حريق سرى الاثر الى الروح فبقدر ما يسري الى الروح يتالم والمولم يتفرق على اللحم والدم وسائر الاجزاء فلا يصيب الروح الا بعض الاثر فان كان في الالام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما اعظم ذلك الالم وما اشده والنزع عبارة عن مولم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع اجزائه حتى لم يبق جزء

سكرات الموت

... والعامة ... والملابس يعد وانما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل اعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه [illegible]

... الاعصاب يمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الاعضاء وقد [illegible]

من اجزاء الروح المنتشر في اعماق البدن الا وقد حل به الالم فلو اصابته شوكة فالالم الذي يجده انما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي اصابته الشوكة وانما يعظم اثر الاحتراق لان اجزاء النار تغوص في سائر اجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا وباطنا الا وتصيبه النار فتحسه الاجزاء الروحانية المنتشرة في سائر اجزاء اللحم واما الجراحة فانما تصيب الموضع الذي مسه الحديد فقط فكان لذلك الم الجرح دون الم النار فالم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع اجزائه فانه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الاعصاب وجزء من الاجزاء ومفصل من المفاصل ومن اصل كل شعرة وبشرة من الفرق الى القدم فلا تسال عن كربه والمه حتى قالوا ان الموت لاشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لان قطع البدن بالسيف انما يولم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر نفس الروح وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة المه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة اما العقل فقد غشيه وشوشه واما اللسان فقد ابكمه واما الاطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه واربد حتى كانه ظهر منه التراب الذي هو اصل فطرته وقد جذب منه كل عرق

على حبال الماء لم ينتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان الى اعالي اجفانه
وتقلص الشفتان وتقلص اللسان الى اصله وترتفع الانثيان الى اعالي موضعهما وتخضر
انامله فلا تسل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا
واحدا لكان المه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتالم لا من عرق واحد
بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من اعضائه تدريجا فتبرد اولا قدماه ثم ساقاه
ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الى الحلقوم
فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا واهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة
والندامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبل توبة العبد ما لم يغرغر وقال مجاهد
في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني
تبت الان قال اذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت ولا تسأل
عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس انما لا يستعيذون
منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشياء قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة
والولاية ولذلك عظم خوف الانبياء عليهم السلام والاولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام
يا معشر الحواريين ادعوا الله ان يهون علي هذه السكرة يعني الموت فقد خفت
الموت مخافة اوقفني خوفي من الموت على الموت . وروي ان نفرا من بني اسرائيل
مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله تعالى ان يخرج لكم من هذه المقبرة

ميتا تسألونه فدعوا الله عز وجل فاذا هم برجل قد قام وبين عينيه اثر السجود قد خرج
من قبر من القبور فقال يا قوم ما اردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة
قول النبي في سكرة الموت
الموت من قلبي . وقالت عائشة رضي الله عنها لا اغبط احدا يهون عليه الموت بعد
الذي رايت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروي انه عليه السلام كان يقول
اللهم انك تاخذ الروح من بين العصب والقصب والانامل اللهم فاعني على الموت وهونه علي .
وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته والمه فقال هو قدر ثلثمائة
ضربة بالسيف . وسئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال ان اهون الموت بمنزلة
حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف .
ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال اني اعلم ما يلقى ما منه عرق الا ويالم للموت على حدته .
وكان صلى الله عليه وسلم يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده
لالف ضربة بالسيف اهون من موت على فراش . وقال الاوزاعي بلغنا
ابن اوس
ان الميت يجد الم الموت ما لم يبعث من قبره . وقال شداد بن اوس الموت افظع
هول الدنيا والاخرة على المؤمن وهو اشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي
في القدور ولو ان الميت نشر فاخبر اهل الدنيا بالم الموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم .
وعن زيد بن اسلم عن ابيه قال اذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد
خفة موته كافر وشدة موته مسلم
عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة واذا كان
للكافر معروف لم يجز به في الدنيا هون عليه في الموت ليستكمل ثواب

مفروقه تصيبين الى النار ۞ وعن بعضهم انه كان يسال كثيرا عن المرض كيف تجدون
الموت فلما مرض قيل له فانت كيف تجده فقال كان السموات مطبقة على الارض وكان نفسي
موت الفجاه راحة المومن تخرج من ثقب ابرة ۞ وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجاه راحة للمومن واسف على الفاجر ۞
وروى عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان شعرة من شعر الميت وضعت على اهل
السموات والارض لماتوا باذن الله لان في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشي الا مات ۞
ويروى لو ان قطرة من الم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت ۞
وروى ان ابرهيم عليه السلم لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلي فقال
كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال اما انا قد هونا عليك ۞
ويروى عن موسى عليه السلم انه لما صارت روحه الى الله عز وجل قال له ربه يا موسى
كيف وجدت الموت فقال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح
ولا ينجو فيطير ۞ وروى عنه انه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب ۞
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده
في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون علي سكرات الموت وفاطمة عليها السلم
تقول واكرباه لكربك يا ابتاه ويقول لا كرب على ابيك بعد اليوم ۞
وقال عمر رضي الله عنه لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا امير المومنين
الموت كغصن كثير الشوك ادخل في جوف رجل واخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه
رجل شديد الجذب فاخذ ما اخذ وابقى ما ابقى ۞

وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وان مفاصله ليسلم
بعضها على بعض يقول عليك السلم تفارقني وافارقك الى يوم القيمه ۞
فهذه سكرات الموت على اولياء الله واحبابه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي
ويتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلاث الاول شدة النزع
دواهي الموت ثلاث كما ذكرناه الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع
والخوف منه على القلب فلو راى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب اعظم
الرجال قوة لم يطق رويته فقد روى عن ابرهيم الخليل عليه السلم انه قال
لملك الموت هل تستطيع ان تريني صورتك التي تقبض فيها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك
قال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو رجل اسود قائم الشعر منتن الريح
اسود الثياب تخرج من فيه ومن مناخره لهب النار والدخان فغشي على ابرهيم ثم افاق
وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند
موته الا صورة وجهك لكان حسبه ۞ وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان داود عليه السلم كان رجلا غيورا وكان اذا خرج غلق الابواب فاغلق ذات يوم
وخرج فاشرفت امراته فاذا هي برجل في الدار فقالت من ادخل هذا الرجل لئن جاء
داود لنلقين منه عنتا فجاء داود فراه فقال من انت قال الذي لا اهاب الملوك
ولا يمنع مني الحجاب فقال فانت والله اذن ملك الموت وزمل داود عليه السلم مكانه ۞
وروى ان عيسى عليه السلم مر بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمي باذن الله تعالى

فقال يا روح الله انا ملك الموت كنت وكذا انا الجالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي
عاشر من ملكي اذ بدا لي ملك الموت فنزع مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي اليه فيا ليت
ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة
فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون فقد حكى الانبياء عليهم السلام
مجرد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت ولو رآها في منامه
ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحال واما المطيع فانه
يراه في احسن صورة واجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس ان ابراهيم عليه السلام كان
رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج اغلقه فرجع ذات يوم واذا برجل في جوف
البيت فقال من ادخلك داري فقال ادخلنيها ربها فقال انا ربها فقال ادخلنيها
من هو املك بها مني ومنك فقال من انت من الملائكة قال انا ملك الموت قال هل تستطيع
ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فاعرض عني فاعرض ثم التفت فاذا هو
بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن
عند الموت الا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين
قال وهيب بلغنا انه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان
مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق اجلستنا وعمل صالح احضرتنا
وان كان فاجرا قالا له لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء اجلستنا وعمل غير صالح
قد احضرتنا وكلام قبيح قد اسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت

اليها ولا يرجع الى الدنيا ابدا الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم
في النار وخوفهم قبل المشاهدة فانهم في حال السكرات وقد تخاذلت قواهم واستسلمت
للخروج ارواحهم ولن تخرج ارواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت باحدى البشريين
اما ابشر يا عدو الله بالنار او ابشر يا ولي الله بالجنة ومن هذا كان خوف ارباب الالباب
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يخرج احدكم من الدنيا حتى يعلم اين مصيره وحتى يرى
مقعده من الجنة او النار وقال صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه
ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذلك بذاك ان
المؤمن اذا فرج له عما هو قادم عليه فرح احب لقاء الله واحب الله لقاءه
وروي ان حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود رضي الله عنهما وهو لما به من آخر الليل قم فانظر
اي ساعة هي فقام ابن مسعود ثم جاء فقال قد طلعت الحمراء فقال حذيفة اعوذ بالله
من صباح الى النار وقد دخل مروان على ابي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال
ابو هريرة اللهم اشدد ثم بكى ابو هريرة وقال والله ما ابكي حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم
ولكن انتظر احدى البشريين من ربي بجنة ام بنار وروي في الحديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اذا رضي عن عبد قال يا ملك الموت اذهب الى فلان فأتني
بروحه لاريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث احب فينزل ملك الموت ومعه
خمسمائة من الملائكة معهم قضبان الريحان واصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة
سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان

فاذا نظر اليهم ابليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده مالك يا سيدنا فيقول اما
ترون ما اعطي هذا العبد من الكرامة اين كنتم عن هذا قالوا قد جهدنا به وكان معصوما
وقال الحسن لا راحة للمؤمن الا في لقاء الله ومن كانت راحته في لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره
وفرحه وامنه وعزه وشرفه وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة الى الحسن فلما
دخل الحسن عليه قيل له هذا الحسن فرفع طرفه اليه وقال يا اخوتاه الساعة والله افارقكم
الى النار او الى الجنة وقال محمد بن واسع عند الموت يا اخوتاه عليكم السلام الى النار او يعفو الله
وتمنى بعضهم ان يبقى في النزع ابدا ولا يبعث لثواب ولا عقاب فخوف سوء الخاتمة قطع قلوب
العارفين فهو من الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف
العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع ولكنا لا نطول بذكره واعادته

بيان ما يستحب من احوال المحتضر عند الموت

اعلم ان المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدوء والسكون ومن لسانه ان يكون
ناطقا بالشهادة ومن قلبه ان يكون حسن الظن بالله عز وجل اما الصورة فقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه وذرفت
عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق واحمر
لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به واما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة
فهي علامة الخير قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا
موتاكم لا اله الا الله وفي رواية حذيفة فانها تهدم ما قبلها من الخطايا

وقال عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة فقال
عبيد الله وهو يشهد وقال عثمان اذا احتضر الميت فلقنوه لا اله الا الله فانه ما من عبد
يختم له بها عند موته الا كانت زاده الى الجنة وقال عمر رضي الله عنه احضروا
موتاكم وذكروهم فانهم يرون ما لا ترون ولقنوهم لا اله الا الله وقال ابو هريرة سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد
فيه شيئا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له
بكلمة الاخلاص وينبغي للملقن ان لا يلح في التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطق لسان
المريض فيشق عليه ذلك ويؤدي الى استثقاله للتلقين وكراهيته للكلمة
ويخشى ان يكون ذلك سبب سوء الخاتمة وانما معنى هذه الكلمة ان يموت الرجل
وليس في قلبه غير الله فاذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت
على محبوبه غاية النعيم في حقه وان كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا اليها
متأسفا على لذاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطق القلب على تحقيقها
وقع الامر في خطر المشيئة فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله تعالى
بالقبول واما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب
الرجاء وقد وردت الاخبار بفضل حسن الظن دخل واثلة بن الاسقع على مريض
فقال اخبرني كيف ظنك بالله قال اغرقتني ذنوب لي واشفيت على هلكة
ولكني ارجو رحمة ربي فكبر واثلة وكبر اهل البيت بتكبيره وقال الله اكبر

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء
ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال
صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذي يرجو وآمنه
من الذي يخاف. وقال ثابت البناني كان شاب به حدة وكانت أمه تعظه كثيرا وتقول
له يا بني إن لك يوما فاذكر يومك فلما نزل به أمر الله تعالى أكبت عليه أمه فجعلت تقول له يا بني قد كنت
أحذرك مصرعك هذا وأقول إن لك يوما فقال يا أمه إن لي ربا كثير المعروف وإني لأرجو
أن لا يعدمني اليوم بعض معروفه قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بربه. وقال جابر بن وداعة
كان شاب به رهق فاحتضر فقالت له أمه يا بني توصي بشيء قال نعم خاتمي لا تسلبينيه فإن فيه ذكر الله تعالى
فلعل الله يرحمني فلما دفن رئي في النوم فقال أخبروا أمي أن الكلمة قد نفعتني وأن الله قد غفر لي
ومرض أعرابي فقيل له إنك تموت فقال أين يذهب بي قالوا إلى الله قال فما كراهتي أن أذهب إلى من
لا يرى الخير إلا منه. وقال المعتمر بن سليمان قال أبي لما حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص
لعلي ألقى الله تعالى وأنا حسن الظن به. وكانوا يستحبون أن يذكر للعبد محاسن عمله عند موته
لكي يحسن ظنه بربه.

بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يعبر بلسان الحال عنها

قال أشعث بن أسلم سأل إبراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه
وعين في قفاه فقال يا ملك الموت ما تصنع إذا كانت نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء
بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع قال أدعو الأرواح بإذن الله فتكون بين إصبعي هاتين زويت الارض لملك الموت

قال ودحيت له الأرض فجعلت كالطست بين يديه يتناول منها حيث يشاء قال وهو يبشره بأنه خليل الله تعالى
وقال سليمان بن داود لملك الموت عليهما السلام ما لي لا أراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا
قال ما أنا بذلك بأعلم منك إنما هي صحف أو كتب تلقى إلي فيها أسماء. وقال وهب بن منبه كان ملك
من الملوك أراد أن يركب إلى أرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما
أعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فأتي بها فلم تعجبه حتى أتي بدواب فركب أحسنها
فجاء إبليس فنفخ في منخره نفخة فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر
إلى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته
فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما قال إن لي إليك حاجة قال اصبر حتى أنزل
قال لا الآن فقهره على لجام دابته فقال اذكرها فقال هو سر فأدنى إليه رأسه
فساره وقال أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه وقال دعني حتى أرجع إلى أهلي
وأقضي حاجتي وأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبدا فقبض روحه فخر كأنه خشبة
ثم مضى فلقي عبدا مؤمنا في تلك الحال فسلم عليه فرد السلام فقال إن لي إليك حاجة أذكرها
في أذنك فقال هات فساره وقال أنا ملك الموت فقال مرحبا وأهلا بمن طالت غيبته
علي فوالله ما كان في الأرض غائب أحب إلي أن ألقاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك
التي خرجت لها فقال ما لي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى قال فاختر على أي حال
شئت أن أقبض روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم إني أمرت بذلك قال فدعني حتى أتوضأ
وأصلي فاقبض روحي وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد.

وقال بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني اسرائيل مالا فلما اشرف على الموت قال لبنيه
اروني اصناف اموالي فاتي بشي كثير من الخيل والابل والرقيق وغيره فلما نظر اليه بكى تحسرا عليه
فراه ملك الموت وهو يبكي فقال ما يبكيك فوالذي خولك ما خولك ما انا بخارج من منزلك
حتى افرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى افرقه قال هيهات انقطعت عنك المهلة
فهلا كان ذلك قبل حضور اجلك فقبض روحه ويروى ان رجلا جمع مالا فاوعى فلم
يدع صنفا من المال الا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه بابين وثيقين وجمع عليه حرسا
من غلمانه ثم جمع اهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع احدى رجليه على الاخرى
وهو يأكلون فلما فرغوا قال يا نفس انعمي لسنين فقد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه
حتى اقبل اليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان الثياب في عنقه مخلاة
يتشبه بالمساكين فقرع الباب بشدة قرعة عظيمة افزعته وهو على فراشه فوثب اليه
الغلمة وقالوا ما شانك قال ادعوا لي مولاكم قالوا والى مثلك يخرج مولانا قال نعم فاخبروه
بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة اشد من الاولى فوثب اليه الحرس
فقال اخبروه اني ملك الموت فلما سمعوه القي عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع
فقال قولوا له قولا لينا وقولوا هل تاخذ به احدا فدخل عليه وقال اصنع في مالك ما انت صانع
فلست بخارج منها حتى اخرج نفسك فامر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين راه لعنك الله
من مال انت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني ان اتخلى لربي فانطق الله المال فقال لم تسبني
وقد كنت تدخل على السلطان بي ويرد المتقون عن بابه وكنت تنكح المتنعمات

بي وتجلس مجالس الملوك بي ويرد المتقون وتنفقني في سبيل الشر فلا امتنع منك ولو انفقتني في سبيل
الخير نفعتك خلقت وابن آدم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق باثم ثم قبض ملك الموت روحه
فسقط ۞ وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الارض مثله
ثم عرج الى السما فقالت الملايكة لمن كنت اشد رحمة ممن قبضت روحه قال امرت بقبض نفس امراة
في فلاة من الارض فاتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره
وكونه في فلاة لا متعهد بها فقالت الملايكة للجبار الذي قبضت الان روحه
هو ذلك المولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء ۞
وقال عطا بن يسار اذا كان ليلة النصف من شعبان دفع الى ملك الموت صحيفة
فقال اقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة قال فان العبد ليغرس الغراس وينكح الازواج
ويبني البنيان وان اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري ۞ قال الحسن ما من يوم الا وملك الموت
يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى اجله قبض
روحه فاذا قبض روحه اقبل اهله برنة وبكا فاخذ ملك الموت بعضادتي الباب
فيقول والله ما اكلت له رزقا ولا افنيت له عمرا ولا انتقصت له اجلا وان لي فيكم
لعودة ثم عودة حتى لا ابقي منكم احدا قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون
كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على انفسهم ۞ وقال يزيد الرقاشي بينما جبار
من الجبابرة من بني اسرائيل جالس في منزله قد خلا ببعض اهله اذ نظر الى شخص
قد دخل من باب بيته فثار اليه فزعا مغضبا فقال من انت ومن ادخلك على داري

ليلة النصف من شعبان يدفع الى ملك الموت صحيفة يقبض فيها

فقال اما الذي ادخلني الدار فربها واما انا فالذي لا يمنع الحجاب ولا استاذن على الملوك ولا اخاف
صولة المتسلطين ولا يمتنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان مريد قال فاسقط في يدي الجبار
وارتعد حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع اليه راسه مستخذيا متذللا فقال له انت اذا
ملك الموت قال انا هو قال فهل انت ممهلي حتى احدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت
انفاسك ونفدت ساعاتك فليس الى تاخيرك سبيل قال فالى اين تذهب بي قال الى عملك الذي قدمته
والى بيتك الذي مهدته قال فاني لم اقدم عملا صالحا ولم امهد بيتا حسنا قال فالى لظى
نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط بين اهله فمن بين صارخ وباك قال يزيد الرقاشي لو يعلمون
سوء المنقلب كان العويل على ذلك اكثر وعن الاعمش عن خيثمة قال دخل ملك الموت على
سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فلما خرج قال
الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رايته ينظر الي كانه يريدني قال فماذا
تريد قال اريد ان تخلصني منه فتامر الريح ان تحملني الى اقصى الهند ففعلت الريح ذلك
ثم قال سليمان لملك الموت بعد ان اتاه ثانيا رايتك تديم النظر الى واحد من جلسائي
قال نعم كنت اتعجب منه لاني كنت امرت ان اقبضه بالهند في ساعة قريبة وكان عندك فتعجبت من ذلك

الباب الرابع

في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده

اعلم ان في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع احواله
عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين اذ لم يكن احد اكرم على الله تعالى منه اذ كان

اذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل امهله ساعة عند
انقضاء مدته وهل اخره لحظة بعد حضور منيته لا بل ارسل اليه الملائكة الكرام
الموكلين بقبض ارواح الانام فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها
ليرحلوها عن جثته الطاهرة الى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى مقعد صدق
في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في النزع كربه وظهر انينه وترادف قلقه وارتفع حنينه
وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه
من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره فهل رايت منصب النبوة دافعا عنه
مقدورا وهل راقب الملك فيه اهلا وعشيرا وهل سامحه اذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا
ونذيرا هيهات بل امتثل ما كان به مامورا واتبع ما وجده في اللوح مسطورا فهذا
كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض المورود وهو اول من تنشق عنه
الارض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب انا لا نعتبر به ولسنا على ثقة
فيما نلقاه بل نحن اسراء الشهوات وقرناء المعاصي والسيئات فما بالنا لا نتعظ بمصرع
محمد سيد المرسلين وامام المتقين وحبيب رب العالمين لعلنا نظن انا مخلدون او نتوهم
انا مع سوء افعالنا عند الله تعالى مكرمون هيهات هيهات بل نستيقن انا جميعا
على النار واردون ثم لا ينجو منها الا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللصدر عنها
متوهمون لا بل ظلمنا انفسنا ان كنا كذلك لغالب الظن منتظرين فما نحن والله من المتقين
وقد قال الله رب العالمين وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين

القلوب ونور الطالبين فاجتنبوها ولينظر كل عبد الى نفسه انه الى الظالمين اقرب
ام الى المتقين وانظر الى نفسك بعد ان تنظر الى سيرة السلف الصالحين ولقد كانوا مع ما
وفقهم الله من الخائفين ثم انظر الى سيد المرسلين فانه قد كان من امره على يقين اذ كان سيد
النبيين وقائد المتقين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد امره عند الانقلاب
الى جنة المأوى قال ابن مسعود دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت امنا عائشة
حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله
آواكم الله نصركم الله اوصيكم بتقوى الله واوصى الله بكم اني لكم منه نذير مبين الا تعلوا
على الله في عباده وبلاده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى
والكاس الاوفى فاقرؤوا على انفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته من لامتي بعدي فاوحى الله تعالى
الى جبريل ان بشر حبيبي اني لا اخذله في امته وبشره بانه اسرع الناس خروجا من الارض
اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وان الجنة محرمة على الامم حتى تدخلها امته
فقال الان قرت عيني وقالت عائشة رضي الله عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
نغسله بسبع قرب من سبع ابار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس
واستغفر لاهل احد ودعا لهم واوصى بالانصار فقال اما بعد يا معشر المهاجرين فانكم
تزيدون واصبحت الانصار على هيئتها التي هي عليها اليوم وان الانصار عيبتي التي اويت اليها لا تزيد
فاكرموا كريمهم يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا

وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى ابو بكر رضي الله عنه وظن انه يريد نفسه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك يا ابا بكر سدوا هذه الابواب الشوارع في المسجد
الا باب ابي بكر فاني لا اعلم امرا افضل عندي في الصحبة من ابي بكر قالت عائشة رضي الله عنها
فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه
عند الموت فدخل علي اخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه
ذلك فقلت آخذه لك فاومى براسه اي نعم فناولته اياه فادخله في فيه فاشتد عليه
فقلت الينه لك فاومى براسه اي نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل يده
فيها ويقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى
فقلت اذن والله لا يختارنا وروى سعيد عن عبد الله عن ابيه قال لما رات الانصار
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا طافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل
فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي عليه السلام بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه فقال ما يقولون
قالوا يقولون نخشى ان يموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم
فثار رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على علي والفضل والعباس امامه ورسول الله
معصوب الراس يخط برجليه حتى جلس على اسفل مرقاة في المنبر وثاب الناس اليه
فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس انه بلغني انكم تخافون علي الموت كانه استنكار
منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم الم انع اليكم وتنعى اليكم انفسكم هل خلد نبي قبلي

من بعث ما خلفتكم الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به واني اوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا
واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله عز وجل قال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا الى آخرها
وان الامور تجري باذن الله فلا يحملنكم استبطا امر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل بعجلة
احد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض
وتقطعوا ارحامكم واوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا
اليهم الم يشاطروكم الثمار الم يوسعوا عليكم في الديار الم يؤثروكم على انفسهم وبهم
الخصاصة الا فمن ولي ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستاثروا
عليهم الا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض حوضي ما بين بصرى الشام
وصنعا اليمن يصب فيه ميزاب الكعبة ماؤه اشد بياضا من اللبن والين من الزبد واحلى
من الشهد من شرب منه لم يظما ابدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه من مسك من حرمه
في الموقف غدا حرم الخير كله الا فمن احب ان يرده علي غدا فليكفف لسانه ويده
الا مما ينبغي وقال العباس رضي الله عنه يا رسول الله اوص بقريش فقال انما اوصي بهذا
الامر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم واستوصوا آل قريش
بالناس خيرا يا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم ائمتهم
واذا فجر الناس عقوهم قال الله عز وجل وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما
كانوا يكسبون ه وروى ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر سل
يا ابا بكر فقال يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى فقال ليهنك يا نبي الله

ما عند الله فليت شعري عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى
والفردوس الاعلى والكاس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ والعيش المهنا فقال يا نبي الله من يلي غسلك
قال رجال من اهل بيتي الادنى فالادنى قال ففيم نكفنك فقال في ثيابي هذه وفي حلة يمنية
او بياض مصر فقال كيف الصلوة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم
وجزاكم الله عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا
على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي علي الله عز وجل هو الذي يصلي
عليكم وملائكته ثم ياذن للملائكة في الصلوة علي فاول من يدخل علي من خلق الله ويصلي علي
جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة باجمعها
صلى الله عليهم اجمعين ثم انتم فادخلوا علي افواجا فصلوا علي افواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما
ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدا منكم الامام واهل بيتي الادنى
فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قالوا فمن يدخل القبر قال زمر اهل بيتي الادنى فالادنى
مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فادوا عني الى من بعدي ه
وقال عبد الله بن زمعة جا بلال في اول شهر ربيع الاول فاذن بالصلوة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مروا ابا بكر يصلي بالناس فخرجت فلم ار بحضرة الباب الا عمر
في رجال ليس فيهم ابو بكر فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر
وكان رجلا صيتا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير فقال اين ابو بكر
يابى الله ذلك والمسلمون قالها ثلاث مرات مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة

يا رسول الله ان ابا بكر رجل رقيق اذا قام في مقامك غلبه البكا فقال انكن صواحبات يوسف
مروا ابا بكر فليصل بالناس حتى قال فصلى ابو بكر بعد الصلوه التي صلى عمر وكان عمر يقول
لعبد الله بن زمعه بعد ذلك ويحك ماذا صنعت بي والله لولا اني ظننت ان رسول الله
امرك ما فعلت فيقول عبد الله اني لم ار احدا اولى بذلك منك قالت عايشه وما قلت ذلك
ولا صرفته عن ابي بكر الا رغبه به عن الدنيا ولما في الولايه من المخاطره والهلكه
الا ما سلم الله وخشيت ايضا ان لا يكون الناس يحبون رجلا قط صلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم
وهو حي ابدا الا ان يشا الله يحسدونه ويبغون عليه ويتشاممون به فاذا الامر امر الله
والقضا قضاوه وعصمه الله من كل ما تخوفت عليه من امر الدنيا والدين
وقالت عايشه رضي الله عنها فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم راوا منه
خفه في اول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوايجهم مستبشرين واخلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسا فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجا والفرج
قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجن عني هذا الملك يستاذن علي فخرج من في
البيت غيري وراسه في حجري فجلس وتنحيت في جانب البيت فناجى الملك طويلا ثم انه
دعاني فاعاد راسه في حجري وقال للنسوه ادخلن فقلت ما هذا بحس جبريل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل يا عايشه هذا ملك الموت جاني فقال ان الله عز وجل ارسلني
وامرني ان لا ادخل عليك الا باذن فان لم تاذن لي ارجع وان اذنت لي دخلت وامرني ان لا
اقبضك حتى تامرني فماذا امرك فقلت اكفف حتى ياتيني جبريل عليه السلم

هذه ساعه جبريل قالت عايشه فاستقبلنا بامر لم يكن له عندنا جواب ولا راي فوجمنا وكانما
ضربنا بصاخه ما يحير اليه شيا وما يتكلم احد من اهل البيت اعظاما لذلك الامر وهيبه ملات
اجوافنا قالت وجا جبريل عليه السلم في ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج اهل البيت فدخل فقال
ان الله عز وجل يقرا عليك السلم ويقول كيف تجدك وهو اعلم بالذي تجد منك ولكن اراد ان يزيدك
كرامه وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق وان يكون سنه في امتك فقال اجدني وجعا
فقال ابشر يا رسول الله ان الله اراد ان يبلغك ما اعد لك فقال يا جبريل ان ملك الموت استاذن علي واخبره
بالخبر فقال جبريل يا محمد ان ربك اليك مشتاق الم اعلمك الذي يريد بك لا والله ما استاذن ملك الموت
على احد قط ولا يستاذن عليه ابدا الا ان ربك متمم شرفك فهو اليك مشتاق قال فلا تبرح اذن حتى
يجي واذن للنسا فقال ادني يا فاطمه فاكبت عليه فناجاها فرفعت راسها وعيناها تدمع
وما تطيق الكلام ثم قال ادني مني راسك فاكبت عليه فناجاها فرفعت راسها وهي تضحك وما تطيق
الكلام فكان الذي راينا منها عجبا فسالنا بعد ذلك فقالت اخبرني وقال اني ميت
اليوم فبكيت ثم قال اني دعوت الله ان يلحقك بي اول اهلي وان يجعلك معي فضحكت وادنت ابنيها
منه فشمهما قالت وجا ملك الموت فسلم واستاذن فاذن له فقال الملك ما تامرنا يا محمد قال الحقني
بربي الان قال بلى من يومك هذا اما ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد عن احد تردده عنك ولم ينهني
عن الدخول على احد بغير اذن غيرك ولكن ساعتك امامك وخرج قالت وخرج جبريل عليه السلم
فقال عليك السلم يا رسول الله هذا اخر ما انزل فيه الى الارض ابدا طوي الوحي وطويت الدنيا
وما كان لي في الارض حاجه غيرك وما لي فيها حاجه الا حضورك ثم لزوم موقفي

ولا والذي بعث محمدا بالحق ما في البيت احد يستطيع ان يخبر الينا في ذلك كلمة ولا سعى الى احد
من رجاله لعظم ما سمع من حزنه ووجدنا واشفاقنا قالت فهممت الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى
اضع راسه من ثوبي وامسكته بصدري وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا ما رايته
من انسان قط فجعلت اسلت ذلك العرق وما وجدت رائحة شي قط اطيب منه فكنت اقول له
اذا افاق بابي وامي واهلي ونفسي ما تلقى جبينك من الرشح فقال يا عايشة ان نفس المومن تخرج بالرشح
ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى اهلينا فكان اول
رجل جانا ولم يشهده اخي بعثه الي ابي فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يجي احد وانما صدهم الله
عنه لانه ولاه جبريل وميكاييل عليهما السلم وجعل اذا اغمي عليه قال بل الرفيق الاعلى كان
الخيرة تعاد عليه فاذا اطاق الكلام قال الصلوة الصلوة انكم لا تزالون متماسكين ما صليتم
جميعا الصلوة الصلوة كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلوة الصلوة قالت عايشة
مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة عليها السلم
ما لقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الامة تصاب فيه بعظيمة وقالت ام كلثوم يوم اصيب علي بالكوفة
مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل علي وفيه قتل
ابي فما لقيت من يوم الاثنين وقالت عايشة رضي الله عنها لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس
حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم الملايكة بثوبي فاختلفوا فكذب بعضهم
بموته واخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط اخرون فلاثوا الكلام بغير بيان
وبقي اخرون معهم عقولهم واقعد اخرون فكان عمر بن الخطاب ممن كذب بموته

وعلي فيمن اقعد وعثمان فيمن اخرس فخرج عمر على الناس فقال ان رسول الله لم يمت وليرجعنه
الله عز وجل وليقطعن ايدي وارجل رجال من المنافقين يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت
انما واعده ربه عز وجل كما واعد موسى وهو اتيكم وفي رواية انه قال يا ايها الناس كفوا السنتكم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يمت والله لا اسمع احدا يذكر ان رسول الله قد مات الا
علوته بسيفي هذا واما علي فانه اقعد فلم يبرح البيت واما عثمان فجعل لا يكلم احدا يوخذ بيده
فيجاء به ويذهب به ولم يكن احد من المسلمين في مثل حال ابي بكر والعباس فان الله عز وجل عزم لهما
على التوفيق والسداد وان كان الناس لم يرعووا الا بقول ابي بكر حتى جا العباس فقال والله
الذي لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد
قال وهو بين اظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون
وبلغ ابا بكر الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجا فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر
اليه فاكب عليه فقبله ثم قال بابي انت وامي ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد
والله توفي رسول الله ثم خرج الى الناس فقال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات
ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فكان الناس لم يسمعوا هذه الاية الا يومئذ
وفي رواية ان ابا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي
وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال فاكب
عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول

الحمد لله الذي امر المؤمنين باطاعة رسوله محمد الذي يقول يوم القيامة

أمتي أمتي   ووعدهم الجنة بمتابعة نبيه محمد الذي يقول يوم الجزاء

امتي امتي فسبحانه من نور العالمين بنور حبيبه محمد الذي يقول يوم العرصات

امتي أمتي اشهداه الذي اعد العذاب للمنكرين نبوته محمد الذي يقول

يوم الندامة أمتي امتي   وفي شهداه الذي يقول يوم الميزان له

وعند الصراط امتي امتي

حديث موعظة

عن انس رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

شفاعتي لاهل الكبائر من امتي الدنية فادخلي في عبادي وادخلي

جنتي   فصلية اللهم صل على محمد الذي قال حبه وبودته حنو جرها

الى الكعبة امتي امتي سلطانه المنقبة سبحان الله مولدنا يا ايها الراجون

شفاعته صلوا عليه وسلموا تسليما

بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء والنبوة
فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سوا
ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لموتك بالنفوس ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك
ماء الشؤون فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محالفان لا يبرحان اللهم فأبلغه
عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم نقم
لما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا وعن ابن عمر أنه لما دخل
أبو بكر البيت وصلى وأثنى عج أهل البيت عجيجا سمعه أهل المصلى كلما ذكر شيئا ازدادوا
فما سكن عجيجهم إلا تسليم رجل على الباب صيت جلد قال السلام عليكم يا أهل البيت كل نفس ذائقة
الموت إن في الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا
وبه فثقوا فاستمعوا له فأنكروه وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء فقد صوته
فاطلع أحدهم فلم ير أحدا ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته يا أهل البيت اذكروا
الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل
رغبة فالله فأطيعوا وبأمره فاعملوا فقال أبو بكر هذا الخضر واليسع حضر النبي صلى الله عليه وسلم — قال أبو بكر هذا الخضر واليسع
واستوفى القعقاع بن عمرو حكاية خطبة أبي بكر رضي الله عنه فقال قام أبو بكر في الناس
خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بجملة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله على كل — خطبة
حال وأثنى عليه وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده
فلله الحمد وحده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وأشهد أن الكتاب كما نزل

وأن الدين كما شرع وأن الحديث كما حدث وأن القول كما قال وأن الله هو الحق المبين اللهم فصل على محمد
عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وأمينك وخيرتك وصفوتك بأفضل ما صليت به على أحد من خلقك
اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين
وإمام المتقين محمد قائد الخير وإمام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه
وكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا تغبطه به الأولون والآخرون وانفعنا
بمقامه المحمود يوم القيامة واخلفه فينا في الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة
من الجنة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صليت وباركت على إبرهيم
إنك حميد مجيد أيها الناس إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله
فإن الله حي لم يمت وإن الله قد تقدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعا فإن الله عز وجل قد اختار
لنبيه صلى الله عليه وسلم ما عنده على ما عندكم وقبضه إلى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنته
وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر يا أيها الذين آمنوا كونوا
قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا
الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم وقال ابن عباس لما فرغ
أبو بكر رضي الله عنه من خطبته قال يا عمر أنت الذي بلغني أنك تقول ما مات نبي الله أما ترى
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا كذا وكذا ويوم كذا كذا وكذا وقال الله تعالى
في كتابه إنك ميت وإنهم ميتون فقال والله لكأني لم أسمع بها في كتاب الله قبل الآن
لما نزل بنا أشهد أن الكتاب كما نزل وأن الحديث كما حدث وأن الله حي لا يموت إنا لله وإنا إليه

فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب
ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي أعطي نوره على إبهام قدميه
يحبو على وجهه ويديه ورجليه تخر منه يد وتعلق أخرى وتعلق رجل وتخر أخرى وتصيب جوانبه
النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطاني الله
ما لم يعط أحدا إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل
وقال أنس بن مالك سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة وإن
الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وإن جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتي وإني لأقول يا رب
سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير فهذه أهوال الصراط وعظائمه فطول
فيه فكرك فإن أسلم الناس من أهوال القيامة من طال فيها فكره في الدنيا فإن الله
لا يجمع على عبد خوفين فمن خاف هذه الأهوال في الدنيا أمنها في الآخرة ولست أعني بالخوف رقة
كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود إلى لهوك
ولعبك فما ذلك من الخوف في شيء بل من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا
ينجيك إلا خوف يمنعك عن معاصي الله تعالى ويحثك على طاعته وأبعد من رقة النساء
خوف الحمقى إذا سمعوا الأهوال سبق إلى ألسنتهم الاستعاذة فقال أحدهم استعنت بالله
نعوذ بالله سلم سلم وهم مع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم فالشيطان
يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضاري في صحراء ووراءه حصن
فإذا رأى أنياب السبع وصولته من بعيد قال بلسانه أعوذ بهذا الحصن الحصين

واستعيذ بشدة بنيانه وإحكام أركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فأنى يغني
ذلك عنه من السبع وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا قول لا إله إلا الله صادقا ومعنى
صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره ومن اتخذ إلهه هواه فهو بعيد
عن الصدق في توحيده وأمره مخطر في نفسه فإن عجزت عن ذلك كله فكن محبا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حريصا على تعظيم سنته ومتشوقا إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمته
ومتبركا بأدعيتهم فعساك تنال من شفاعته أو شفاعتهم فتنجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة

صفة الشفاعة

اعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى
بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له عند
الله تعالى جاه وحسن معاملة فإن له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه
فكن حريصا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بأن آدميا أصلا فإن الله تعالى
خبأ ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر معصية أصلا
فإن الله تعالى خبأ غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه ولا تستحقر طاعة أصلا فإن الله تعالى
خبأ رضاه في طاعاته فلعل رضى الله فيه ولو الكلمة الطيبة أو اللقمة أو النية الحسنة
أو ما يجري مجراه وشواهد الشفاعة في القرآن والأخبار كثيرة قال الله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى وروى عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم
عليه السلام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم
وقول عيسى عليه السلام إن تعذبهم فإنهم عبادك ثم رفع يديه وقال أمتي أمتي

ولا تمنّي على الله غير الحق فإن حفظت وصيتي هذه فلا يكون غائب أحبّ إليك من الموت
ولا بدّ لك منه وإن ضيّعت وصيتي فلا يكون غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجزه
وقال سعيد بن المسيب لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه أتاه ناس من أصحابه فقالوا يا خليفة
رسول الله زوّدنا فإنا نراك لما بك فقال أبو بكر من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه
في الأفق المبين قالوا وما الأفق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه رياض وأنهار وأشجار يغشاه
كل يوم مائة رحمة ثم قال هذا القول جعل الله روحه في ذلك المكان اللهم إنك ابتدأت
الخلق من غير حاجة بك إليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير
فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم إنك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل أن تخلقهم
فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقني بمعاصيك اللهم علمت ما تكسب انك
كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لها مما علمت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك اللهم
إن أحدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتك أن أشاء ما يقربني إليك اللهم إنك قدرت
حركات العباد فلا يتحرك شيء إلا بإذنك فاجعل حركاتي في تقواك اللهم إنك خلقت الخير
والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلني من خير القسمين اللهم
إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحد منهما أهلا فاجعلني من سكان جنتك
اللهم إنك أردت بقوم الضلال وضيّقت به صدورهم فاشرح صدري للإيمان وزيّنه في قلبي
اللهم إنك دبّرت الأمور وجعلت مصيرها إليك فأحيني بعد الموت حياة طيبة
وقرّبني إليك زلفى اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك فأنت ثقتي ورجائي

ولا حول ولا قوة إلا بالله قال أبو بكر هذا كله في كتاب الله عز وجل

وفاة عمر رضي الله عنه

قال عمرو بن ميمون كنت قائما غداة أصيب عمر ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس
وكان إذا مرّ بين الصفين قام بينهما فإذا رأى خللا قال استووا حتى إذا لم ير فيهن خللا
تقدم وكبر قال وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى
حتى يجتمع الناس فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه
أبو لؤلؤة فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا ولا شمالا إلا طعنه
حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما رأى ذلك
رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه
وتناول عمر عبد الرحمن بن عوف فقدمه فأما من كان يلي عمر فقد رأى ما رأيت وأما
نواحي المسجد لا يدرون ما الأمر إلا أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله
فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلني
قال فغاب ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة قال قاتله الله لقد كنت
أمرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل مسلم قد كنت أنت وأبوك
تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقا فقال ابن عباس
إن شئت فعلت أي إن شئت قتلناهم قال بعدما تكلموا بلسانكم وصلوا إلى قبلتكم
وحجوا حجكم فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة

قيل يومئذ قال وقايل يقول اخاف عليه وقايل يقول لا باس فاتي بنبيذ فشرب منه فخرج من جرحه
ثم اتي بلبن فشرب منه فخرج من جرحه فعرفوا انه ميت قال فدخلنا عليه وجا الناس
يثنون عليه وجا رجل شاب فقال ابشر يا امير المومنين ببشرى من الله عز وجل قد كان لك من صحبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة
فقال وددت ان ذلك كان كفافا لا علي ولا لي فلما ادبر الرجل اذا ازاره يمس الارض
فقال ردوا علي الغلام فقال يا ابن اخي ارفع ثوبك فانه انقى لثوبك واتقى لربك ثم قال يا عبد الله
ابن عمر انظر ما علي من الدين فحسبوا فوجدوه ستة وثمانين الفا او نحوه فقال ان وفى به مال
آل عمر فاده من اموالهم والا فسل في بني عدي بن كعب فان لم تف اموالهم فسل في قريش ولا تعدهم
الى غيرهم وادّ عني هذا المال انطلق الى ام المومنين عايشة فقل يقرا عليك عمر السلم
ولا تقل امير المومنين فاني لست اليوم للمومنين اميرا وقل يستاذن عمر بن الخطاب ان يدفن
مع صاحبيه فذهب عبد الله فسلم واستاذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة
تبكي فقال يقرا عليك عمر بن الخطاب السلم ويستاذن ان يدفن مع صاحبيه فقالت
كنت اريده لنفسي ولاوثرنه اليوم على نفسي فلما اقبل قيل هذا عبد الله بن عمر
قد جا فقال ارفعوني فاسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا امير المومنين
اذنت قال الحمد لله ما كان شي اهم الي من ذلك فاذا انا قبضت فاحملوني ثم سلم وقل يستاذن
عمر فان اذنت لي فادخلوني وان ردتني ردوني الى مقابر المسلمين وجاءت ام المومنين حفصة
والنسا يسترنها فلما رايناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة

واستاذن الرجال فولجت داخلا لهم فسمعنا بكاها من داخل فقالوا اوص يا امير المومنين استخلف
قال ما ارى احق بهذا الامر من هولا النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض
فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر
وليس له من الامر شي كهيئة التعزية له فان اصابت الامارة سعدا فهو ذاك والا فليستعن به
ايكم ما امر فاني لم اعزله عن عجز ولا خيانة وقال اوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين
الاولين ان يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرمتهم واوصيه بالانصار خيرا الذين تبووا
الدار والايمان من قبلهم ان يقبل من محسنهم وان يعفوا عن مسيهم واوصيه باهل الامصار
خيرا فانهم ردء الاسلام وجباة المال وغيظ العدو وان لا ياخذ منهم الا فضلهم
عن رضى منهم واوصيه بالاعراب خيرا فانهم اصل العرب ومادة الاسلام ان يوخذ من
حواشي اموالهم ويرد على فقرايهم واوصيه بذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم
ان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل من ورايهم ولا يكلفوا الا طاقتهم قال فلما قبض خرجنا به
فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر وقال يستاذن عمر بن الخطاب فقالت ادخلوه
فادخل فوضع هنالك مع صاحبيه الحديث ٭ وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال
جبريل عليه السلام ليبك الاسلام على موت عمر ٭ وعن ابن عباس قال وضع عمر على
سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل ان يرفع وانا فيهم فلم يرعني الا رجل قد اخذ
بمنكبي فالتفت فاذا هو علي بن ابي طالب فترحم على عمر وقال ما خلفت احدا احب الي ان القى الله
بمثل عمله منك وايم الله ان كنت لاظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك اني كنت

كنا اسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت انا وابو بكر وعمر ودخلت انا وابو بكر وعمر وخرجت انا وابو بكر
وعمر فان كنت لارجو واظن ان يجعلك الله معهما

وفاة عثمان رضي الله عنه

الخبر في قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام اتيت عثمان لاسلم عليه وهو محصور
فدخلت عليه فقال مرحبا باخي رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوخة وخوخة
في البيت فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال اعطشوك قلت نعم قال فادلى دلوا فيه ماء فشربت
حتى رويت حتى اني لاجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال ان شئت نصرت عليهم وان شئت افطرت
عندنا فاخترت ان افطر عنده فقتل ذلك اليوم رضي الله عنه وقال عبد الله بن سلام
لمن حضر تشحط عثمان في الموت حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول
اللهم اجمع امة محمد صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لو دعا الله ان لا يجتمعوا ابدا ما اجتمعوا
الى يوم القيمة وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين اشرف عليهم عثمان
فقال ائتوني بصاحبيكم اللذين البّاكم علي قال فجيء بهما كانهما جملان او حماران قال فاشرف عليهم عثمان
فقال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة
وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء
المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي وانتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها
ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان المسجد كان قد ضاق
باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد

بخير منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فانتم اليوم تمنعوني ان اصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم
ثم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون اني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا اللهم نعم قال
انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة ومعه
ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله
وقال اسكن ثبير فما عليك الا نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله اكبر
شهدوا لي ورب الكعبة اني شهيد وروي عن شيخ من ضبة ان عثمان رضي الله عنه
حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
اللهم اني استعديك عليهم واستعينك على جميع اموري واسالك الصبر على ما ابتليتني

وفاة علي كرم الله وجهه

قال الاصبغ الحنظلي لما كانت الليلة التي اصيب فيها علي رضي الله عنه اتاه ابن النباح
حين طلع الفجر يؤذنه بالصلوة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك
ثم عاد الثالثة فقام علي يمشي وهو يقول

اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيك ولا تجزع من الموت اذا حل بواديك

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت ام كلثوم ابنته فجعلت تقول
مالي ولصلوة الغداة قتل زوجي امير المؤمنين صلاة الغداة وقتل ابي صلوة الغداة
وعن شيخ من قريش ان عليا كرم الله وجهه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة
وعن محمد بن علي انه لما ضرب اوصى بنيه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله حتى قبض

ولما ثقل الحسن بن علي رضي الله عنهما دخل عليه الحسين عليه السلم فقال يا اخي لاي شي تجزع
تقدم على رسول الله وعلى علي بن ابي طالب وهما ابواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد
وهما اماك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك فقال يا اخي اقدم على امر لم اقدم على مثله
وعن محمد بن الحسن قال لما نزل القوم بالحسين رضي الله عنه وايقن انهم قاتلوه قام في اصحابه
خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال قد نزل بي من الامر ما ترون وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت
وادبر معروفها واشمرت حتى لم يبق منها الا كصبابة الاناء الا خسيس عيش كالمرعى
الوبيل الا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه لترغب المومن في لقاء الله تعالى واني لا
ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما ه

الباب الخامس

في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين

لما حضرت معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه الوفاة قال اقعدوني فاقعد
فجعل يسبح الله ويذكره ثم بكى وقال تذكر ربك يا معوية عند الهرم والانحطام الا كان هذا
وغصن الشباب نضر ريان وبكى حتى علا بكاوه وقال يا رب ارحم الشيخ العاصي
ذا القلب القاسي اللهم اقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق باحد
سواك ه وروى شيخ من قريش انه دخل مع جماعة عليه في مرضه فراوا في جلده
غضونا فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما الدنيا اجمع فالا ما جربنا وراينا اما والله لقد
استقبلنا زهرتها بجدتنا واستلذذنا عيشها فما لبثت الدنيا ان نقضت ذلك

منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة واصبحت الدنيا قد وترتنا واخلقتنا واستلامت
الينا فاف للدنيا من دار واف لها من دار ه ويروى ان اخر خطبة خطبها معوية
رضي الله عنه انه قال ايها الناس ان من زرع قد استحصد واني قد وليتكم
ولن يليكم احد بعدي الا هو شر مني كما كان من قبلي خيرا مني ويا يزيد اذا وفى اجلي فول غسلي
رجلا لبيبا فان اللبيب من الله بمكان فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ثم اعمد الى منديل في الخزانة
فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وسلم وقراضة من شعره واظفاره فاستودع القراضة
انفي وفمي واذني وعيني واجعل الثوب على جلدي دون اكفاني ويا يزيد احفظ وصية الله
في الوالدين فاذا ادرجتموني في جريدتي ووضعتموني في حفرتي فخلوا معوية وارحم الراحمين
وقال محمد بن عقبة لما نزل بمعوية رضي الله عنه الموت قال يا ليتني كنت رجلا من قريش
بذي طوى واني لم ال من هذا الامر شيا ه ولما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة نظر
الى غسال بجانب دمشق يلوي ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة فقال عبد الملك والله
ليتني كنت غسالا اكل من كسب يدي يوما بيوم ولم ال من امر الناس شيا فبلغ ذلك ابا حازم
فقال الحمد لله الذي جعلهم اذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه واذا حضرنا الموت
لم نتمن ما هم فيه ه وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه كيف تجدك يا امير المومنين
قال اجدني كما قال الله تعالى ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم
ما خولناكم وراء ظهوركم الاية ه وقالت فاطمة بنت عبد الملك امراة عمر بن عبد العزيز
كنا نسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول اللهم اخف عليهم موتي ولو ساعة

نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت آخر بيني وبينه باب وهو
في قبة له فسمعته يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا
فسادا والعاقبة للمتقين ثم هدأ فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاما فقلت لوصيف
له انظر أنائم هو فلما دخل صاح فوثبت فإذا هو ميت ٭ وقيل له لما حضره الموت
اعهد يا أمير المؤمنين قال أحذركم مثل مصرعي هذا فإنه لا بد لكم منه ٭ وروي أنه لما ثقل
عمر بن عبد العزيز رحمه الله دعي له طبيب فلما نظر إليه قال أرى الرجل قد سقي السم ولا آمن
عليه الموت فرفع عمر بصره وقال ولا تأمن الموت أيضا على من لم يسق السم قال الطبيب هل
أحسست بذلك يا أمير المؤمنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فتعالج يا أمير المؤمنين
فإني أخاف أن تذهب نفسك فقال ربي خير مذهوب إليه والله لو علمت أن شفائي عند
شحمة أذني ما رفعت يدي إلى أذني فتناولته اللهم خر لعمر في لقائك فلم يلبث إلا أياما حتى مات ٭
وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك يا أمير المؤمنين أبشر فقد أحيا الله بك سننا
وأظهر بك عدلا فبكى ثم قال أليس أوقف فأسأل عن أمر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم
لخفت على نفسي أن لا تقوم بحجتها بين يدي الله تعالى إلا أن يلقنها حجتها فكيف بكثير مما
صنعنا وفاضت عيناه فلم يلبث إلا قليلا حتى مات ٭ ولما قرب وقت موته قال أجلسوني
فأجلسوه فقال أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلاث مرات ولكن لا إله إلا الله
ثم رفع رأسه فأحد النظر فقيل له في ذلك فقال إني لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن
ثم قبض ٭ وحكي عن هارون الرشيد أنه انتقى أكفانه عند الموت بيده

وكان ينظر إليها ويقول ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه ٭ وفرش المأمون رمادا
واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ٭
وكان المعتصم يقول لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت ٭ وكان المنتصر
يضطرب على نفسه عند الموت فقيل له لا بأس عليك يا أمير المؤمنين فقال ليس إلا هذا
لقد ذهبت الدنيا والآخرة ٭ وقال عمرو بن العاص عند الوفاة وقد نظر إلى صناديق
لبنيه من يأخذها بما فيها ليته كان بعرا ٭ وقال الحجاج عند موته اللهم اغفر لي
فإن الناس يقولون إنك لا تغفر لي فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة ويغبطه
عليها ولما حكي ذلك للحسن قال أقالها قيل نعم قال عسى ٭

بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوف رضي الله عنهم

لما حضر معاذا رضي الله عنه الوفاة قال اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك
اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار
ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر
ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه أحد فكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه
ثم قال رب اخنقني خنقك فوعزتك إنك لتعلم أن قلبي يحبك ٭

ولما حضر سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما ابكي جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تكون بلغة احدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر
في جميع ما ترك فاذا قيمته بضعة عشر درهما ۞ ولما حضر بلالا الوفاة قالت امراته
واحزناه فقال بل واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه ۞ وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينيه
عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ۞ ولما حضر ابرهيم النخعي الوفاة
بكى فقيل ما يبكيك فقال انتظر من الله رسولا يبشرني بالجنة او بالنار ۞ وحضر ابن المنكدر الوفاة
فبكى فقيل له ما يبكيك فقال والله ما ابكي لذنب اعلم اني اتيته ولكن اخاف اني اتيت شيا
حسبته هينا وهو عند الله عظيم ۞ ولما حضر عامر بن عبد قيس الوفاة بكى فقيل
ما يبكيك قال ما ابكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن ابكي على ما يفوتني من ظما
الهواجر وعلى قيام ليل الشتا ۞ ولما حضر فضيلا الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه
وقال وابعد سفراه وقلة زاداه ۞ ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه
اجعل راسي على التراب فبكى نصر فقال له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم
وانت هو ذا تموت فقيرا غريبا فقال اسكت فاني سالت الله تعالى ان يحييني حياة الاغنيا
وان يميتني موت الفقرا ثم قال له لقني ولا تعد علي ما لم اتكلم بكلام ثاني ۞
وقال عطا بن يسار تبدى ابليس لرجل عند الموت فقال له نجوت فقال ما امنتك بعد ۞
وبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك قال اية في كتاب الله قوله تعالى
انما يتقبل الله من المتقين ۞ ودخل الحسن على رجل يجود بنفسه فقال ان امرا

هذا اوله لجدير ان يتقى اخره وان امرا هذا اخره لجدير ان يزهد في اوله ۞
وقال الجريري كنت عند الجنيد في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز وهو
يقرا القران فختم فقلت له في هذه الحالة يا ابا القاسم فقال ومن اولى بذلك مني وهو ذا تطوى
صحيفتي ۞ وقال رويم حضرت وفاة ابي سعيد الخراز وهو يقول

حنين قلوب العارفين الى الذكر … وتذكارهم وقت المناجاة للسر
اديرت كؤوس للمنايا عليهم … فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذي الشكر
همومهم جوالة بمعسكر … به اهل ود الله كالانجم الزهر
فاجسامهم في الارض قتلى بحبه … وارواحهم في الحجب نحو العلى تسري
فما عرسوا الا بقرب حبيبهم … وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر

وقيل للجنيد ان ابا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجب ان تطير
روحه اشتياقا ۞ وقيل لذي النون عند موته ما تشتهي قال ان اعرفه قبل موتي بلحظة ۞
وقيل لبعضهم وهو في النزع قل الله فقال الى متى تقولون وانا محترق بالله ۞
وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينوري فقدم فقير وقال السلام عليكم هاهنا موضع
نظيف يمكن الانسان ان يموت فيه قال فاشاروا اليه بمكان وكان ثم عين ما فجدد
الفقير الوضو وركع ما شا الله ومضى الى ذلك المكان ومد رجليه ومات ۞
وكان ابو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت امراة تواجدا فقال لها موتي
فقامت المراة فلما بلغت الدار التفتت اليه وقالت قد مت ووقعت ميتة

وحكي عن فاطمة أخت أبي علي الروذباري قالت لما قرب أجل أبي علي الروذباري وكان رأسه في حجري
فتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول يا أبا علي
قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها ثم أنشأ يقول

وحقك لا نظرت إلى سواكا ... بعين مودة حتى أراكا
أراك معذبي بفتور لحظ ... وبالخد المورد من جناكا

وقيل للجنيد قل لا إله إلا الله فقال ما نسيته فأذكره ۝ وسأل جعفر بن نصير بكران الدينوري
خادم الشبلي ما الذي رأيت منه فقال قال علي درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بألوف
فما على قلبي شغل أعظم منه ثم قال وضئني للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك
على لسانه فقبض على يدي وأدخلها في لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون في رجل لم
يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة ۝ وقيل لبشر الحرث لما احتضر وكان يشق عليه
كأنك تحب الحياة فقال القدوم على الله شديد ۝ وقيل لصالح بن مسمار ألا توصي بابنك
وعيالك فقال إني أستحيي من الله أن أوصي بهم إلى غيره ۝ ولما احتضر أبو سليمان الداراني
أتاه أصحابه فقالوا أبشر فإنك تقدم على رب غفور رحيم فقال ألا تقولون احذر
فإنك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك على الكبير ۝ ولما احتضر الواسطي
قيل أوصنا فقال احفظوا مراد الحق فيكم ۝ واحتضر بعضهم فبكت امرأته
فقال لها ما يبكيك قالت عليك أبكي فقال إن كنت باكية فابكي على نفسك فلقد
بكيت لهذا اليوم أربعين سنة ۝ وقال الجنيد دخلت على سري السقطي

أعوده في مرض موته فقلت كيف تجدك فأنشأ يقول

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي ... والذي بي أصابني من طبيبي

فأخذت المروحة لأروحه فقال كيف يجد روح المروحة من جوفه يحترق ثم أنشأ يقول

القلب محترق والدمع مستبق ... والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له ... مما جناه الهوى والشوق والقلق
يا رب إن يك شيء فيه لي فرج ... فامنن علي به ما دام بي رمق

وحكي أن قوما من أصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا قل لا إله إلا الله فأنشأ يقول

إن بيتا أنت ساكنه ... غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا ... يوم يأتي الناس بالحجج
لا أتاح الله لي فرجا ... يوم أدعو منك بالفرج

وحكي أن أبا العباس بن عطاء دخل على الجنيد في وقت نزعه فسلم فلم يجبه ثم أجاب
بعد ساعة وقال اعذرني فإني كنت في وردي ثم ولى وجهه إلى الحائط وكبر ومات ۝
وقيل للكتاني لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لو لم يقرب أجلي ما أخبرتكم به
وقفت على باب قلبي أربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه ۝
وحكي عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق فقلت
اللهم هون عليه سكرات الموت فإنه كان وكان وذكرت محاسنه فأفاق فقال من المتكلم
فقلت أنا فقال إن ملك الموت يقول لي إني بكل سخي رفيق ثم طفي ۝

ووقفت على باب قلبي أربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه

ولما حضرت يوسف بن أسباط الوفاة حضره حذيفة فوجده قلقاً فقال يا أبا محمد هذا
أوان القلق والجزع فقال يا أبا عبد الله وكيف لا أقلق ولا أجزع وأنا لا أعلم أني صدقت الله تعالى في شيء
من عملي فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته أنه لا يعلم أنه صدق الله
تعالى في شيء من عمله. وعن المغازلي قال دخلت على شيخ من أصحاب هذه القصة وهو عليل
وهو يقول أمكنك أن تعمل ما تريد فارفق بي. ودخل بعض المشايخ على ممشاد الدينوري
في وقت وفاته فقال له فعل الله تعالى وصنع من باب الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلاثين سنة
تعرض علي الجنة بما فيها فما أعرتها طرفي. وقيل لرويم عند الموت قل لا إله إلا الله
فقال لا أحسن غيره. ولما حضر الثوري الوفاة قيل له قل لا إله إلا الله فقال أليس ثم أمر.
ودخل المزني على الشافعي في مرضه الذي توفي فيه فقال كيف أصبحت يا أبا عبد الله
فقال أصبحت من الدنيا راحلاً وللإخوان مفارقاً ولسوء عملي ملاقياً وبكأس المنية
شارباً وعلى الله تعالى وارداً ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها
ثم أنشأ يقول

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما
وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك لم يقوى بإبليس عابد ... وكيف وقد أغوى صفيك آدما

ولما حضر أحمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسألة فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت

أدقه خمساً وتسعين سنة هو ذا ينفتح لي الساعة لا أدري أينفتح بالسعادة
أو الشقاوة فأنى لي أوان الجواب. فهذه أقاويلهم وإنما اختلفت بحسب اختلاف
أحوالهم فغلبت على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب فتكلم
كل واحد على مقتضى حاله والكل صحيح بالإضافة إلى أحوالهم.

الباب السادس

في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور

اعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لأهل الغفلة فإنها لا تزيدهم
مشاهدتها إلا قساوة لأنهم يظنون أنهم أبداً إلى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون
أنهم لا محالة على الجنائز يحملون أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا
يتفكرون أن المحمولين على الجنائز كلهم هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم
وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظرن عبد إلى جنازة إلا ويقدر نفسه محمولاً
عليها فإنه محمول عليها على القرب وكأن قد ولعله في غد أو بعد غد.
ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان إذا رأى جنازة قال امضوا فإنا على الأثر
وكان مكحول الدمشقي إذا رأى جنازة قال اغدوا فإنا رائحون موعظة بليغة
وغفلة سريعة يذهب الأول والآخر لا عقل له. وقال أسيد بن حضير ما شهدت
جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر إليه.
ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول والله لا تقر عيني

حتى اعلم الى ما صرت ولا اعلم ما دمت حيا . وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي
لحزن الجميع . وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا متقنعا باكيا .
فهكذا كان خوفهم من الموت والان لا ننظر الى جماعة يحضرون جنازة الا واكثرهم يضحكون
ويلهون ولا يتكلمون الا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر اقرانه واقاربه الا في الحيلة
التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد منهم الا ما شا الله في جنازة نفسه وفي حاله اذا
حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا
الله تعالى واليوم الاخر والاهوال التي بين ايدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا .
فنسال الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فان احسن احوال الحاضرين على الجنائز بكاوهم
على الميت ولو عقلوا لبكوا على انفسهم لا على الميت . نظر ابرهيم الزيات الى اناس يترحمون على
ميت فقال لو ترحمون انفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من اهوال ثلاثة وجه ملك الموت
قد راى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن . وقال ابو عمرو بن العلا
جلست الى جرير وهو يملي على كاتبه شعرا فاطلعت جنازة فامسك وقال شيبتني
والله هذه الجنائز وانشا يقول

تروعنا الجنائز مقبلات ... ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذيب ... فلما غاب عادت راتعات

فمن اداب حضور الجنازة التفكر والتنبه والاستعداد والمشي امامها على هيئة
التواضع كما ذكرنا ادابه وسننه في الفقه . ومن ادابه حسن الظن بالميت

وان كان فاسقا واسا الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة مخطرة
لا تدرى حقيقتها ولذلك روي عن عمر بن ذر انه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا
على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلي في قبره
وقف على قبره وقال يرحمك الله يا ابا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك
بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا .
ويحكى ان رجلا من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امراته
من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها احد من جيرانه لكثرة فسقه فاستاجرت
حمالين وحملتها الى المصلى فما صلى عليها احد فحملتها الى الصحرا للدفن وكان على جبل قريب
من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فراوه كالمنتظر للجنازة ثم قصدها ليصلي
عليه فانتشر الخبر في البلد بان الزاهد نزل ليصلي على فلان فخرج اهل البلد فصلى الزاهد
وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام انزل الى
موضع كذا ترى فيه جنازة ليس معها الا امراة فصل عليه فانه مغفور له
فزاد تعجب الناس واستدعى الزاهد امراته وسالها عن حاله وانه كيف كانت سيرته
قالت كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين
شيا من اعمال الخير قالت نعم ثلاثة اشيا كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح
يبدل ثيابه ويتوضا ويصلي الصبح في جماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل بالفسق
والثاني انه كان ابدا لا يخلو بيته عن يتيم او يتيمين وكان احسانه اليهم اكثر من احسانه

الى اولاه ۞ وكان شديد الشفقة لهم والثالث انه كان يقوم في اثنا سكرهم في ظلام الليل
فيبكي ويقول يا رب اي زاوية من زوايا جهنم تريد ان تملاها بهذا الخبيث يعني نفسه
فانصرف الزاهد وقد انتفع اشكاله من امره ۞ وعن صلة بن اشيم وقد دنا اجله فقال
عافيتي — فان نج منها نج من ذي عظيمة ۞ والا فاني لا اخالك ناجيا

بيان حال القبر واقاويلهم على القبور

قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من ازهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة
الدنيا واثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه من اهل القبور ۞
وقيل لعلي كرم الله وجهه ما شانك جاورت المقبرة فقال اني اجدهم خير جيران
اني اجدهم جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة ۞ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه ۞ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى
وبكيت وبكوا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر امي امنة
بنت وهب استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي فاستاذنته في ان استغفر لها فابى علي
فادركني ما يدرك الولد من الرقة ۞ وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر
بكى حتى تبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي اذا وقفت
على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر اول منازل الآخرة فان نجا منه
صاحبه فما بعده ايسر منه وان لم ينج منه فما بعده اشد ۞

وقيل ان عمرو بن العاص نظر الى المقبرة فنزل فصلى ركعتين فقيل له هذا شي لم تكن تصنعه
فقال ذكرت اهل القبور وما حيل بينهم وبينه فاحببت ان اتقرب الى الله بهما ۞
وقال مجاهد اول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت
الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فماذا اعددت لي ۞ وقال ابو ذر
الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري ۞ وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له
في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكروني معادي واذا قمت لم يغتابوني ۞
وكان جعفر بن محمد ياتي القبور ليلا ويقول يا اهل القبور ما لي اذا دعوتكم لا تجيبوني
ثم يقول حيل بينهم والله وبين جوابي وكاني بي اكون مثلهم ثم يستقبل الصلوة
الى طلوع الفجر ۞ وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا ابا فلان
ارقت الليلة تفكرا في القبر وساكنه انك لو رايت الميت بعد ثلثة في قبره
لاستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به ولرايت بيتا تجول فيه الهوام
ويجري فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الاكفان بعد حسن الهيئة
وطيب الريح ونقاء الثوب قال ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه ۞
وكان يزيد الرقاشي يقول ايها المقبور في حفرته والمتخلي في القبر بوحدته
المستانس في بطن الارض باعماله ليت شعري باي اعمالك استبشرت وباي اخوانك
اغتبطت ثم يبكي حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر والله باعماله الصالحة
واغتبط والله باخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى ۞

وكان اذا نظر الى القبور خار كما تخور الثور ° وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم ° وكان بكر العابد يقول يا اماه ليتك كنت بي عقيما ان لابنك في القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك منه رحيلا ° وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم دعاك ربك الى دار السلام فانظر من اين تجيبه ان اجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة اليه دخلتها وان اجبته من قبرك منعتها ° وكان الحسن صالح اذا اشرف على المقابر يقول يا احسن ظواهركم انما الدواهي في بواطنكم ° وكان عطا السلمي اذا جن عليه الليل خرج الى المقبرة ثم يقول يا اهل القبور متم فواموتاه وعاينتم اعمالكم فواعملاه ثم يقول غدا عطا في القبر غدا عطا في القبر فلا يزال ذلك دابه حتى يصبح °

وقال سفيان من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار ° وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا وكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شا الله ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت ثم يردده ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك فاعمل °

وقال احمد بن حرب تعجب الارض من رجل يمهد مضجعه ويسوي فراشه للنوم فتقول يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شي ° وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى ثم اقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم اما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلا واصابت الهوام مقيلا في ابدانهم

ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد امن عذاب الله عز وجل ° وقال ثابت البناني دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها فاذا بصوت قائل يقول يا ثابت لا يغرنك صموت اهلها فكم من نفس مغمومة فيها ° ويروى ان فاطمة بنت الحسين نظرت الى جنازة زوجها الحسن بن الحسن فغطت وجهها وقالت

وكانوا رجاهم ثم امسوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وقيل انها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجدوا ما فقدوا فسمعوا من الجانب الآخر بل يئسوا فانقلبوا ° وقال ابو موسى التميمي توفيت امراة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه اهل البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن يا ابا فراس ما اعددت لهذا اليوم فقال شهادة ان لا اله الا الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال

وما ينفع المقبور عمران قبره اذا كان فيه جسمه يتهدم

وقال ابن السماك مررت بالمقابر فاذا على قبر مكتوب

يمر اقاربي جنبات قبري كان اقاربي لم يعرفوني
وذو الميراث يقتسمون مالي وما يالون ان جحدوا ديوني
وقد اخذوا سهامهم وعاشوا فيا لله اسرع ما نسوني °

ووجد على قبر مكتوب

ان الحبيب من الاحباب مختلس لا يمنع الموت بواب ولا حرس

فكيف تفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليه اللفظ والنفس

اصبحت يا غافلا في النقص منغمسا وانت دهرك في اللذات منغمس

لا يرحم الموت ذا جهل لغرته ولا الذي كان منه العلم يقتبس

قد كان قصرك معمورا له شرف فقبرك اليوم في الاجداث مندرس

ووجد على قبر آخر مكتوب

وقفت على الاحبة حين صفت قبورهم كافراس الرهان

فلما ان بكيت وفاض دمعي رات عيناي بينهم مكاني

ووجد على قبر طبيب مكتوب

قد قلت لما قال لي قائل قد صار لقمان الى رمسه

فاين ما يوصف من طبه وحذقه في الماء مع جسه

هيهات لا يدفع عن غيره من كان لا يدفع عن نفسه

ووجد على قبر آخر مكتوب

يا ايها الناس كان لي امل قصر بي عن بلوغه الاجل

فليتق الله ربه رجل امكنه في حياته العمل

ما انا وحدي نقلت حيث ترى كل الى مثله سينتقل

هذه ابيات كتبت على القبور لبعض من سكانها عن الاعتبار قبل الموت والبصير هو الذي

ينظر الى قبر غيره فيرى مكانه بين اظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم انهم لا يبرحون مكانهم ما لم يلحق بهم وليتحقق انه لو عرض عليهم يوم واحد من ايام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك احب اليهم من الدنيا بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشفت لهم حقائق الامور فانما حسرتهم يوم من العمر ليتدارك المقصر فيه تقصيره فيتخلص عن العقاب وليستزيد الموفق فيه رتبته فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم في ساعة من الحياة وانت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على امثالها وانت مضيع لها موطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الامر من الاختيار ان لم تاخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين رايت اخا لي في الله فيما يرى النايم فقلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لان اقدر على ان اقولها يعني الحمد لله احب الي من الدنيا وما فيها ثم قال الم تر حيث كانوا يدفنوني فان فلانا قام فصلى ركعتين لان اكون اقدر على ان اصليهما احب الي من الدنيا وما فيها ❊

باب اقاويلهم عند موت الولد

حق على من مات ولده او قريب من اقاربه ان ينزله في تقدمه عليه منزلة ما لو كانا في سفر فسبقه ولده الى البلد الذي هو مستقره ووطنه فانه لا يعظم عليه تاسفه لعلمه بانه لاحق به على القرب وليس بينهما الا التقدم والتاخر وهكذا الموت فان معناه السبق الى الوطن الى ان يلحق المتاخر واذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه

لا سيما او قد ورد في موت الولد من الثواب ما يعزى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان
اقدم سقطا احب الي من ان اخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله وانما ذكر السقط
تنبيها بالادنى على الاعلى والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب ٭ وقال زيد بن اسلم توفي ابن
لداود عليه السلم فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الارض ذهبا
قيل له فان لك من الاجر مثل ذلك ٭ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين
ثلاثة من الولد فيحتسبهم الا كانوا له جنة من النار فقالت امراة عند رسول الله
او اثنان قال او اثنان ٭ وليخلص الوالد الدعا لولده عند الموت فانه ارجا دعا واقربه
الى الاجابة ٭ ووقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم اني اصبحت ارجوك له واخافك عليه
فحقق رجاي وامن خوفي ٭ ووقف ابو سنان على قبر ابنه فقال اللهم اني قد غفرت له
ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فانك اجود واكرم ٭ وقال ابن ابي مليكة
اقبلت عايشة رضي الله عنها يوما من المقابر فقلت يا ام المومنين من اين اقبلت قالت من اخي
عبد الرحمن فقلت اليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم امر بها ٭
خروج النسا الى المقبرة ولا ينبغي ان يتمسك بهذا فيوذن للنسا في الخروج الى المقابر فانهن يكثرن الهجر على رووس
المقابر ولا يفي خير زيارتهن بشرها ولا يخلون في الطريق عن كشف وتبرج وهذه عظايم
والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لاجلها نعم لا باس بخروج المراة في ثياب بذلة ترد الاعين
الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعا وترك الحديث على راس القبر ٭
زيارة القبور وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكر بها الاخرة

واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك
ان يحزنك فان الحزين في ظل الله تعالى ٭ وقال ابن ابي مليكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
زوروا موتاكم فسلموا عليهم وصلوا عليهم فان لكم فيهم عبرة ٭ وعن نافع ان ابن عمر
كان لا يمر بقبر احد الا وقف عليه وسلم عليه ٭ وعن جعفر بن محمد عن ابيه ان فاطمة
بنت النبي صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة في الايام فتصلي وتبكي عنده ٭
وقال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبر ابويه او احدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا ٭
وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما
فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين ٭ وقال صلى الله عليه وسلم من زار قبري
فقد وجبت له شفاعتي ٭ وقال صلى الله عليه وسلم من زارني بالمدينة محتسبا كنت له
شفيعا وشهيدا يوم القيمة ٭ وقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل عليه سبعون الفا
من الملايكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا
امسوا عرجوا وهبط مثلهم وصنعوا كذلك حتى اذا انشقت الارض خرج في سبعين
صفة زيارة القبر الفا من الملايكة يوقرونه ٭ والمستحب في زيارة القبور ان يقف مستدبر القبلة مستقبلا
لوجه الميت وان يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فان ذلك من عادة النصارى
قال نافع كان ابن عمر رايته مائة مرة او اكثر يجي الى القبر فيقول السلم على النبي
السلم على ابي بكر السلم على ابي وينصرف ٭ وعن ابي امامة قال رايت انس بن مالك اتى
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على

النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف. وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم.
وقال سليمان بن سحيم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك
ويسلمون عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم. وقال أبو هريرة إذا مر الرجل بقبر
الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم
عليه رد عليه السلام. وقال رجل من آل عاصم الجحدري رأيت عاصما في منامي بعد وصول الدعا الى الموتا
موته بسنتين فقلت أليس قد مت قال بلى قلت فأين أنت قال أنا والله في روضة من رياض الجنة
أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى
أخباركم قلت أجسامكم أم أرواحكم قال هيهات بليت الأجسام وإنما تتلاقى
الأرواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا إياكم قال نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة
كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قلت وكيف ذاك دون الأيام كلها قال لفضل
يوم الجمعة وعظمه. وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو أخرت إلى
الاثنين فقال بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده.
وقال الضحاك من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته فقيل له
وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة. وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون
كان رجل يختلف إلى الجبان فيشهد الصلاة على الجنائز فإذا أمسى وقف على باب
المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم

لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فأمسيت ذات ليلة فانصرفت إلى أهلي ولم آت المقابر
فأدعو كما كنت أدعو فبينما أنا نائم إذا بخلق كثير قد جاؤوني فقلت ما أنتم وما حاجتكم
قالوا نحن أهل المقابر قلت ما جاء بكم قالوا إنك كنت قد عودتنا منك هدية عند
انصرافك إلى أهلك قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو لنا قلت فإني أعود لذلك فما تركتها
بعد ذلك. وقال بشار بن غالب النجراني رأيت رابعة العدوية العابدة
في منامي وكنت كثير الدعا لها فقالت لي يا بشار بن غالب هداياك يأتينا على أطباق من نور
مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذاك قالت وهكذا دعا المؤمنين الأحيا إذا
دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعا على أطباق النور وخمر بمناديل الحرير
ثم أتي به الميت فقيل هذه هدية فلان إليك. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما الميت في قبره إلا كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه
أو صديق له فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن هدايا الأحيا للأموات
الدعا والاستغفار. وقال بعضهم مات أخ لي فرأيته في المنام فقلت ما كان حالك
حين وضعت في قبرك قال أتاني آت بشهاب من نار فلولا أن داعيا دعا لي لرأيت أنه سيضربني به
وعن هذا استحب تلقين الميت بعد الدفن والدعا له. وقال سعيد بن عبد الله الأودي شهدت
أبا أمامة الباهلي وهو في النزع فقال يا سعيد إذا أنا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره
ثم يقول يا فلان بن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلان بن فلانة الثانية فإنه

تلقين الميت

يستوي قاعدًا ثم ليقل يا فلان بن فلانة فإنه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول له
اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وأنك رضيت بالله ربًا
وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا وبالقرآن إمامًا فإن منكرًا ونكيرًا يأخذ كل واحد
منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما
فقال رجل يا رسول الله فإن لم يعرف اسم أمه قال فلينسبه إلى حواء ۞ ولا بأس بقراءة القرآن
على القبور روي عن علي بن موسى الحداد قال كنت مع أحمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة
ما أنكره أحمد وعاد إليه — الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد يا هذا
إن القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة الجوهري
لأحمد يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر بن إسماعيل الحلبي فقال ثقة قال هل كتبت عنه شيئًا
قال نعم قال أخبرني مبشر بن إسماعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى
إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك
فقال له أحمد فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ ۞ وقال محمد بن أحمد المروزي سمعت أحمد
يقول إذا دخلتم المقابر فاقرءوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد
واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم ۞ وقال أبو قلابة أقبلت من الشام
إلى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسي على
قبر فنمت ثم استيقظت فإذا صاحب القبر يشتكيني يقول لقد آذيتني منذ الليلة ثم قال
إنكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال للركعتين اللتين ركعتهما خير من الدنيا

وما فيها ثم قال جزى الله أهل الدنيا عنا خيرًا أقرئهم السلام فإنه قد يدخل علينا من دعائهم
نور أمثال الجبال ۞ والمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار وللمزور الانتفاع
بدعائه فلا ينبغي أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به وإنما يحصل له
الاعتبار بأن يصور في قلبه الميت كيف تفرقت أجزاؤه وكيف يبعث من قبره
وأنه على القرب سيلحق به كما روي عن مطرف بن أبي بكر الهذلي قال كانت عجوز في عبد القيس
متعبدة وكانت إذا جاء الليل تحزمت ثم قامت إلى المحراب وإذا جاء النهار
خرجت إلى القبور فبلغني أنها عوتبت في كثرة إتيانها المقابر فقالت إن القلب القاسي
إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البلى وإني لآتي القبور فكأني أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها
وكأني أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة وإلى تلك الأجسام المتغيرة وإلى تلك الأكفان
الدسمة فيا لها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ما أنكل مرارتها للأنفس
وأشد تلفها للأبدان ۞ بل ينبغي أن يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز
حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة
فقال له يا فلان لو رأيتني بعد ثلاث وقد أدخلت قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا
على الخدين وتقلصت الشفتان على الأسنان وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم
ونتأ البطن فعلا على الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر
لرأيت أعجب مما تراه اليوم ۞ ويستحب أيضًا الثناء على الميت وأن لا يذكر إلا بالجميل
قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه

وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا
موتاكم إلا بخير فإنهم إن يكونوا من أهل الجنة تأثموا وإن يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه
وقال أنس بن مالك رضي الله عنه مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثنوا عليه شرا
فقال عليه السلم وجبت ومروا عليه بأخرى فأثنوا خيرا فقال وجبت فسأله عمر عن ذلك
فقال إن هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار
وأنتم شهداء الله في الأرض وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن العبد ليموت
فيثني عليه القوم الثناء يعلم الله تعالى منه غيره فيقول الله عز وجل لملائكته أشهدكم
أني قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي

الباب السابع

في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر إلى نفخة الصور

بيان حقيقة الموت

اعلم أن للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد أخطأوا فيها فظن بعضهم أن الموت
هو العدم وأنه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وأن موت الإنسان
كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا رأي الملحدة وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر
وظن قوم أنه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر
إلى أن يعاد في وقت الحشر وقال آخرون إن الروح باقية لا تنعدم بالموت وإنما المثاب
والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد وإن الأجساد لا تبعث ولا تحشر أصلا وكل هذه

الظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات
والأخبار أن الموت معناه تغير حال فقط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد
إما معذبة وإما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد
بخروج الجسد عن طاعتها فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها حتى إنها لتبطش باليد
وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة
عن الروح والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد يتألم بنفسه بأنواع
الحزن والغم والكمد ويتنعم بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء فكل ما
هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة
الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد ولا يبعد أن تعاد إلى
الجسد في القبر ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث والله أعلم بما حكم به على كل عبد
من عباده وإنما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج
يقع فيه وبشدة تقع في الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة
العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء وقد استعصى عليها بعضها
والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها وكل الأعضاء آلات والروح هي المستعملة
لها وأعني بالروح المعنى الذي يدرك من الإنسان العلوم وآلام الغموم ولذات الفرح
ومهما بطل تصرفها في الأعضاء لم تبطل منها العلوم والإدراكات ولا بطل منها
الأفراح والغموم ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات والإنسان بالحقيقة

الذي يعلمه النفس بلا واسطة
الذي يبقى بعد الموت
لا يبعد أن يعود الروح إلى الجسد في القبر
معنى الروح وما لا يبطل منها بعد الموت

هو المعنى المدرك للعلوم والآلام واللذات وذلك لا يموت أي لا ينعدم ومعنى الموت
انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له كما أن معنى الزمانة خروج اليد
عن أن يكون آلة مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الأعضاء كلها وحقيقة الإنسان نفسه
وروحه وهي باقية نعم تغير حاله من جهتين إحداهما أنه سلب منه عينه وأذنه
سبب الآلام عند الموت وبعده وسبب اللذة
ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه
وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه ولا فرق بين أن
تسلب هذه الأشياء من الإنسان وبين أن يسلب الإنسان من هذه الأشياء فإن المؤلم هو الفراق
والفراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرجل وتارة بأن يسبى الرجل عن المال والألم واحد
في الحالتين وإنما معنى الموت سلب الإنسان عن أمواله بأن أزعج إلى عالم آخر لا يناسب هذا
العالم فإن كان له في الدنيا شيء يأنس به ويستريح إليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه
بعد الموت ويصعب شقاؤه في مفارقته بل يلتفت قلبه إلى واحد واحد من ماله
وجاهه وعقاره حتى إلى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به وإن لم يكن يفرح إلا بذكر الله
ولم يأنس إلا به عظم نعيمه وتمت سعادته إذ خلي بينه وبين محبوبه وقطعت عنه
العوائق والشواغل إذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله فهذا أحد وجهي
المخالفة بين حال الموت وحال الحياة والثاني أنه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفا
له في الحياة كما ينكشف للمستيقظ ما لم يكن مكشوفا في النوم والناس نيام
فإذا ماتوا انتبهوا وأول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته

وقد كان ذلك مسطورا له في كتاب مطوي في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه
شواغل الدنيا فإذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر إلى سيئة
إلا ويتحسر عليها تحسرا يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك
يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ويكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل
الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق أعني فراقه ما كان يطمئن إليه من هذه الدنيا الفانية
دون ما أراد منها لأجل الزاد والبلغة فإن من طلب الزاد للبلغة فإذا بلغ المقصد
فرح بمفارقته بقية الزاد إذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم يأخذ
من الدنيا إلا بقدر الضرورة وكان يود أن تنقطع ضرورته ليستغني عنه فقد
حصل ما كان يوده واستغنى عنه وهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم عليه
قبل الدفن ثم عند الدفن فقد ترد روحه إلى الجسد لنوع آخر من العذاب وقد
يعفى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن إليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من
الملوك في داره وملكه وحرمه اعتمادا على أن الملك يتساهل في أمره أو على أن الملك
ليس يدري ما يتعاطاه من قبيح أفعاله فأخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت
فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط
وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت إلى من يشفع إليه في العصاة
عليه فانظر إلى حال هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف
والخجلة والحياء والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا

المطمئن البهائم بل بنزول عذاب القبر به بل عند موته نعوذ بالله منه فان الخزي
والافتضاح وهتك الستر اعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع
وغيرهما فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها اولوا البصائر بمشاهدة
باطنة اقوى من مشاهدة العين ويشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن
كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة
الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وادراك ماهية ذاتها ولم يوذن
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتكلم فيها ولا ان يقول الروح من امر ربي فليس لاحد من علماء
الدين ان يكشف عن سر الروح وان اطلع عليه وانما المأذون فيه ذكر حال الروح
بعد الموت ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها
ايات واخبار كثيرة اما الايات فما ورد في الشهداء اذ قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ولما قتل صناديد قريش يوم بدر
ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا
فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم وهم اموات فقال
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون
على الجواب فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء ادراكها ومعرفتها والاية
نص في ارواح الشهداء ولا يخلو الميت عن سعادة او شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم
القبر اما حفرة من حفر النار او روضة من رياض الجنة وهذا النص صريح

دليل ان الروح لا تموت

في ان الموت معناه تغير حال فقط وان ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل
عند الموت من غير تاخر وانما يتاخر بعض انواع العذاب والثواب دون اصله وروى انس
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الموت القيامة من مات فقد قامت قيامته وقال صلى الله عليه وسلم اذا
مات احدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل
النار فمن اهل النار يقال هذا مقعدك حتى تبعث اليه يوم القيامة وليس يخفى ما في مشاهدة
المقعدين من عذاب ونعيم في الحال وعن ابي قيس قال كنا مع علقمة في جنازة فقال اما
هذا فقد قامت قيامته وقال علي كرم الله وجهه حرام على نفس ان تخرج من الدنيا
حتى تعلم من اهل الجنة هي ام من اهل النار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مات مريضا مات شهيدا ووقي فتان القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة
وقال مسروق ما غبطت احدا ما غبطت مومنا في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وامن عذاب الله
وقال يعلى بن الوليد كنت امشي يوما مع ابي الدرداء فقلت له ما تحب لمن تحب قال الموت قلت فان لم يمت
قال يقل ماله وولده وانما احب الموت لانه لا يحب الا المومن والموت اطلاق للمومن من السجن
وانما احب قلة المال والولد لانه فتنة وسبب للانس بالدنيا والانس بمن لا بد من فراقه
غاية الشقاوة وكل ما سوى الله وذكره والانس به فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة
ولهذا قال عبد الله بن عمرو انما مثل المومن حين تخرج نفسه او روحه مثل رجل
كان في سجن فاخرج منه فهو يتفسح في الارض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من تجافى
عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له انس الا بذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تحبسه

الموت القيامة من مات فقد قامت قيا(مته)

يقل ماله وولده

الانس بما لا بد من فراقه غاية الشقاوة

عن محبوبه ومقاساته الشهوات تودعه فكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده
بمحبوبه الذي كان به انسه من غير عائق ولا دافع وما اجدر ذلك بان يكون منتهى النعيم
واللذات واكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لانهم ما اقدموا على القتال الا
قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين الى لقاء الله راضين بالقتل في طلب مرضاته
فان نظر الى الدنيا فقد باعها طوعا بالآخرة والبائع لا يلتفت قلبه الى المبيع وان نظر الى
الآخرة فقد اشتراها وتشوق اليها فما اعظم فرحه بما اشتراه اذا رآه وما اقل التفاته
الى ما باعه اذا فارقه وتجرد القلب لحب الله قد يتفق في بعض الاحوال ولكن لا يدركه
الموت عليه فيتغير والقتال سبب الموت فكان سببا لادراك الموت على مثل هذه الحالة
فلهذا عظم النعيم اذ معنى النعيم ان ينال الانسان ما يريده قال الله تعالى ولهم فيها — معنى النعيم والعذاب
ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة لمعاني لذات الجنة واعظم العذاب ان يمنع الانسان
عن مراده كما قال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة لعقوبات
اهل جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد كما انقطع نفسه من غير تأخير وهذا
امر انكشف لارباب القلوب بنور اليقين وان اردت عليه شهادة من جهة السمع
فجميع احاديث الشهداء تدل عليه وكل حديث يدل على النعيم عن منتهى نعيمهم بعبارة
اخرى فقد روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لجابر الا ابشرك يا جابر وكان قد استشهد ابوه يوم احد قال بلى بشرك الله بالخير قال
ان الله احيا اباك واقعده بين يديه فقال تمن علي عبدي ما شئت اعطيكه قال يا رب

ما عبدتك حق عبادتك اتمنى عليك ان تردني الى الدنيا فاقتل مع نبيك فاقتل فيك مرة اخرى
قال له انه قد سبق مني انك اليها لا ترجع. وقال كعب يوجد رجل في الجنة يبكي
فيقال له لم تبكي وانت في الجنة قال ابكي لاني لم اقتل في الله الا قتلة واحدة وكنت اشتهي
ان ارد فاقتل فيه قتلات. واعلم ان المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله تعالى
ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم
فتح له باب الى بستان واسع الاكناف لا يبلغ طرفه اقصاه فيه انواع الاشجار
والازهار والطيور والثمار فلا يشتهي العود الى السجن المظلم وقد ضرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم له مثلا فقال لرجل مات اصبح هذا مرتحلا من الدنيا وتركها لاهلها
فان كان قد رضي فلا يسره ان يرجع الى الدنيا كما لا يسر احدكم ان يرجع الى بطن امه.
فعرفك بهذا ان نسبة الآخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم.
وقال صلى الله عليه وسلم ان مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن امه اذا خرج من بطنها
بكى على مخرجه حتى اذا رأى الضوء لم يحب ان يرجع الى مكانه.
وكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا افضى الى ربه لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا
يحب الجنين ان يرجع الى بطن امه. وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا قد مات
فقال مستريح او مستراح منه اشار بالمستريح الى المؤمن وبالمستراح منه
الى الفاجر اذ يستريح اهل الدنيا منه. وقال ابو عمر صاحب السقيا مر بنا ابن عمر ونحن
صبيان فنظر الى قبر فاذا جمجمة بادية فامر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان

الارواح تعاقب وتثاب لا الابدان في القبر

ليس يضرها هذا الثرى شيئا وانما الارواح التي تعاقب وتثاب الى يوم القيمة
وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وانهم ليغسلونه
ويكفنونه وانه لينظر اليهم وقال مالك بن انس بلغني ان ارواح المؤمنين مرسلة
تذهب حيث شاءت وقال النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول
الا انه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب تمور في جوها فالله الله في اخوانكم من اهل القبور
فان اعمالكم تعرض عليهم وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضحوا موتاكم
بسيئات اعمالكم فانها تعرض على اوليائكم من اهل القبور ولذلك قال ابو الدردا
اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند عبد الله بن رواحة وكان قد مات
وهو خاله وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن ارواح المؤمنين اذا ماتوا اين هي قال صور
طير بيض في ظل العرش وارواح الكافرين في الارض السابعة وقال ابو سعيد روح الكافر في الارض
الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن
يدليه في قبره وقال صالح المري بلغني ان الارواح تتلاقى عند الموت فتقول ارواح
الموتى للروح التي تخرج اليهم كيف كان ماواك وفي اي الجسدين كنت في طيب او خبيث
وقال عبيد بن عمير اهل القبور يتوكفون الاخبار فاذا اتاهم الميت قالوا ما فعل فلان
فيقول الم ياتكم او ما قدم عليكم فيقولون انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا
وعن جعفر بن سعيد قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب
وقال مجاهد ان الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره وروى ابو ايوب الانصاري

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة من عند الله
كما يتلقى البشير في الدنيا فيقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد
فيسالونه ما فعل فلان وما فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سالوه عن رجل مات
قبله فقال مات قبلي قالوا انا لله ذهب به الى امه الهاوية

بيان كلام القبر للميت وكلام الموتى

اما بلسان المقال او بلسان الحال التي هي افصح في تفهيم
الموتى من لسان المقال في تفهيم الاحياء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن ادم ما غرك
بي الم تعلم اني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي اذ كنت
تمر بي فذاذا فان كان مصلحا اجاب عنه مجيب القبر فيقول ارايت ان كان يامر
بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر اني اذا اتحول عليه خضرا ويعود جسده
نورا وتصعد روحه الى الله تعالى والفذاذ الذي يقدم رجلا ويؤخر اخرى
كذلك فسره الراوي وقال عبيد بن عمير الليثي ليس من ميت يموت الا نادته حفرته
التي يدفن فيها انا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت في حياتك لله مطيعا
كنت عليك اليوم رحمة وان كنت عاصيا فانا عليك اليوم نقمة انا الذي من دخلني
مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا وقال محمد بن صبيح
بلغنا ان الرجل اذا وضع في قبره فعذب او اصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه

من الموتى ايها المخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه اما كان لك فينا معتبر اما كان
لك في تقدمنا اياك فكرة اما رايت انقطاع اعمالنا عنا وانت في المهلة فهلا استدركت
ما فات اخوانك وتناديه بقاع الارض ايها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من اهلك
في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به اجله الى القبور وانت تراه محمولا تهاداه
احبته الى المنزل الذي لا بد له منه وقال يزيد الرقاشي بلغني ان الميت اذا وضع
في قبره احتوشته اعماله ثم انطقها الله تعالى فقالت ايها العبد المنفرد في حفرته
انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا انيس لك اليوم عندنا وقال كعب اذا وضع العبد
الصالح في القبر احتوشته اعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد
والصدقة قال وتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلا سبيل
لكم عليه فقد اطال بي القيام لله عليهما فياتونه من قبل راسه فيقول الصيام لا سبيل
لكم عليه فقد اطال ظماه لله في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فياتونه من قبل
جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد انصب نفسه واتعب بدنه
وحج وجاهد لله تعالى لا سبيل لكم عليه قال فياتونه من قبل يديه فتقول الصدقة
كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى
ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال وتاتيه
ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره مد
بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره الى يوم يبعثه الله تعالى من قبره

وقال عبيد بن عمير في جنازة بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت
يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه ولا يكلمه شيء الا قبره يقول ويحك يا ابن ادم اليس
قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني وهولي ودودي فماذا اعددت لي

بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

قال البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا راسه ثم قال اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا
ثم قال ان المؤمن اذا كان في قبل من الاخرة بعث الله ملائكة كان وجوههم الشمس معهم حنوطه
وكفنه فيجلسون مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض
وكل ملك في السماء وفتحت ابواب السماء فليس منها باب الا يحب ان يدخل بروحه منه فاذا صعد
بروحه قيل اي رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فاروه ماذا اعددت له من الكرامة فاني وعدته
منها خلقناكم وفيها نعيدكم الاية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال
من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم قال
فينتهرانه انتهارا شديدا وهي اخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد
ان صدقت وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الاية ثم ياتيه ات حسن
الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول ابشر برحمة من ربك وجنات فيها نعيم مقيم
فيقول وانت فبشرك الله بخير من انت فيقول انا عملك الصالح والله ما علمت ان كنت لسريعا
في طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا قال ثم ينادي مناد ان افرشوا له

من الجنة واتحفوا الله بابا الى الجنة فمضى له من الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم
عجل قيام الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال واما الكافر فانه اذا كان في قبل من الاخرة
وانقطاع من الدنيا نزل اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران
فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السما والارض وكل ملك في السما وغلقت ابواب
السما ليس منها باب الا يكره ان يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل اي رب عبدك
فلان لم تقبله سما ولا ارض فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الشر اني وعدته منها خلقناكم
وفيها نعيدكم الاية فانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك
وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري فيقال لا دريت ثم ياتيه ات قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب
فيقول ابشر بسخط من الله وعذاب اليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من انت فيقول انا عملك الخبيث والله
ان كنت لسريعا في معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا فيقول وانت فجزاك الله شرا
ثم يقيض له اصم ابكم اعمى معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على ان يقلوها لم
يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه
الروح فيضرب بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الارض ليس الثقلين قال ثم ينادي
مناد ان افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب
الى النار ٥ وقال محمد بن علي ما من ميت يموت الا مثل له عند الموت اعماله الحسنة
واعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرق عن سيئاته ٥ وقال ابو هريرة قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان المومن اذا احتضر اتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان

فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ايتها النفس المطمئنة اخرجي راضية ومرضي
عنك الى روح الله وكرامته فاذا اخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان
وطويت عليها الحريرة وبعث بها الى عليين وان الكافر اذا احتضر اتته الملائكة بمسح
فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوط
عليك الى هوان الله وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة فان لها نشيشا
ويطوى عليها المسح ويذهب بها الى سجين ٥ وعن محمد بن كعب القرظي انه كان يقرا
قوله تعالى حتى اذا جا احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت
قال اي شي تريد في اي شي ترغب اتريد ان ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان
وتشق الانهار قال لا لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الجبار كلا انها كلمة
هو قائلها اي ليقولنها عند الموت ٥ وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم المومن
في قبره في روضة خضرا ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضي حتى يكون كالقمر ليلة البدر
هل تدرون فيما انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر
في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية
لكل حية سبعة رووس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون
ولا ينبغي ان يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان اعداد هذه الحيات والعقارب
بقدر اعداد الاخلاق المذمومة من الكبر والريا والحسد والغل والحقد
وساير الصفات فان لها اصولا معدودة ثم تتشعب منها فروع معدودة

عدد حيات القبر بعدد الاخلاق المذمومة اذ هي بعينها تصير حيات وعقارب

ثم ينقسم فروعها الى اقسام وتلك الصفات باعيانها هي المهلكات وهي باعيانها تنقلب
عقارب وحيات فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذي
اذى الحية وارباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات
وانشعاب فروعها الا ان مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة فامثال هذه
الاخبار لها ظواهر صحيحة واسرار خفية ولكنها عند ارباب البصائر واضحة
فمن لم ينكشف له حقايقها فلا ينبغي ان ينكر ظواهرها بل اقل درجات الايمان التصديق
اذا صار الميت ترابا كيف عذب والتسليم فان قلت فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيا من ذلك
فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة فاعلم ان لك ثلث مقامات في التصديق
بامثال هذا احدها وهو الاظهر والاصح والاسلم ان تصدق بانها موجودة وهي تلدغ
الميت ولكنك لا تشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة الامور الملكوتية
وكل ما يتعلق بالاخرة فهو من عالم الملكوت اما ترى الصحابة كيف كانوا يومنون بنزول جبريل
وما كانوا يشاهدونه ويومنون بانه عليه السلم يشاهده فان كنت لا تومن بهذا فتصحيح
اصل الايمان بالملايكة والوحي اهم عليك وان آمنت به وجوزت ان يشاهد النبي ما لا تشاهده
الامة فكيف لا تجوز هذا في الميت وكما ان الملك لا يشبه الادميين والحيوانات فالحيات
والعقارب التي تلدغ في القبر ليس من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر وتدرك بحاسة
اخرى المقام الثاني ان تتذكر امر النايم وانه قد يرى في نومه حية تلدغه وهو
سالم من ذلك حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك

يدركه من نفسه ويتاذى به كما يتاذى اليقظان وهو يشاهده وانت ترى ظاهره ساكنا
ولا ترى حواليه حية والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل ولكنه
في حقك غير مشاهد واذا كان العذاب في الم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل او تشاهد
المقام الثالث انك تعلم ان الحية بنفسها لا تولم بل الذي يلقاك منها وهو السم ثم السم
ليس هو الالم بل عذابك في الاثر الذي يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك الاثر من غير سم
لكان العذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب الا بان يضاف
الى السبب الذي يفضي اليه في العادة فانه لو خلق في الانسان لذة الوقاع مثلا من غير
مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفها الا بالاضافة اليه لتكون الاضافة
للتعريف بالسبب ويكون ثمرة السبب حاصلة وان لم تحصل صورة السبب والسبب
يراد لثمرته لا لذاته وهذه الصفات المهلكات تنقلب موذيات وموملات في النفس
عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة
موذية يضاهي انقلاب العشق موذيا عند موت المعشوق فانه كان لذيذا فطرت حالة
صار اللذيذ بنفسه مولما حتى نزل بالقلب من انواع العذاب ما يتمنى معه انه
لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو احد انواع عذاب الميت فانه
قد سلط العشق في الدنيا على نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده واقاربه
ومعارفه ولو اخذ جميع ذلك في حياته من لا يرجو استرجاعه منه فما ذا ترى يكون
حاله اليس يعظم شقاوه ويشتد عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لي مال قط ولا جاه

قط وكنت لا تتأذى بفراقه فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية
كلها دفعة واحدة وما حال من كان له واحد يغيب عنه ذلك الواحد فما حال من لا يفرح
إلا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم إلى أعدائه ثم ينضاف إلى هذا العذاب تحسره على ما
فاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله تعالى فإن حب غير الله يحجبه عن لقاء الله والتنعم به حب غير الله يحجبه عن لقاء الله
فتتوالى عليه ألم فراق جميع محبوباته وتحسره على ما فاته من نعيم الآخرة أبد الآباد عذاب التركة
وذل الرد والحجاب عن الله تعالى وذلك هو الذي تعذب به إذا اشتعلت نار الفراق
نار جهنم كما قال تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم
وأما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب إلا الله وكان مشتاقا إلى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا
ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف
وتوفر عليه النعيم مع الأمن عن الزوال أبد الآباد ولمثل ذلك فليعمل العاملون
والمقصود أن الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين أن يؤخذ منه وبين أن عذاب التركة
يلدغه عقرب آثر الصبر على لدغ العقرب فإذن ألم فراق الفرس عنده أعظم من لدغ
العقرب وحبه للفرس هو الذي يلدغه إذا أخذ فرسه فليستعد لهذه
اللدغات فإن الموت يأخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره وأهله وولده
وأحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وقبوله بل يأخذ منه سمعه وبصره
وأعضاءه وييأس عن رجوع جميع ذلك إليه فإذا لم يحب سواه وقد أخذ جميع ذلك منه
فذلك أعظم عليه من العقارب والحيات فكما لو أخذ ذلك منه وهو حي فيعظم

عقابه بذكر تلك الذات لأنا قد بينا أن المعنى الذي هو المدرك للآلام واللذات لم يمت بل عذابه
بعد الموت أشد لأنه في حياته يتسلى بأسباب يشغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة
ويتسلى برجاء العود إليه ويتسلى برجاء العوض منه ولا سلوة بعد الموت إذ قد انسد عليه
طرق التسلي وحصل اليأس فإذن كل قميص له ومنديل قد أحبه حتى كان يشق عليه لو أخذه
فإنه يبقى متأسفا عليه ومعذبا به فإن كان في الدنيا سالما وهو المعنى بقوله نجا المخفون
وإن كان مثقلا عظم عذابه وكما أن حال من يسرق منه دينار أخف من حال من يسرق منه عشرة
دنانير فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين وهو المعنى بقوله
صلى الله عليه وسلم صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين وكل شيء من الدنيا تخلف عنك
عند الموت إلا وهو حسرة عليك بعد الموت فإن شئت فاستكثر وإن شئت فاستقلل
فإن استكثرت فلست بمستكثر إلا من الحسرة وإن استقللت فلست تخفف إلا عن ظهرك
وإنما تكثر الحيات والعقارب في قبور الأغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على
الآخرة وفرحوا بها واطمأنوا إليها فهذه مقامات الإيمان في حيات القبر وعقاربه
وفي سائر أنواع عذابه ° رأى أبو سعيد الخدري ابنا له قد مات في المنام فقال له
يا بني عظني قال لا تخالف الله تعالى فيما يريد قال يا بني زدني قال يا أبت لا تطيق قال قل
قال لا تجعل بينك وبين الله تعالى قميصا فما لبس قميصا ثلثين سنة °
فإن قلت فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث فاعلم أن في الناس من لم يثبت إلا الأول
وأنكر ما بعده ومنهم من أنكر الأول وأثبت الثاني ومنهم من لم يثبت إلا الثالث وإنما الحق

الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار أن كل ذلك في حيز الإمكان وأن من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله تعالى وعجائب تدبيره فينكر من أفعال الله تعالى ما لم يأنس به ويألفه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكن والتصديق بها واجب ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع ورب عبد تجمع عليه هذه الأنواع الثلاثة نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره هذا هو الحق فصدق به تقليدا فيعز على بسيط الأرض من يعرف ذلك تحقيقا والذي أوصيك به أن لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيف ما كان فإن أهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن أخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع أنفه فأخذ طول الليل يتفكر في أنه هل يقطعه بسكين أو بسيف أو بموسى وأهمل طريق الحيلة في دفع أصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع أن العبد بعد الموت لا يخلو عن عقاب عظيم أو عن نعيم مقيم فينبغي أن يكون الاستعداد له فأما البحث على تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان

يعز على بسيط الارض من يعلم ذلك تحقيقا

النعيم والعذاب بعد الموت معلوم قطعا

بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر

قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي فإن كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فيقولان إن كنا لنعلم أنك تقول

ذلك ثم يفسح له في قبره سبعين ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له نم فيقول دعوني أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقال له نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقا قال لا أدري كنت أسمع الناس يقولون شيئا وكنت أقوله فيقولان إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم يقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه ولا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك

وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا إليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران أشعارهما ويحثيان القبر بأنيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معي عقلي الآن فقال نعم قال إذن أكفيكهما وهذا نص صريح في أن العقل لا يتغير بالموت إنما يتغير البدن والأعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالآلام واللذات كما كان لا يتغير من عقله شيء وليس العقل المدرك هذه الأعضاء بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرك للأشياء ولو تناثرت أعضاء الإنسان كلها ولم يبق إلا الجزء المدرك الذي لا يتجزى ولا ينقسم لكان الإنسان العاقل بكماله قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت فإن ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطرى عليه العدم

المدرك لا طول له ولا عرض ولا ينقسم ولا يموت

وقال محمد بن المنكدر بلغني ان الكافر يسلط عليه في قبره دابة عميا صما في يدها سوط من
حديد في راسه مثل غرب الجمل يضربه به الى يوم القيمة لا تراه فتتقيه ولا تسمع صوته فترحمه
وقال ابو هريرة اذا وضع الميت في قبره جات اعماله الصالحة فاحتوشته فان اتاه
من قبل راسه جا قراته للقران وان اتاه من قبل رجليه جا قيامه وان اتاه من قبل يديه قالت اليدان
والله لقد كان يبسطني بالصدقة والدعا لا سبيل لكم عليه وان جا من قبل فيه جا ذكره
وصيامه وكذلك يقف الصبر ناحيه فيقول اما اني لو رايت خللا لكنت انا صاحبه
وقال سفيان يحاش عنه اعماله الصالحه كما يحاش الرجل عن اخيه واهله
وولده ثم يقال له عند ذلك بارك الله لك في مضجعك فنعم الاخلا اخلاوك ونعم الاصحاب
اصحابك وعن حذيفة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على
راس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط المومن في هذا ضغطه ترد منها
حمايله وقالت عايشه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر ضغطه ولو نجا منها
احد لنجا سعد بن معاذ وعن انس قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت
امراه مسقامه فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسانا حاله فلما انتهينا الى القبر
فدخله التمع وجهه صفره فلما خرج اسفر وجهه فقلنا يا رسول الله راينا منك
شانا فمم ذاك قال ذكرت ضغطه ابنتي وشده عذاب القبر فاتيت فاخبرت ان قد
خفف عنها ولقد ضغطت ضغطه سمع صوتها ما بين الخافقين

الباب الثامن

فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفه في المنام

اعلم ان انوار البصاير المستفاده من كتاب الله وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج
الاعتبار تعرفنا احوال الموتى على الجمله وانقسامهم الى سعدا واشقيا ولكن حال زيد
وعمرو بعينه فلا ينكشف اصلا فانا ان عولنا على ايمان زيد فلا ندري على ماذا مات
وكيف ختم له وان عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محلها القلب وهو غامض يخفى على
صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن
قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين فلا يمكن معرفه حكم زيد وعمرو الا بمشاهدته ومشاهده
ما يجري عليه واذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهاده الى عالم الغيب
والملكوت فلا يرى بالعين الظاهره وانما يدرك بعين اخرى خلقت تلك العين في قلب
كل انسان ولكن الانسان جعل عليها غشاوه كثيفه من شهواته واشغاله
الدنيويه فصار لا يبصر بها ولا يتصور ان يبصر بها شيا من عالم الملكوت ما لم
تنقشع تلك الغشاوه عن عين قلبه ولما كانت الغشاوه منقشعه عن اعين الانبيا عليهم السلام
فلا جرم نظروا الى الملكوت وشاهدوا عجايبه والموتى في عالم الملكوت
فشاهدوهم واخبروا ولذلك راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطه القبر
في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك حال ابي جابر لما استشهد اذ اخبر
ان الله تعالى اقعده بين يديه ليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهده لا مطمع فيها
لغير الانبيا والاوليا الذين تقرب درجتهم منهم وانما الممكن من امثالنا
مشاهده اخرى ضعيفه الا انها ايضا مشاهده نبويه واعني به المشاهده

التقوى محلها القلب

لا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن

لعله تنوير

في المنام وهو من انوار النبوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة
واربعين جزءا من النبوة وهو ايضا انكشاف لا يحصل الا بانقشاع الغشاوة عن القلب

الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة

فلذلك لا يوثق الا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه ومن كثر فساده
ومعاصيه اظلم قلبه فكان ما يراه اضغاث احلام ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالطهارة عند النوم لينام طاهرا وهو اشارة الى طهارة الباطن ايضا فهو الاصل وطهارة
الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها ومهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب
ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم حتى نزل
قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقل ما يخلو الانسان عن منامات دلت
على امور فوجدها صحيحة والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من عجائب صنع الله تعالى
وبدائع فطرة الآدمي وهو من اوضح الادلة على عالم الملكوت والخلق غافلون عنه
لغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق

حقيقة الرؤيا من علم المكاشفة

علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة ولكن القدر الذي يمكن ذكره
هاهنا مثال يفهمك المقصود وهو ان تعلم ان القلب مثاله مثال مرآة تتراءى فيها
الصور وحقائق الامور وان كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم الى آخره
مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين
وتارة بامام مبين كما ورد في القرآن فجميع ما جرى في العالم وما سيجري مكتوب فيه ومنقوش

اللوح والامام المبين والكتاب المبين

عليه نقشا لا يشاهد بهذه العين ولا تظنن ان ذلك اللوح من خشب او حديد

او عظم وان الكتاب من كاغد او رق بل ينبغي ان تفهم قطعا ان لوح الله تعالى لا يشبه
لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما ان ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق
وصفاتهم بل ان كنت تطلب له مثالا تقربه الى فهمك فاعلم ان ثبوت المقادير في اللوح يضاهي

صفة نقش الاشياء في اللوح المحفوظ وحصولها في النفس والخيال

ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه حتى كأنه
حين يقرؤه ينظر اليه ولو فتشت دماغه جزءا جزءا لم تشاهد من ذلك الخط حرفا
فمن هذا النمط ينبغي ان تفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله وقضاه واللوح
في المثال كمرآة تظهر فيها الصور فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة اخرى لكانت صورة
تلك المرآة تتراءى في هذه الا ان يكون بينهما حجاب فالقلب مرآة تقبل رسوم العلوم
واللوح مرآة رسوم العلوم كلها موجودة فيها واشتغال القلب بشهواته
ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو عالم الملكوت
فان هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلألأ في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت
كالبرق الخاطف وقد يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الغالب وما دام متيقظا
فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت
ومعنى النوم ان تركد الحواس فلا تورد على القلب فاذا تخلص منه ومن الخيال وكان
صافيا في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء
مما في اللوح كما تقع الصورة من مرآة في مرآة اذا ارتفع الحجاب بينهما الا ان النوم مانع
سائر الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله وعن تحركه فما يقع في القلب

صفة تعبير الرؤيا

بتذره الخيال فتحاكيه بمثال يقاربه وتكون المتخيلات اثبت في الحفظ من غيرها فيبقى
الخيال في الحفظ فاذا انتبه لم يتذكر الا الخيال فيحتاج المعبر ان ينظر الى هذا الخيال
حكاية اي معنى من المعاني فيرجع الى المعاني بالمناسبة التي بين المتخيل والمعاني وامثلة
ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير ويكفيك مثال واحد وهو ان رجلا قال لابن سيرين رايت
كان بيدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النسا فقال انك موذن توذن قبل الصبح في رمضان
فقال صدقت فانظر الى روح الختم هو المنع ولاجله يراد الختم وانما ينكشف للقلب
حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعا للناس من الاكل والشرب ولكن
الخيال الف المنع عند الختم بالخاتم فتمثله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى
ولا يبقى في الحفظ الا الصورة الخيالية فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرويا
الذي لا تنحصر عجايبه وكيف لا وهو اخو الموت وانما الموت هو عجب من العجايب وهذا لانه
يشبهه من وجه ضعيف اذ يرفع في كشف الغطا عن عالم الغيب حتى صار النايم
يعرف ما سيكون في المستقبل فما ذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطا
بالكلية حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير تاخير نفسه اما محفوفة
بالانكال والمخازي والفضايح نعوذ بالله من ذلك واما مكتنفة بنعيم مقيم وملك كبير
لا اخر له وعند ذلك يقال للاشقيا وقد انكشف الغطا لقد كنت في غفلة من هذا
فكشفنا عنك غطاك فبصرك اليوم حديد ويقال افسحر هذا ام انتم لا تبصرون
اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سوا عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون واليهم الاشارة بقوله تعالى

وقد الهمنا الله تعالى لم تكونوا تحتسبون واعلم العلما واحكم الحكما تكشف له عقيب الموت
من العجايب والايات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم
وغم الا الفكرة في خطر تلك الحال ان الحجاب عماذا يرتفع وما الذي يكشف
عنه الغطا من شقاوة لازمة او سعادة دايمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر
والعجب من غفلتنا وهذه العظايم بين ايدينا واعجب من ذلك فرحنا باموالنا واهلينا
واسبابنا واولادنا بل باعضاينا وسمعنا وبصرنا مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا
ولكن اين من نفث روح القدس في روعه فقوله ما قال لسيد الانبيا احبب من احببت
فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به ولا جرم لما كان
مكشوفا له بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على
قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا نعم قال لو كنت متخذا
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن فبين ان خلة الرحمن خالطت
باطن قلبه وان حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعا لخليل ولا حبيب
وقد قال لامته ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فانما امته من اتبعه وما
اتبعه الا من اعرض عن الدنيا واقبل على الاخرة فانه ما دعا الا الى الله واليوم الاخر
وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما اعرضت عن الدنيا واقبلت على الاخرة
فقد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته وبقدر
ما اتبعته صرت من امته وبقدر ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت في متابعته

احكم الحكما ينكشف له عند الموت ما لم يخطر بباله قط

ما اتبع رسول الله الا من اعرض عن الدنيا واقبل على الاخرة

والتخفيف بالدين قال الله تعالى فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي الماوى
فلو خرجت من مكمن الغرور وانصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت انك من حين
الحلم تمسي لا تسعى الا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك ولا تسكن الا للعاجل الدنيا ثم تطمع
ان تكون غدا من امته واتباعه ما ابعد ظنك وما ابرد طمعك افنجعل المسلمين كالمجرمين
ما لكم كيف تحكمون ولنرجع الى ما كنا فيه وبصدده فقد امتد عنان الكلام
الى غير مقصده ولنذكر الان من المنامات الكاشفة لاحوال الموتى ما تعظم الانتفاع به
اذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وليس ذلك الا المنامات

والصباح الى المسا تسعى لعاجل الدنيا وتطمع ان تكون من امة محمد ما ابعد ظنك

بيان منامات تكشف عن احوال الموتى والاعمال النافعة في الاخرة

فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآني فقد راى
فان الشيطان لا يتمثل بي. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام فرأيته لا ينظر الي فقلت يا رسول الله ما شاني فالتفت الي وقال الست المقبل وانت صائم
فقلت والذي نفسي بيده لا اقبل امراة وانا صائم ابدا. وقال العباس رضي الله عنه كنت ودا
لعمر فاشتهيت ان اراه في المنام فما رايته الا عند راس الحول فرايته يمسح العرق
عن جبينه وهو يقول هذا اوان فراغي ان كان عرشي ليهد لولا اني لقيته رؤوفا رحيما
وقال الحسن بن علي قال لي علي بن ابي طالب عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سنح لي الليلة
في منامي فقلت يا رسول الله ما لقيت من امتك قال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم من هو
خير لي منهم وابدلهم بي من هو شر لهم مني فخرج فضربه ابن ملجم.

وقال بعض الشيوخ رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله استغفر لي فاعرض عني فقلت
يا رسول الله ان سفيان بن عيينة حدثنا عن ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله انك لم تسأل شيئا قط
فقلت لا فاقبل علي فقال غفر الله لك. وروي عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا
لابي لهب مصاحبا له فلما مات واخبر الله تعالى عنه بما اخبر حزنت عليه واهمني امره فسالت
الله تعالى حولا ان يريني اياه في المنام قال فرايته يلتهب نارا فسالته عن حاله فقال صرت
الى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح الا ليلة الاثنين في كل الليالي والايام قلت وكيف
ذلك فقال ولد في تلك الليلة محمد فجاءتني اميمة فبشرتني بولادة آمنة اياه ففرحت به
واعتقت وليدة لي فرحا به فاثابني الله بذلك ان رفع عني العذاب في كل ليلة اثنين.
وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حاجا فصحبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك
ولا يسكن الا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فقال اخبرك عن ذلك
خرجت اول مرة الى مكة ومعي ابي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينا انا نائم
اذ اتاني آت فقال لي قم فقد امات الله اباك وسود وجهه قال فقمت مذعورا
فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو ميت اسود الوجه فدخلني من ذلك رعب فبينا
انا في ذلك الغم اذ غلبتني عيني فنمت فاذا على راس ابي اربعة سودان معهم اعمدة حديد
اذ اقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين اخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم اتاني
فقال قم فقد بيض الله وجه ابيك فقلت له من انت بابي انت وامي فقال انا محمد قال فقمت
فكشفت الثوب عن وجه ابي واذا هو ابيض فما تركت الصلوة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه

وعن عمر بن عبد العزيز قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان عنده
فسلمت وجلست فبينا أنا جالس إذ أتي بعلي ومعاوية رضي الله عنهما فأدخلا بيتا وأجيف عليهما الباب
وأنا أنظر فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان بأسرع من أن خرج معاوية
على أثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة. واستيقظ ابن عباس رضي الله عنه من نومه
مرة فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله فأنكره أصحابه فقال رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال ألا تعلم ما صنعت أمتي بعدي قتلوا ابني الحسين
وهذا دمه ودم أصحابه أرفعها إلى الله عز وجل فجاء الخبر بعد أربعة وعشرين يوما
بقتله في اليوم الذي رآه. ورئي الصديق رضي الله عنه فقيل له إنك كنت تقول أبدا على لسانك
هذا أوردني الموارد فما فعل الله بك فقال قلت به لا إله إلا الله فأوردني الجنة.

رؤيا ابن عباس لقتل الحسين

بيان منامات المشايخ رحمة الله عليهم

قال بعض المشايخ رأيت منعم الدوري في المنام فقلت يا سيدي ما فعل الله بك فقال أدخلني
في الجنان فقيل لي يا منعم هل استحسنت فيها شيئا فقلت لا يا سيدي فقال لو استحسنت فيها شيئا
لوكلتك إليه ولم أوصلك إلي. ورئي يوسف بن الحسين في المنام فقيل له ما فعل
الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال ما خلطت جدا بهزل. وعن منصور بن إسماعيل قال
رأيت عبد الله البزاز في النوم فقلت ما فعل الله بك فقال أوقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب
أقررت به إلا ذنبا واحدا فإني استحييت أن أقر به فأوقفني في العرق حتى سقط لحم
وجهي فقلت ما كان ذلك الذنب قال نظرت إلى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله تعالى

أن أذكره. وقال أبو جعفر الصيدلاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وحوله
جماعة من الفقراء فبينا هم كذلك إذ انشقت السماء ونزل ملكان أحدهما بيده طست وبيد
الآخر إبريق فوضع الطست بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل يده ثم أمر حتى غسلوا أيديهم ثم وضع
الطست بين يدي فقال أحدهما للآخر لا تصب على يده فإنه ليس منهم فقلت يا رسول الله أليس
قد روي عنك أنك قلت المرء مع من أحب قال بلى قلت يا رسول الله فإني أحبك وأحب هؤلاء الفقراء
فقال صلى الله عليه وسلم صب على يده فإنه منهم. وقال الجنيد رأيت في النوم كأني أتكلم على
الناس فوقف علي ملك فقال أقرب ما تقرب به المتقربون إلى الله تعالى ماذا فقلت عمل خفي
بميزان وفي فولى الملك وهو يقول كلام موفق والله. ورئي مجمع في النوم فقيل له كيف
رأيت الأمر فقال رأيت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة.

أقرب ما تقرب المتقربون الى الله عمل خفي بميزان وفي

وقال رجل من أهل الشام للعلاء بن زياد رأيتك في النوم كأنك في الجنة فنزل عن بغلته وأقبل
عليه فقال لعل الشيطان أراد أمرا فعصمت منه فأشخص رجلا يقتلني.
وقال محمد بن واسع الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره. وقال صالح بن بشير رأيت عطاء السليمي
في النوم فقلت له رحمك الله في أي الدرجات أنت لقد كنت طويل الحزن في الدنيا فقال أما والله
لقد أعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقلت في أي الدرجات أنت فقال مع الذين
أنعم الله عليهم من النبيين الآية. وسئل زرارة بن أوفى في المنام أي الأعمال أفضل عندكم
فقال الرضا وقصر الأمل. وقال يزيد بن مذعور رأيت الأوزاعي في المنام فقلت يا أبا عمرو
دلني على عمل أتقرب به إلى الله عز وجل قال ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة

الفلاني درجة المحزونين قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى اظلمت عيناه
وقال ابن عيينة رايت اخي في المنام فقلت يا اخي ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه
غفر لي وما لم استغفر منه لم يغفر لي وقال علي الطلحي رايت في المنام امراة لا تشبه
نساء اهل الدنيا فقلت من انت فقالت حوراء فقلت زوجيني نفسك قالت اخطبني الى سيدي وامهرني
قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن آفاتها وقال ابراهيم بن اسحاق الحربي رايت زبيدة
في المنام فقلت ما فعل الله بك قالت غفر لي فقلت لها بما انفقت في طريق مكة قالت اما
النفقات التي انفقتها رجعت اجورها الى اربابها وغفر لي بنيتي ولما مات سفيان الثوري
رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال وضعت اول قدمي على الصراط والثاني في الجنة
وقال احمد بن ابي الحواري رايت فيما يرى النائم جارية ما رايت احسن منها وكان يتلالا وجهها
نورا فقلت لها مما ضوء وجهك فقالت تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها قلت نعم
قالت اخذت دمعك فمسحت به وجهي فمن ثم ضوء وجهي كما ترى وقال الكتاني رايت
الجنيد في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات وذهبت العبارات
وما حصلنا الا على ركيعات كنا نصليها في الليل ورؤيت زبيدة في المنام فقيل لها
ما فعل الله بك قالت غفر لي بهذه الكلمات الاربع لا اله الا الله افني بها عمري لا اله الا الله ادخل غفر لي باربع كلمات
بها قبري لا اله الا الله اخلو بها وحدي لا اله الا الله القى بها ربي عز وجل
ورؤي بشر في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني ربي عز وجل وقال يا بشر اما استحييت مني
كنت تخافني كل ذلك الخوف ورؤي ابو سليمان في النوم فقيل له ما فعل الله بك

قال رحمني وما كان شيء اضر علي من اشارات القوم الي وقال ابو بكر الكتاني رايت في المنام شابا
لم ار احسن منه فقلت من انت فقال التقوى فقلت فاين تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فاذا امراة
سوداء كاوحش ما تكون فقلت من انت قالت انا السقم فقلت فاين تسكنين قالت كل قلب فرح مرح
قال فانتبهت وعقدت ان لا اضحك الا غلبة وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ابليس
وثب علي فاخذت العصا لاضربه فلم يفزع مني فهتف بي هاتف ان هذا لا يخاف من هذه ابليس يخاف من نور القلب
وانما يخاف من نور يكون في القلب وقال المسوحي رايت ابليس في النوم يمشي عريانا فقلت
اما تستحيي من الناس فقال بالله هؤلاء ناس لو كانوا من الناس ما كنت العب بهم طرفي النهار كما
يلاعب الصبيان بالكرة بل الناس قوم غير هؤلاء قد اسقموا جسمي واشار بيده الى الذين اسقموا ابليس
اصحابنا الصوفية وقال ابو سعيد الخراز كنت في دمشق فرايت في المنام كان
النبي صلى الله عليه وسلم جاءني متكئا على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فجاء فوقف علي وانا اقول
شيئا من الاصوات وادق في صدري فقال شر هذا اكثر من خيره وعن ابن عيينة قال
رايت سفيان الثوري في النوم كانه في الجنة يطير من شجرة الى شجرة يقول لمثل هذا
فليعمل العاملون فقلت له اوصني فقال اقلل من معرفة الناس وروى ابو حاتم قلل معرفة الناس
الرازي عن قبيصة بن عقبة قال رايت سفيان الثوري في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال

نظرت الى ربي كفاحا فقال لي   هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد
فقد كنت قواما اذا اظلم الدجى   بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر اردته   وزرني فاني منك غير بعيد

مجنون بني عامر

ورئي الشبلي بعد موته بثلاثة ايام فقيل له ما فعل الله بك فقال ناقشني حتى ايست
فلما رأى يأسي تغمدني برحمته ۞ ورئي مجنون بني عامر بعد موته في المنام فقيل له ما
فعل الله بك فقال غفر لي وجعلني حجة على المحبين ۞ ورئي الثوري في المنام فقيل له
ما فعل الله بك فقال رحمني فقيل له ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه
في كل يوم مرتين ۞ ورئي بعضهم فسئل عن حاله فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا فاعتقوا ۞
ورئي مالك بن انس فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان
عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت ۞ ورئي في الليلة التي مات فيها الحسن البصري
كان ابواب السماء مفتحة وكان مناديا ينادي الا ان الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض
ورئي الجاحظ فقيل له ما فعل الله بك فقال

ولا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة ان تراه

ورأى الجنيد ابليس في المنام عريانا فقال الا تستحي من الناس فقال وهؤلاء ناس الناس
اقوام في مسجد الشونيزية قد اضنوا جسدي واحرقوا كبدي قال الجنيد فلما
استيقظت غدوت الى المسجد فرأيت جماعة قد وضعوا رؤوسهم على ركبهم يتفكرون فلما
رأوني قالوا لا تغترن بحديث الخبيث ۞ ورئي النصراباذي بمكة بعد وفاته في النوم
فقيل له ما فعل الله بك قال عوتبت عتاب الاشراف ثم نوديت يا ابا القسم ابعد الاتصال
انفصال فقلت لا يا ذا الجلال فما وضعت في اللحد حتى لحقت بالاحد ۞
ورأى عتبة الغلام حوراء في المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة انا لك

عاشقة فانظر لا تعمل من الاعمال شيئا يحول بيني وبينك فقال عتبة طلقت الدنيا ثلاثا
لا رجعة لي عليها حتى القاك ۞ وقيل رأى ايوب السختياني جنازة عاص فدخل الدهليز لئلا
يصلي عليها فرأى بعضهم الميت في المنام فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لي وقال قل
لايوب قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق ۞ وقال بعضهم
رأيت في الليلة التي مات فيها داود الطائي نورا وملائكة نزولا وملائكة صعودا
فقلت اي ليلة هذه فقالوا ليلة مات فيها داود الطائي وقد زخرفت الجنة
لقدوم روحه ۞ وقال ابو سعيد الشحام رأيت سهلا الصعلوكي في المنام
فقلت ايها الشيخ فقال دع التشييخ قلت وتلك الاحوال التي شاهدتها فقال لم تغن عنا
فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي بمسائل كان يسأل عنها العجز ۞
وقال ابو بكر الرشيدي رأيت محمدا الطوسي المعلم في النوم فقال لي قل لابي سعيد
الصفار المؤدب

وكنا على ان لا نحول عن الهوى فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا

قال فانتبهت فذكرت ذلك له فقال كنت ازور قبره كل جمعة فلم ازره هذه الجمعة ۞
وقال ابن راشد رأيت ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت اليس قد مت قال بلى
قلت فما صنع الله بك قال غفر لي مغفرة احاطت بكل ذنب قال فسفين الثوري قال بخ بخ
ذاك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين الاية ۞ وقال الربيع بن سليمان رأيت الشافعي
بعد وفاته في المنام فقلت يا ابا عبد الله ما صنع الله بك قال اجلسني على كرسي من ذهب

ونثر علي اللؤلؤ الرطب. وقال رجل من أصحاب الحسن البصري ليلة مات الحسن رأى كأن مناديا ينادي إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن أي الحسن البصري على أهل زمانه. وقال أبو يعقوب القاري الدقيقي رأيت في منامي رجلا آدم طوالا والناس يتبعونه فقلت من هذا قالوا أويس القرني فاتبعته فقلت أوصني رحمك الله فكلح في وجهي فقلت مسترشد فأرشدني أرشدك الله فأقبل علي وقال ابتغ رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاك منه في خلال ذلك ثم ولى وتركني. وقال أبو بكر بن أبي مريم رأيت ورقاء بن بشر الحضرمي فقلت ما فعلت يا ورقاء قال نجوت بعد كل جهد قلت فأي الأعمال وجدتموها أفضل قال البكاء من خشية الله تعالى.

وقال يزيد بن نعامة هلكت جارية في الطاعون الجارف فرآها أبوها في المنام فقال لها يا بنية أخبريني عن الآخرة قالت يا أبت قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وأنتم تعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في صحيفة عمل أحب إلي من الدنيا وما فيها. وقال بعض أصحاب عتبة الغلام رأيت عتبة في المنام فقلت ما صنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك قال فلما أصبحت جئت إلى بيتي فإذا خط عتبة في حائط البيت مكتوب يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرة العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين رب العالمين. وقال موسى بن حماد رأيت سفيان الثوري في الجنة يطير من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة فقلت يا أبا عبد الله بم نلت هذا قال بالورع فقلت فما بال علي بن عاصم قال ذاك لا يكاد يرى إلا كما يرى الكوكب.

ورأى رجل من التابعين النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله عظني قال نعم من لم يتفقد النقصان فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له. وقال الشافعي دهمني في هذه الأيام أمر أمضني وآلمني ولم يطلع عليه غير الله عز وجل فلما كان البارحة أتاني آت في منامي فقال يا محمد بن إدريس قل اللهم إني لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني ولا أتقي إلا ما وقيتني فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية فلما أصبحت أعدت ذلك فلما ترحل النهار أعطاني الله عز وجل طلبتي وسهل لي الخلاص مما كنت فيه فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها. فهذه جملة من المكاشفات تدل على أحوال الموتى وعلى الأعمال المقربة إلى الله زلفى فلنذكر بعد هذا ما بين يدي الموتى من ابتداء نفخة الصور إلى آخر القرار إما في الجنة أو في النار.

الشطر الثاني من كتاب ذكر الموت

في أحوال الميت

من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستقرار إما في الجنة أو في النار

وتفصيل ما بين يديه من الأهوال والأخطار وفيه بيان نفخة الصور وصفة

ارض المحشر واهله وصفة عرق اهل المحشر وصفة طول يوم القيمة وصفة يوم القيمة ودواهيها واساميها وصفة المسائلة عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الخصما ورد المظالم وصفة الصراط وصفة الشفاعة وصفة الحوض وصفة جهنم واهوالها وانكالها وحياتها وعقاربها وصفة الجنة واصناف نعيمها وعدد الجنان وابوابها وغرفها وحيطانها وانهارها واشجارها ولباس اهلها وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم وصفة الحور العين والولدان وصفة النظر الى وجه الله تعالى وباب في سعة رحمة الله به نختم الكتاب ان شاء الله تعالى

صفة نفخ الصور

قد عرفت ما سبق شدة احوال الميت في سكرات الموت وخطره في خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم لمنكر ونكير وسؤالهما ثم لعذاب القبر وخطره ان كان مغضوبا عليه واعظم من ذلك كله الاخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضا اما بالاسعاد واما بالاشقا فهذه احوال واهوال لا بد لك من معرفتها ثم الايمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر في ذلك لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها واكثر الناس لم يدخل الايمان باليوم الاخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء افئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف

اكثر الناس لم يومنوا باليوم الاخر

وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما تكتنفه من المصاعب والاهوال بل اذا سئلوا عن اليوم الاخر نطقت به السنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ومن اخبر بان ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه الذي اخبره صدقت ثم مد يده لتناوله كان مصدقا بلسانه ومكذبا بعمله وتكذيب العمل ابلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له ان يشتمني وكذبني وما ينبغي له ان يكذبني اما شتمه اياي فيقول ان لي ولدا واما تكذيبه فقوله لن يعيدني كما بدأني وانما قصور الباطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم لامثال هذه الامور ولو لم يشاهد الانسان توالد الحيوانات وقيل له ان صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الادمي المصور المتكلم العاقل المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ولذلك قال الله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فخلق الادمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب اعضائه اعجب من بعثه واعادته فكيف ينكر ذلك من قدرة الله وحكمته من يشاهد ذلك في صنعه وقدرته فان كان في ايمانك ضعف فقو ايمانك بالنظر في النشأة الاولى فان الثانية مثلها واسهل منها وان كنت قوي الايمان بها فاشعر قلبك تلك المخاوف والاخطار واكثر فيها التفكر والاعتبار لتسلب عن قلبك الراحة والقرار فتشتغل بالتشمر للعرض

نفخ الصور وصفته

في الجبابرة فتفكر اولا فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور فانها
صيحة واحدة ينفرج بها القبور عن رؤوس الموتى فيثورون دفعة واحدة فتوهم نفسك
وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا بدنك من قرنك الى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من شدة
الصعقة شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها
بلاؤهم وقد ازعجهم الفزع والرعب مضافا الى ما كان عندهم من الغموم والهموم وشدة
الانتظار لعاقبة الامر كما قال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال تعالى فاذا نقر في الناقور
فذلك يومئذ يوم عسير وقال تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون
الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون
ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فلو لم يكن بين يدي الموتى الا هول تلك النفخة
لكان ذلك جديرا بان يتقى فانها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات والارض يعني يموتون
بها الا من شاء الله وهو بعض الملائكة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم
وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى الجبهة واصغى بالاذن ينتظر متى يؤمر فينفخ قال مقاتل
الصور هو القرن وذلك ان اسرافيل واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة راس
القرن كعرض السموات والارض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة
الاولى فاذا نفخ صعق من في السموات والارض اي مات كل حيوان من شدة الفزع

الا من شاء الله وهو جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يامر ملك الموت ان يقبض روح
جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم يامر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد
النفخة الاولى في البرزخ اربعين سنة ثم يحيي الله اسرافيل فيامره ان ينفخ الثانية
فذلك قوله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون الى البعث وقال صلى الله عليه وسلم حين
بعثت الى صاحب الصور فاهوى به الى فيه وقدم رجلا واخر اخرى ينتظر متى يؤمر
بالنفخ الا فاتقوا النفخة فتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم
عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من سعادة او شقاوة
وانت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل ان كنت في الدنيا من المترفين
والاغنياء المتنعمين فملوك الارض في ذلك اليوم اذل اهل الجمع واصغرهم واحقرهم
يوطؤون بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال
منكسة رؤوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير
خطيئة تدنست بها ولكن حشرهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم ذلك حشر الوحوش
عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم اقبلت
الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها واذعنت خاشعة من هيبة العرض
على الله تعالى تصديقا لقوله عز وجل فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول
جهنم جثيا فتفكر في حالك وحال قلبك هنالك

صفة ارض المحشر واهله

ثم انظر كيف يساقون

بعد البعث والنشور وهم حفاة عراة غرلا الى ارض المحشر ارض بيضا قاع صفصف لا ترى
فيها عوجا ولا امتا ولا ترى عليها ربوة يختفي الانسان وراها ولا وهدة ينخفض عن الاعين فيها
بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان من جمع الخلايق
على اختلاف اصنافهم من اقطار الارض اذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة
هي النفخة الاولى والرادفة هي الثانية وحقيق لتلك القلوب ان تكون يومئذ واجفة
ولتلك الابصار ان تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ارض
بيضا عفرا كقرص النقي ليس فيها معلم لاحد قال الراوي والعفرة بياض ليس بالناصع
والنقي هو النقي عن القشر والنخالة ولا معلم اي لا بنا يستر ولا تفاوت يرد البصر ولا تظنن
ان تلك الارض مثل ارض الدنيا بل لا تساويها الا في الاسم قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات قال ابن عباس يزاد فيها وينقص وتذهب اشجارها وجبالها واوديتها
وما فيها وتمد مد الاديم العكاظي ارض بيضا مثل الفضة لم يسفك عليها دم
ولم يعمل عليها خطيية والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر
يا مسكين في هول اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلايق على هذا الصعيد
تناثرت من فوقهم نجوم السما وطمس الشمس والقمر واظلمت الارض لخمود
سراجها فبينا هم كذلك اذ دارت السما فوق رؤسهم وانشقت مع
غلظها وشدتها خمسمايه عام والملايكة قيام على حافاتها وارجايها
فيا هول صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السما مع صلابتها

وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة
كالدهان وصارت السما كالمهل وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث
وهم عراة حفاة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا
قد الجمهم العرق وبلغ شحوم الاذان قالت سودة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم راوية
الحديث قلت يا رسول الله واسوتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس عن ذلك
لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فاعظم بيوم يكشف فيه العورات ويومن فيه
مع ذلك من النظر والالتفات وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم
على الالتفات الى غيرهم قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم
يحشر الناس ثلاثة اصناف
القيمة ثلاثة اصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يا رسول الله وكيف
يمشون على وجوههم قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم
في طبع الادمي انكار كل ما يانس به
وفي طبع الادمي انكار كل ما لم يانس به ولو لم يشاهد الانسان الحية وهي تمشي
على بطنها كالبرق الخاطف لانكر تصور المشي على غير رجل والمشي بالرجل ايضا
مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فاياك ان تنكر شيا من عجايب يوم القيمة لمخالفته
قياسا في الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجايب الدنيا ثم عرضت عليك قبل
المشاهدة لكنت اشد انكارا لها فاحضر في قلبك صورتك وانت واقف عاريا
مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجري عليك من القضا بالسعادة
او بالشقاوة واعظم بهذه الحال فانها عظيمة

صفة العرق

ثم تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على
الموقف اهل السموات السبع والارضين السبع من ملك وجن وانس وشيطان ووحش وسبع وطير — انواع اهل المحشر
فاشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة امرها
ثم ادنيت من رؤوس العالمين كقاب قوسين فلم يبق على الارض ظل الا ظل عرش رب العالمين
ولم يمكن الاستظلال به الا للمقربين فمن بين مستظل بالعرش وبين مضحى لحر الشمس قد صهرته
بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضا لشدة
الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاختزاء
عند العرض على جبار السما فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحيا
والخوف ففاض العرق من اصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيمة ثم ارتفع الى ابدانهم
على قدر منازلهم عند الله تعالى فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم
الى شحمة اذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم
الناس لرب العالمين حتى يغيب احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيمة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا ويلجمهم
ويبلغ اذانهم رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي حديث اخر قياما شاخصة ابصارهم
اربعين سنة الى السما فيلجمهم العرق من شدة الكرب وقال عقبة بن عامر قال رسول الله — يقفون في المحشر اربعين سنة
صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس من الارض يوم القيمة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه
عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه

سابع عشر التاسع

160

ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه واشار بيده فالجمها فاه ومنهم من يغطيه
عرقه وضرب بيده على راسه هكذا فتامل يا مسكين في عرق اهل المحشر وشدة كربهم
وان فيهم لمن ينادي ويقول رب ارحني من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وكل ذلك ولم يلقوا
بعد حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدري الى اين يبلغ بك العرق واعلم ان كل عرق
لم يخرجه التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضا حاجة مسلم
وتحمل مشقة في امر بمعروف ونهي عن منكر فسيخرجه الحيا والخوف في صعيد القيمة
ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن ادم من الجهل والغرور لعلم ان تعب العرق
في تحمل مصاعب الطاعات اهون امرا واقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار في القيمة
فانه يوم عظيم شدته طويل مدته

صفة طول يوم القيمة

يوم يقف فيه الخلائق شاخصة ابصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في امورهم
يقفون ثلثمائة عام لا ياكلون فيه اكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يجدون فيه روح
نسيم قال كعب وقتادة يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقومون مقدار ثلثمائة عام
قال عبد الله بن عمرو تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية ثم قال كيف بكم اذا جمعكم — يقفون في المحشر خمسين الف سنة لا ينظر الله اليهم
الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر اليكم وقال الحسن
ما ظنك بيوم قاموا فيه على اقدامهم مقدار خمسين الف سنة لم ياكلوا فيها اكلة
ولم يشربوا فيها شربة حتى اذا انقطعت اعناقهم عطشا واحترقت اجوافهم جوعا
انصرف بهم الى النار فسقوا من عين انية قد ان حرها واشتد نضجها فلما بلغ

المجهود منهم ما لا طاقة لهم به فكلم بعضهم بعضا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم
يتعلقوا بنبي الا دفعهم وقال دعوني نفسي نفسي شغلني امري عن امر غيري واعتذر كل واحد
بشدة غضب الله تعالى وقال قد غضب ربنا اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده
مثله حتى يشفع نبينا صلى الله عليه وسلم لمن يؤذن له فيهم لا يملكون الشفاعة الا من اذن له
الرحمن ورضي له قولا فتأمل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار
الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر واعلم ان من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته
للصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اهون عليه
من الصلوة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد ان تكون من اولئك المؤمنين فما دام
يبقى لك نفس من عمرك فالامر اليك والاستعداد بيدك فاعمل في ايام قصار لايام طوال
تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة الف سنة
فانك لو صبرت سبعة الف سنة مثلا لتتخلص من يوم مقداره خمسون الف سنة
لكان ربحك كثيرا وتعبك يسيرا. صفة يوم القيمة ودواهيه واساميه
فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شأنه المديد زمانه القاهر
سلطانه القريب اوانه يوم ترى السماء فيه قد انفطرت والكواكب من هوله
قد انتثرت والنجوم الزواهر قد انكدرت والشمس قد كورت والجبال قد سيرت
والعشار قد عطلت والوحوش قد حشرت والبحار قد سجرت والنفوس الى الابدان

طول يوم الحشر على المؤمن كصلوة المكتوبة

عمر الدنيا سبعة الف سنة

قد زوجت والجحيم قد سعرت والجنة قد ازلفت والجبال قد نسفت والارض قد مدت
يوم ترى الارض قد زلزلت فيه زلزالها واخرجت الارض اثقالها يوم يصدر الناس
اشتاتا ليروا اعمالهم يوم تحمل الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ
وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك
فوقهم يومئذ ثمانية يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية. يوم تسير الجبال وترى الارض
بارزة يوم ترج فيه الارض رجا وتبس الجبال بسا فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس
كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل فيه كل مرضعة عما ارضعت
وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد
يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار يوم تنسف فيه الجبال
نسفا فتترك قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يوم ترى الجبال تحسبها جامدة
وهي تمر مر السحاب يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان فيومئذ لا يسأل عن ذنبه
انس ولا جان يوم يمنع فيه العاصي من الكلام ولا يسأل فيه عن الاجرام بل يؤخذ
بالنواصي والاقدام يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان
بينها وبينه امدا بعيدا يوم تعلم فيه كل نفس ما احضرت وتشهد ما قدمت واخرت
يوم تخرس فيه الالسن وتنطق الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين اذ قال له
الصديق اراك قد شبت يا رسول الله فقال شيبتني هود والواقعة والمرسلات
وعم يتساءلون واذا الشمس كورت فيا ايها القارئ العاجز ما حظك من قراءتك

السور التي شيبت رسول الله

ان يمحى القران وكرر به اللسان ولو كنت متفكرا فيما تقراه لكنت جديرا بان تشيب من اربع سور فيما شابت منه
شعر سيد البشر واذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القران والقيمه احد ما
ذكر فيه وقد وصف الله تعالى بعض دواهيها واكثر اساميها لتقف بكثرة اساميها على كثرة
معانيها فليس المقصود تكرير الاسامي والالقاب بل الغرض تنبيه اولي الالباب فتحت
كل اسم من اسما القيمه سر وفي كل نعت من نعوتها معنى فاحرص على معرفة معانيها ونحن الان
نجمع لك اساميها وهي يوم القيمه ويوم الحسره ويوم الندامه ويوم المحاسبه
ويوم المسايله ويوم المسابقه ويوم المنافسه ويوم المناقشه ويوم الزلزله
ويوم الدمدمه ويوم الصاعقه ويوم الواقعه ويوم القارعه ويوم الراجفه
ويوم الرادفه ويوم الغاشيه ويوم الداهيه ويوم الازفه ويوم الحاقه
ويوم الطامه ويوم الصاخه ويوم التلاق ويوم الفراق ويوم المساق
ويوم القصاص ويوم التناد ويوم الحساب ويوم المآب ويوم العذاب
ويوم الفرار ويوم القرار ويوم اللقا ويوم البقا ويوم القضا
ويوم الجزا ويوم البلا ويوم البكا ويوم الحشر ويوم الوعيد
ويوم العرض ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم الفصل ويوم الجمع
ويوم البعث ويوم الفتح ويوم الخزي ويوم عظيم ويوم عقيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم
اليقين ويوم النشور ويوم المصير ويوم النفخه ويوم الصيحه ويوم الرجفه ويوم الرجه
ويوم الزجره ويوم السكره ويوم الفزع ويوم الجزع ويوم المنتهى ويوم الماوى

ويوم الميقات ويوم الميعاد ويوم المرصاد ويوم القلق ويوم العرق ويوم الافتقار ويوم
الانكدار ويوم الانتشار ويوم الانشقاق ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود
ويوم التغابن ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم لا ريب فيه ويوم
تبلى السرائر ويوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا ويوم تشخص فيه الابصار ويوم لا يغني مولى عن مولى شيئا
ويوم لا تملك نفس لنفس شيئا ويوم يدعون الى نار جهنم دعا ويوم يسحبون في النار على وجوههم
ويوم تقلب وجوههم في النار ويوم لا يجزي والد عن ولده ويوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه
ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويوم لا مرد له من الله ويوم هم بارزون يوم هم
على النار يفتنون يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنه ولهم
سو الدار يوم ترد فيه المعاذير وتبلى السرائر وتظهر الضمائر وتكشف الاستار يوم تخشع
فيه الابصار وتسكن الاصوات ويقل فيه الالتفات وتبرز الخفيات وتظهر الخطيات
يوم يساق العباد ومعهم الاشهاد ويشيب الصغير ويسكر الكبير فيومئذ وضعت
الموازين ونشرت الدواوين وبرزت الجحيم واغلي الحميم وزفرت النار وييس الكفار وسعرت
النيران وتغيرت الالوان وخرس اللسان ونطقت جوارح الانسان فيا ايها الانسان ما غرك
بربك الكريم حيث اغلقت الابواب وارخيت الستور واستترت عن الخلايق وقارفت
الفجور فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معاشر الغافلين
يرسل الله تعالى الينا سيد المرسلين وينزل عليه الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات
من نعوت يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون

ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ثم يقول تعالى اقترب
القيامة فيقول اقتربت الساعة وانشق القمر انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وما يدريك لعل
الساعة تكون قريبا ثم يكون احسن احوالنا ان نتخذ وراءنا هذا القرآن عملا ولا نتدبر
معانيه ولا ننظر في كثرة اوصاف هذا اليوم واساميه ولا نستعد للتخلص من دواهيه
نعوذ بالله من هذه الغفلة ان لم يتداركنا الله بواسع الرحمة

صفة المسائلة

ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الاهوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير ترجمان
فتسأل عن القليل والكثير والنقير والقطمير فبينا انت في كرب القيامة وعرقها وشدة
عظائمها اذ نزلت ملائكة من ارجاء السموات (السماء) باجسام عظام واشخاص ضخام غلاظ شداد
امروا ان ياخذوا بنواصي المجرمين الى موقف العرض على الجبار تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لله عز وجل ملكا ما بين شفري عينيه مسيرة مائة عام فما ظنك بنفسك اذا
شاهدت مثل هؤلاء الملائكة ارسلوا اليك ليأخذوك الى مقام العرض وتراهم على عظم
اشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين مما يرون من غضب الجبار على عباده وعند
نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح الا ويخرون لاذقانهم خوفا من ان يكونوا هم المأخوذين
هذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك يبادر اقوام من شدة الفزع فيقولون
للملائكة افيكم ربنا لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتفزع الملائكة من سؤالهم
اجلالا لخالقهم ان يكون فيهم فينادوا باصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه
اهل الارض وقالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم الملائكة

صفا محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة الخوف
والمهابة لشدة اليوم وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن
المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين وقوله فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا
يعملون ثم يبدأ بالانبياء يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا فيا لشدة يوم
تذهل فيه عقول الانبياء وتمحى علومهم من شدة الهيبة اذ يقال لهم ماذا اجبتم وقد ارسلتم الى
الخلائق وكانوا قد علموا فتدهش عقولهم فلا يدرون ماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم
لنا انك انت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادقون اذ طارت فيه العقول وانمحت العلوم
الا ان يقويهم الله ثم يدعى نوح عليه السلام فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم
فيقولون ما اتانا من نذير ويؤتى بعيسى عليه السلام فيقول الله تعالى له أانت قلت للناس اتخذوني *(margin: سؤال عيسى يوم القيمة)*
وامي الهين من دون الله فيبقى متشحطا تحت هذا السؤال سنين فيا اعظم يوم يقام فيه السياسة
على الانبياء بمثل هذا السؤال ثم يقبل الملائكة فينادي واحدا واحدا يا فلان ابن فلانة هلم
الى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول ويتمنى
اقوام ان يذهب بهم الى النار ولا تعرض قبائح اعمالهم على الجبار ولا يكشف سترهم على ملاء
الخلائق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش واشرقت الارض بنور ربها وايقن قلب كل
عبد باقبال الجبار لمسائلة العباد وظن كل واحد انه ما يراه احد سواه وانه
المقصود بالاخذ والسؤال دون غيره فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك يا
جبريل ائتني بالنار فيأتي بها جبريل ويقول لها يا جهنم اجيبي خالقك ومليكك فيصادفها

جبرئيل عليه السلام على غيظها وغضبها فلم يلبث بعد نداء الله ان ثارت وفارت وزفرت
الى الخلايق وشهقت وسمع الخلايق تغيظها وزفيرها واسمعت جرجرتها منوبة الى الخلايق
عصا على عصى الله تعالى وخالف امره واخطاها لك واحضر في قلبك حالة قلوب العباد
وقد امتلأت فزعا ورعبا فتساقطوا جثيا على الركب وولوا مدبرين يوم ترى كل امة
جاثية وسقط بعضهم على الوجوه منكبين ونادى الظالمون والعصاة بالويل والثبور
ونادى الصديقون نفسي نفسي فبيناهم كذلك اذ زفرت النار زفرتها الثانية فتضاعف
خوفهم وتخاذلت قواهم وظنوا انهم ماخوذين ثم زفرت الثالثة فتساقط
الخلايق لوجوههم وشخصوا بابصارهم ينظرون من طرف خفي خاشع وانقصم عند
ذلك قلوب الظالمين وبلغت الحناجر كاظمين وذهلت العقول من السعداء والاشقياء
اجمعين وبعد ذلك اقبل الله تعالى على الرسل فقال ماذا اجبتم وماذا راوا امما قد
اتموا السياسة على الانبياء اشتد الفزع على العصاة ففر الوالد من ولده والاخ من اخيه
والزوج من زوجته وبقي كل واحد ينتظر الامر ثم يوخذ واحد واحد فيسأله الله
شفاها عن قليل اعماله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه واعضائه
قال ابو هريرة قالوا يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل نرى ربنا يوم القيمة فقال هل تضارون في روية
الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب قالوا لا قال فهل تضارون في روية القمر ليلة
البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في روية ربكم
فيلقى العبد فيقول الله الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل

واذرك ترأس وتربع فيقول العبد بلى فيقول افظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول فاني
انساك كما نسيتني ، فتوهم نفسك يا مسكين وقد اخذت الملائكة بعضديك واوقفت
بين يدي الله تعالى ليسالك شفاها فيقول لك الم انعم عليك بالشباب ففيماذا ابليته الم امهل
لك في العمر ففيماذا افنيته الم ارزقك المال فمن اين اكتسبته وفيماذا انفقته الم
اكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت فكيف ترى حياءك وخجلك وهو يعدد عليك انعامه
ومعاصيك واياديه ومساويك فان انكرت شهدت عليك جوارحك قال انس رضي الله عنه
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال تدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم
قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول
اني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام
الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي قال فتنطق باعماله
ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لاعضائه بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل
فنعوذ بالله من الافتضاح على ملا الخلق بشهادة الاعضاء الا ان الله تعالى وعد المومن ان
يستر عليه ولا يطلع عليه غيره سال ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنو احدكم من ربه عز وجل
حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا
فيقول نعم ثم يقول اني سترتها في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم وقد قال رسول الله صلى الله عليه
من ستر على مومن عورته ستر الله عورته يوم القيمة فهذا انما يرجى للعبد المومن

صفة المغفور له يوم القيمة

سترت على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه بعض بعضهم ولم تحرك لسانه بذكر مساويهم
ولم تذكرهم في غيبتهم بما تكرهون لو سمعوه فهو جدير بان يجازى بمثله في القيمه وهب انه
قد ستره عن غيرك اليس قد قرع سمعك النداء الى العرض فيكفيك تلك الروعه جزاء عن
ذنوبك اذ يوخذ بناصيتك فتقاد وفوادك مضطرب ولبك طاير وفرايصك مرتعده
وجوارحك مضطربه ولونك متغير والعالم عليك من شده الهول مظلم فقدر نفسك وانت
بهذه الصفه تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كما تقاد الفرس المجنوب وقد رفع
الخلايق اليك ابصارهم فتوهم نفسك في ايدي الموكلين بك على هذه الصفه حتى انتهى بك الى
عرش الرحمن فرموك من ايديهم وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه يا ابن آدم ادن مني
فدنوت بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفواد منكسر واعطيت كتابك
الذي لا يغادر صغيره ولا كبيره الا احصاها فكم من فاحشه نسيتها فتذكرتها وكم من طاعه
غفلت عن آفاتها فانكشفت عن مساويها وكم لك من خجل وجبن وكم لك من حصر وعجز
فليت شعري باي قدم تقف بين يديه وباي لسان تجيب وباي قلب تعقل ما تقول ثم تفكر في عظم حيايك
اذا ذكرك ذنوبك شفاها اذ يقول يا عبدي اما استحييت مني فبارزتني بالقبيح واستحييت
خلقي فاظهرت لهم الجميل اكنت اهون عليك من ساير عبادي استخففت بنظري اليك فلم
تكترث واستعظمت نظر غيري الم انعم عليك فماذا غرك بي اظننت اني لا اراك
وانك لا تلقاني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا ويسايله رب العالمين
ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقفن احدكم

165

بين يدي الله تعالى ليس بينه وبينه حجاب فيقول له الم انعم عليك الم اوتك مالا فيقول بلى فيقول الم ارسل
اليك رسولا فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا النار وينظر عن شماله فلا يرى الا النار فليتق النار
احدكم ولو بشق تمره فان لم يجد فبكلمه طيبه وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو
الله عز وجل به كما يخلو احدكم بالقمر ليله البدر ثم يقول يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ما عملت فيما علمت
يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين يا ابن آدم الم اكن رقيبا على عينك وانت تنظر بها الى ما لا يحل لك
الم اكن رقيبا على اذنيك وهكذا حتى عد ساير الاعضا وقال مجاهد لا تزول قدما عبد
يوم القيمه من بين يدي الله عز وجل حتى يسال عن اربع خصال عن عمره فيما افناه وعن علمه
ما عمل فيه وعن جسده فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه
فاعظم يا مسكين بحيايك عند ذلك وبخطرك فانك بين ان يقال لك سترتها عليك في
الدنيا وانا اغفرها لك اليوم فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الاولون والاخرون
واما ان يقال للملايكه خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه فعند ذلك
لو بكت عليك السموات والارضون لكان ذلك جديرا لعظم مصيبتك وشده حسرتك
على ما فرطت فيه من طاعه الله وعلى ما بعت به آخرتك من دنيا دنيه لم تبق معك

صفه الميزان

ثم لا تغفل عن الفكر في الميزان وتطاير الكتب
الى الشمايل والايمان فان الناس بعد السوال فرق فرقه ليس لهم حسنه فيخرج من النار
عنق اسود فيلتقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبتلعهم
النار وينادى عليهم شقاوه لا سعاده بعدها وقسم آخر لا سيئه لهم فينادي

الناس ثلاث فرق

هنالك يتميز المجادلون لله تعالى على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك باهل
قيام الليل ثم لمن لم يشغله تجارة الدنيا ولا بيع عن ذكر الله تعالى وينادى عليهم بسعادة لا
شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث هم الاكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى
عليهم ولا يخفى على الله تعالى ان الغالب حسناتهم او سيئاتهم ولكن ابى الله الا ان يعرفهم
حقيقة ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب فتتطاير الصحف
والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب
اتقع في اليمين او في الشمال ثم الى لسان الميزان اتميل الى جانب السيئات او الحسنات
وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق روي عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان راسه في حجر عائشة رضي الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها
فقطر على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال ما يبكيك يا عائشة فقالت ذكرت
الآخرة هل تذكرون اهليكم يوم القيمة فقال والذي نفسي بيده في ثلاث مواطن فان احدا
لا يذكر الا نفسه اذا وضعت الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن آدم اتخف ميزانه
ام تثقل وعند الصحف حتى ينظر ابيمينه يأخذ كتابه او بشماله وعند الصراط
وعن انس قال يؤتى بابن آدم يوم القيمة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل
ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا
وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا
وعند خفة كفة الحسنات الميزان تقبل الزبانية وبايديهم مقامع من حديد عليهم ثياب النار

فيأخذون نصيب النار الى النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيمة انه يوم
ينادي الله تعالى فيه آدم عليه السلم فيقول قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث
النار فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك ابلسوا حتى
ما اوضحوا بضاحكة فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم الذي عند اصحابه قال اعملوا
وابشروا فوالذي نفسي بيده ان معكم لخليقتين ما كانتا مع احد قط الا كثرتاه
مع من هلك من بني آدم وبني ابليس قالوا وما هما يا رسول الله قال يأجوج ومأجوج قال فسري عن القوم
فقال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما انتم في الناس يوم القيمة الا كالشامة في جنب البعير
او كالرقمة في ذراع الدابة

صفة الخصماء ورد المظالم

فقد عرفت هول الميزان وخطره وان الاعين شاخصة الى لسان الميزان فمن ثقلت موازينه
فهو في عيشة راضية ومن خفت موازينه فامه هاوية وما ادراك ما هيه نار حامية
واعلم انه لا ينجو من خطر الميزان الا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع
اعماله واقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم
قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وانما حسابه لنفسه ان يتوب عن كل معصية
قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصيره في فرائض الله ويرد المظالم حبة
بعد حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب
قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة فهذا يدخل الجنة بغير حساب
وان مات قبل رد المظالم احاط به خصماؤه فهذا ياخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته

وهذا يتعلق بتلبيبه هذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزأت بي
وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فأسأت جواري وهذا يقول
عاملتني فغششتني وهذا يقول بايعتني فغبنتني وأخفيت عني عيب متاعك وهذا يقول
كذبت في سعر متاعك وهذا يقول رأيتني محتاجا وكنت غنيا فما أطعمتني وهذا يقول وجدتني
مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم عني فداهنت الظالم وما راعيتني فبينا أنت كذلك
وقد أنشب الخصماء فيك مخالبهم وأحكموا في تلابيبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم
حتى لم يبق في عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة
بغيبة أو خيانة أو نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت
عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم إذ قرع سمعك نداء الجبار
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك
بالبوار وتتذكر ما أنذرك الله تعالى به على لسان رسوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم
وأفئدتهم هواء فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم وما
حسراتك في ذلك اليوم إذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة
وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقا أو تظهر عذرا فعند ذلك
تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل إلى خصمائك عوضا عن حقوقهم
قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس قالوا المفلس فينا

يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من أمتي من يأتي يوم القيمة بصلوة وصيام
وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا
فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم
فطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس يسلم لك حسنة
من آفات الرياء ومكايد الشيطان فإن سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها
خصماؤك وأخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل
لعلمت أنه لا ينقضي عنك يوم إلا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع
حسناتك فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات
وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء فقد روى أبو ذر أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين ينتطحان فقال يا أبا ذر أتدري فيم ينتطحان قلت لا
قال ولكن ربك يدري وسيقضي بينهما يوم القيمة وقال أبو هريرة في قوله عز وجل
وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم إنه يحشر الخلق كلهم يوم
القيمة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماء من القرناء
ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وكيف أنت يا مسكين
في يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول أين حسناتي فيقال
نقلت إلى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها
نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يا رب هذه سيئات ما قارفتها

وطاقتها هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة
والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر اصناف المعاملة
قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد يئس ان تعبد الاصنام بارض العرب
ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فان
العبد ليجيء يوم القيامة بامثال الجبال من الطاعات فيرى انهن سينجينه فما زال عبد يجيء فيقول
رب ان فلانا ظلمني بمظلمة فيقول امح من حسناته فما زال كذلك حتى ما يبقى له حسنة من
شيء وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم ليحطبوا فلم
يلبثوا ان اعظموا نارهم وصنعوا ما ارادوا وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى انك ميت
وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله ايكرر علينا
ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا الى كل ذي حق
حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد واعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة
ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال انس سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد عراة غبرا بهما قال قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء
ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان
لا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة ولاحد من اهل النار عنده مظلمة ولا لاحد
من اهل النار ان يدخل النار ولاحد من اهل الجنة عنده مظلمة حتى اقصه منه
حتى اللطمة قلنا وكيف وانما نأتي الله عراة غبرا بهما فقال بالحسنات والسيئات

فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد باخذ اموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم
واساءة الخلق في معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة اليه اسرع ومن اجتمعت
عليه مظالم وقد تاب منها وعسر عليه استحلال ارباب المظالم فليكثر من حسناته
ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله تعالى بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه الا الله
فعساه يقربه ذلك الى الله فينال به لطفه الذي ادخره لاحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد
عنهم كما روي عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رسول الله جالس اذ رأيناه يضحك حتى بدت
ثناياه فقال عمر ما اضحكك يا رسول الله بابي انت وامي قال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب العزة
فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من اخي فقال الله تعالى اعط اخاك مظلمته فقال
يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته
شيء قال يا رب فليحمل عني من اوزاري قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان
ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم من اوزارهم قال فقال الله تعالى
للطالب ارفع رأسك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال يا رب ارى مدائن من فضة مرتفعة
وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا او لاي صديق هذا او لاي شهيد هذا
قال لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال انت تملكه قال ما هو قال عفوك عن اخيك
قال يا رب اني قد عفوت عنه قال الله عز وجل خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين
وهذا تنبيه على ان ذلك انما ينال بالتخلق باخلاق الله تعالى وهو اصلاح ذات البين وسائر

الخلائق فتفكر الآن في نفسك ان خلت صحيفتك عن المظالم او تلطف لك حتى عفى عنك وايقنت
بسعادة الابد كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضا
وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار قلبك
سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار واشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين
الخلائق رافعا راسك خاليا عن الاوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلالا
من جبينك وخلق الاولين والآخرين ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك في حسنك وجمالك والملائكة
يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤوس الاشهاد هذا فلان بن فلان رضي الله عنه وارضاه
وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا افترى ان هذا المنصب ليس باعظم من المكانة
التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا برئائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك فان كنت تعلم انه
خير منه بل لا نسبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافي والنية
الصادقة في معاملتك مع الله تعالى فلن يدرك ذلك الا به وان كانت الاخرى والعياذ بالله
بان خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيمة فمقتك لاجلها
فقال عليك لعنتي يا عبد السوء لا اتقبل منك عباداتك فلا تسمع هذا النداء الا ويسود
وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق اجمعين
وعند ذلك تتناولك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فاقدمت عليك بفظاظتها
وغلظتها وصورها المنكرة فاخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملا الخلق
وهم ينظرون الى سواد وجهك والى ظهور خزيك وانت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون

لك لا تدع اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وتنادي الملائكة ويقولون هذا فلان بن فلان
كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقي شقاوة لا يسعد بعدها
ابدا وربما يكون ذلك بذنب اذنبته خيفة من عباد الله او طلبا للمكانة في قلوبهم او خوفا
من الافتضاح عندهم فما اعظم جهلك اذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة
من عباد الله في الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك الملا العظيم
مع التعرض لسخط الله وعقابه الاليم والسياق بايدي الزبانية الى سواء الجحيم
فهذه احوالك وانت بعد لم تشعر بالخطر الاعظم وهو خطر الصراط

صفة الصراط

ثم تفكر بعد هذه الاهوال في قول الله تعالى
يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وفي قوله تعالى فاهدوهم الى صراط
الجحيم وقفوهم انهم مسؤولون فالناس بعد هذه الاهوال يساقون الى الصراط وهو
جسر ممدود على متن النار احد من السيف وادق من الشعر فمن استقام في هذا العالم
على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا
واثقل ظهره بالاوزار وعصى تعثر في اول قدم من الصراط وتردى فتفكر الآن فيما يحل من
الفزع بفؤادك اذا رايت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته
ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها وقد كلفت ان تمشي على الصراط مع ضعف
حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك عن المشي
على بساط الارض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك اذا وضعت عليه احدى

رجليك فأحسست بحدته واضطررت الى ان ترفع القدم الثاني والخلايق من بين يديك يزلون
ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف ينكسون
فتسفل الى جهة النار رؤوسهم وتعلو ارجلهم فياله من منظر ما افظعه ومرتقى ما اصعبه
ومجاز ما اضيقه فانظر الى حالك وانت تزحف عليه وتصعد اليه وانت مثقل الظهر
باوزارك تلتفت يمينا وشمالا الى الخلق وهم يتهافتون في النار والرسول صلى الله عليه وسلم يقول يا رب
سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل
عن الصراط من الخلايق فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك فناديت بالويل وقلت
هذا ما كنت اخافه فيا ليتني قدمت لحياتي يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني لم
اتخذ فلانا خليلا يا ليتني كنت ترابا يا ليتني كنت نسيا منسيا يا ليت امي لم تلدني وعند
ذلك تختطفك النيران والعياذ بالله وينادي المنادي اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يبقى
سبيل الى الصياح والانين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الان عقلك وهذه الاخطار
بين يديك فان كنت غير مؤمن بذلك فما اطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم
وان كنت به مؤمنا وعنه غافلا وبالاستعداد له متهاونا فما اعظم خسرانك
وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك اذا لم يبعثك على السعي في طلب رضى الله بطاعته
وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز
فان سلمت فناهيك به هولا وفزعا ورعبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب الصراط
بين ظهري جهنم فاكون اول من يجيز بامته من الرسل ولا يتكلم يومئذ الا الرسل

ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان
هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا
يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تختطف الناس باعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل
ثم ينجو وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر الناس
على الصراط جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس
يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم سلم ومن الناس من يمر مثل البرق
ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجرى ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي
مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا واما اهل النار الذين هم اهلها
فلا يموتون ولا يحيون واما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحما
ثم يؤذن في الشفاعة وذكر الى آخر الحديث وعن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم
قال يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما اربعين سنة شاخصة
ابصارهم الى السماء ينتظرون فصل القضاء وذكر الحديث الى ذكر سجود المؤمنين
قال ثم يقول ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم
فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نوره اصغر
من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطى اصغر من ذلك
حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه فيضيء مرة ويخبو مرة فاذا
اضاء قدم قدمه فمشى واذا اظلم قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم

فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب
ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي أعطي نوره على إبهام قدميه
يحبو على وجهه ويديه ورجليه تخر منه يد وتعلق أخرى وتعلق رجل وتخر أخرى وتصيب جوانبه
النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطاني الله
ما لم يعط أحداً إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل
وقال أنس بن مالك سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة وإن
الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وإن جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتي وإني لأقول يا رب
سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير فهذه أهوال الصراط وعظائمه فطول
فيه فكرك فإن أسلم الناس من أهوال القيامة من طال فيها فكره في الدنيا فإن الله
لا يجمع على عبد خوفين فمن خاف هذه الأهوال في الدنيا أمنها في الآخرة ولست أعني بالخوف رقة
كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود إلى لهوك
ولعبك فما لذلك من الخوف في شيء بل من خاف شيئاً هرب منه ومن رجا شيئاً طلبه فلا
ينجيك إلا خوف يمنعك عن معاصي الله تعالى ويحثك على طاعته وأبعد من رقة النساء
خوف الحمقى إذا سمعوا الأهوال سبق إلى ألسنتهم الاستعاذة فقال أحدهم استعنت بالله
نعوذ بالله سلم سلم وهم مع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم والشيطان
يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضار في صحراء ووراءه حصن
فإذا رأى أنياب السبع وصولته من بعد قال بلسانه أعوذ بهذا الحصن الحصين

واستعيذ بشدة بنيانه وإحكام أركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فأنى يغني
ذلك عنه من السبع وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا قول لا إله إلا الله صادقاً ومعنى
صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره ومن اتخذ إلهه هواه فهو بعيد
عن الصدق في توحيده وأمره مخطر في نفسه فإن عجزت عن ذلك كله فكن محباً لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حريصاً على تعظيم سنته ومتشوقاً إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمته
ومتبركاً بأدعيتهم فعساك أن تنال من شفاعته أو شفاعتهم فتنجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة

صفة الشفاعة

اعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى
بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له عند
الله تعالى جاه وحسن معاملة فإن له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه
فكن حريصاً على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بأن لا تحقر آدمياً أصلاً فإن الله تعالى
خبأ ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر معصية أصلاً
فإن الله تعالى خبأ غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه ولا تستحقر طاعة أصلاً فإن الله تعالى
خبأ رضاه في طاعاته فلعل رضى الله فيه ولو الكلمة الطيبة أو اللقمة أو النية الحسنة
أو ما يجري مجراه وشواهد الشفاعة في القرآن والأخبار كثيرة قال الله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى روى عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم
عليه السلام رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم
وقول عيسى عليه السلام إن تعذبهم فإنهم عبادك ثم رفع يديه وقال أمتي أمتي

من بكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد فسله ما يبكيك فاتاه فسأله فاخبره والله
اعلم به فقال يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك
وقال صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت
لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وتربتها لي طهورا فايما رجل من امتي
ادركته الصلوة فليصل واعطيت الشفاعة وكل نبي بعث الى قومه خاصة وبعثت
الى الناس عامة وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب
شفاعتهم من غير فخر وقال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وانا اول من تنشق عنه
الارض وانا اول شافع واول مشفع بيدي لوا الحمد تحته آدم فمن دونه وقال صلى الله عليه وسلم
لكل نبي دعوة مستجابة فاريد ان اختبي دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة وقال ابن عباس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانبيا منابر من ذهب يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه
قائما بين يدي ربي منتصبا مخافة ان يبعث بي الى الجنة ويبقى امتي بعدي فاقول يا رب امتي
فيقول الله عز وجل يا محمد وما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فما ازال اشفع
حتى اعطى صكاكا برجال قد بعث بهم الى النار وحتى ان مالكا خازن النار يقول يا محمد ما
تركت للنار لغضب ربك في امتك بقية وقال صلى الله عليه وسلم اني لاشفع يوم القيمة لاكثر
مما على وجه الارض من حجر ومدر وقال ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بلحم
فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال انا سيد الناس يوم القيمة
وهل تدرون مم ذاك يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم

البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الكرب والغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس
بعضهم لبعض الا ترون ما قد بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم
بآدم عليه السلام فياتون آدم فيقولون له انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وامر
الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد بلغنا فيقول
لهم آدم عليه السلام ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده
مثله وانه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح
فياتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا
شكورا اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم
يغضب قبله مثله وانه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري
اذهبوا الى ابرهيم خليل الله فياتون ابرهيم خليل الله عز وجل فيقولون له انت نبي الله
وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله واني كنت كذبت ثلاث كذبات
وذكرها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فياتون موسى عليه السلام فيقولون
يا موسى انت رسول الله فضلك برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك الا ترى ما
نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده
مثله واني قتلت نفسا لم اومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى
فياتون عيسى عليه السلام فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم

زوج منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى عليه السلم
ان ربي غضب اليوم غضبا لم تغضب قبله مثله ولن تغضب بعده مثله ولم تذكر ذنبا نفسي نفسي
اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد فياتوني فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم النبيين وغفر لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فانطلق فاتي تحت العرش فاقع ساجدا
لربي ثم يفتح الله لي من محامده وحسن الثنا عليه شيا لم يفتحه على احد قبلي ثم يقال يا محمد
ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول امتي امتي يا رب فيقال يا محمد ادخل امتك
من لا حساب عليهم الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركا الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال
والذي نفسي بيده ان بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير او كما بين مكة وبصرى
وفي حديث آخر هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا ابرهيم عليه السلم وهو قوله في الكواكب
هذا ربي وقوله لالهتهم بل فعله كبيرهم وقوله اني سقيم ❊ فهذه شفاعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولاحاد امته من العلما والصالحين شفاعة ايضا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من ربيعة ومضر وقال صلى الله عليه وسلم
يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ولاهل البيت وللرجل والرجلين على
قدر عمله ❊ وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من اهل الجنة يشرف يوم القيمة
على اهل النار فيناديه رجل من اهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله ما اعرفك
من انت فيقول انا الذي مررت بي في الدنيا يوما فاستسقيتني شربة ما فسقيتك قال
قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك فيسال الله تعالى ويقول اني اشرفت على اهل النار

فناداني رجل من اهلها فقال هل تعرفني فقلت لا من انت فقال انا الذي استسقيتني في
الدنيا فسقيتك فاشفع لي عند ربك فشفعني فيه فيشفعه الله تعالى فيه فيومر به
فيخرج من النار ❊ وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا
وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لوا الحمد يوميذ بيدي وانا اكرم
ولد آدم على ربي ولا فخر ❊ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم
عن يمين العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري ❊ وقال ابن عباس جلس ناس
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون
فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابرهيم
خليلا وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله
وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم
وتعجبكم ان ابرهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى
روحه وكلمته وهو كذلك وآدم صفي الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر
وانا حامل لوا الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيمة ولا فخر
وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فادخلها ومعي فقرا المومنين ولا فخر
وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر ❊

صفة الحوض

اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت
الاخبار على وصفه ونحن نرجوا ان يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه

فإن صفاته أن من شرب منه لم يظمأ أبداً. وقال أنس: أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة
فرفع رأسه متبسماً فقالوا: لم ضحكت يا رسول الله؟ فقال: آية أنزلت علي آنفاً، وقرأ
بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر، حتى ختمها. ثم قال: هل تدرون ما الكوثر؟ قالوا: الله
ورسوله أعلم. قال: إنه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة، عليه خير كثير، حوض ترد عليه
أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم. وقال أنس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بينا أنا أسير
في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر
الذي أعطاك ربك، فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر. وقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة وصنعاء، أو مثل ما بين المدينة وعمان.
وروى ابن عمر أنه لما نزل قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو نهر
في الجنة حافتاه من ذهب، شرابه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأطيب ريحاً من المسك،
يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان. وقال ثوبان مولى رسول الله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
إن حوضي ما بين عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وأكوابه
عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، أول الناس وروداً عليه
فقراء المهاجرين. فقال عمر بن الخطاب: ومن هم يا رسول الله؟ قال: هم الشعث رؤوساً، الدنس ثياباً،
الذين لا ينكحون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد. فقال عمر بن عبد العزيز: والله لقد
نكحت المنعمات فاطمة بنت عبد الملك، وفتحت لي أبواب السدد، إلا أن يرحمني الله تعالى،
لا جرم لا أدهن رأسي حتى يشعث، ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ.

١٧٦

وعن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله، ما آنية الحوض؟ فقال: والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد
نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية، من شرب منه لم يظمأ آخر ما عليه،
يشخب فيه ميزابان من الجنة، عرضه مثل طوله، ما بين عمان وأيلة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن
وأحلى من العسل. وعن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لكل نبي حوضاً، وإنهم يتباهون
أيهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة. فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فليرج كل عبد أن يكون في جملة الواردين، وليحذر أن يكون متمنياً ومغتراً وهو يظن أنه
راج، فإن الراجي للحصاد من بث البذر ونقى الأرض وسقاها الماء ثم جلس يرجو
فضل الله بالإنبات ودفع الصواعق إلى أوان الحصاد. فأما من ترك الحراثة والزراعة
وتنقية الأرض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب والفاكهة فهذا مغتر
ومتمن وليس من الراجين في شيء، وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور الحمقى. نعوذ بالله
من الغرور والغفلة، فإن الاغترار بالله أعظم من الاغترار بالدنيا. قال الله تعالى:
فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور.

القول في صفة جهنم وأهوالها وأنكالها

أيها الغافل عن نفسه، المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء
والزوال، دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه، واصرف الفكر إلى موردك، فإنك
أخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل: وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً،
ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً. فأنت من الورود على يقين، ومن النجاة في شك،

فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد وتساءل لسعد للنجاة منه وتأمل في حال الخلائق وقد
قاسوا من دواهي القيمة ما قاسوا فبيناهم في كربها واهوالها وقوفا ينتظرون حقيقة انبائها
وتشفع شفعائها اذ احاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب واظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا
لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك ايقن المجرمون بالعطب
وجثت الامم على الركب حتى اشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية
قائلا اين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الامل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه
بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه
في قعر الجحيم ويقولون له ذق انك انت العزيز الكريم فاسكنوا دارا ضيقة الارجا
مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها
الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم امانيهم فيها الهلاك
وما لهم منها فكاك قد شدت اقدامهم الى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي
ينادون من اكنافها ويصيحون في نواحيها واطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد
يا مالك قد اثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك اخرجنا منها
فانا لا نعود وتقول الزبانية هيهات لات حين امان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسؤوا
فيها ولا تكلمون ولو اخرجتم منها لكنتم الى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك
يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الاسف بل
يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن ايمانهم

والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار
فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون
في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلي بهم النار
كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم
يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر
الصديد من افواههم وتتقطع من العطش اكبادهم وتسيل على الخدود احداقهم
ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الاطراف شعورها بل جلودها وكلما نضجت
جلودهم بدلوا جلودا غيرها وعريت من اللحم عظامهم فبقيت الارواح منوطة بالعروق
وعلائق العصب وهي تنش في لفح النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك
لو نظرت اليهم وقد سودت وجوههم اشد سوادا من الحميم واعميت ابصارهم وابكمت
السنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت اذانهم ومزقت جلودهم
وغلت ايديهم الى اعناقهم وجمعت بين نواصيهم الى اقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم
ويطؤون حسك الحديد باحداقهم فلهيب النار سار في بواطن اجزائهم وحيات الهاوية
وعقاربها متشبثة بظواهر اعضائهم هذه جملة احوالهم وانظر الان في تفصيل
اهوالهم وتفكر ايضا في اودية جهنم وشعابها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان في جهنم سبعين الف واد في كل واد سبعون الف شعب في كل شعب سبعون الف
ثعبان وسبعون الف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله

وقال علي كرم الله وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن او وادي الحزن
قالوا يا رسول الله وما وادي الحزن او جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم
سبعين مرة اعده الله تعالى للقراء المرائين فهذه سبعة جهنم والشعاب اوديتها عذاب القرا المرائين
وهي بحسب عدد اودية الدنيا وشهواتها وعدد ابوابها بعدد الاعضاء السبعة
التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض الاعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة
ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الان في عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها
كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهي ارب من الدنيا الا الى ارب اعظم منه فلا تنتهي
هاوية من جهنم الا الى هاوية اعمق منها قال ابو هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسمعنا وجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال
هذا حجر ارسل في جهنم منذ سبعين عاما الان حين انتهى الى قعرها ثم انظر الى تفاوت
الدركات فان الآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وكما ان اكباب الناس على الدنيا متفاوت
فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها ومن خائض فيها الى حد محدود فكذلك تناول النار
لهم متفاوت فان الله لا يظلم مثقال ذرة ولا تترادف انواع العذاب على كل من في النار
كيف كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه الا ان اقلهم عذابا لو
عرض عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل النار عذابا يوم القيمة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه
من حرارة نعليه فانظر الان الى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما

اودية النار بعدد شهوات الدنيا وابوابها بعدد الاعضاء السبعة التي بها يعصي العبد ولكل واحد اسم

شككت في شيء من عذاب النار فقرب اصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم انك
اخطات القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان اشد عذاب في الدنيا عذاب
هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد اهل النار مثل هذه النار لخاضوها
طائعين هربا مما هم فيه وعن هذا عبر في بعض الاخبار حيث قيل ان نار الدنيا غسلت بسبعين
ماء من الرحمة حتى اطاقها اهل الدنيا بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار
جهنم فقال امر الله عز وجل ان يوقد على النار الف عام حتى احمرت ثم اوقد عليها الف عام
حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لها في نفسين
نفس في الشتاء ونفس في الصيف فاشد ما تجدونه في الصيف من حرها واشد
ما تجدونه في الشتاء من زمهريرها وقال انس بن مالك يؤتى بانعم الناس في الدنيا من الكفار
فيقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له هل رايت نعيما قط فيقول لا ويؤتى باشد
الناس ضرا في الدنيا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له هل رايت ضرا قط فيقول لا
وقال ابو هريرة لو كان في المسجد مائة الف او يزيدون ثم تنفس رجل من اهل النار لماتوا
وقال بعض العلماء في قوله تعالى تلفح وجوههم النار انها لفحتهم لفحة واحدة فما ابقت
لحما على عظم الا القته عند اعقابهم ثم انظر بعد هذا الى نتن الصديد الذي يسيل
من ابدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو ان دلوا من غساق جهنم القي في الدنيا لانتن اهل الارض فهذا شرابهم اذا استغاثوا

من العطش فيسقى احدهم ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان
وما هو بميت وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا
ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون
من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم
وقال تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين فانهم
لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم وقال تعالى تصلى
نارا حامية تسقى من عين آنية وقال تعالى ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة
وعذابا اليما وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت
في بحار الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ذلك
وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله فيه واحذروا وخافوا
ما حذركم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فانه لو كانت قطرة من الجنة معكم
في دنياكم التي انتم فيها حلتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي انتم فيها
خبثتها عليكم ◦ وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على اهل النار الجوع
حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع
لا يسمن ولا يغني من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون
انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم
الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخل الشراب

بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم ان ادعوا ربكم
يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا
وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال فيقولون ادعوا مالكا فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا
ربك فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش انبئت ان بين دعائهم وبين اجابة مالك اياهم الف عام
قال فيقولون ادعوا ربكم فلا احد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا
وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسئوا فيها
ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك اخذوا في الزفير
والحسرة والويل ◦ وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه فيكرهه
فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع امعاءه
حتى تخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال تعالى وان
يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه ◦ فهذا طعامهم وشرابهم عند
جوعهم وعطشهم فانظر الان الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة سمومها
وعظم اشخاصها وفظاعة منظرها وقد سلطت على اهلها واغريت بهم
فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيمة شجاعا اقرع
له زبيبتان يطوقه يوم القيمة يأخذ بلهزمتيه يعني اشداقه فيقول انا مالك

انا كسرك عن تلاقوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية وقال الرسول
صلى الله عليه وسلم ان في النار لحيات مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا
وان فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا
وهذه العقارب والحيات انما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وايذاء
الناس ومن في ذلك وفي هذه الحيات ولم يمثل لها ثم يذكر بعد هذا كله في تعظيم
اجسام اهل النار قال الله تعالى يزيد في اشخاصهم طولا وعرضا حتى يتزايد عقابهم
بسببه فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع اجزائها دفعة واحدة
على التوالي قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر في النار مثل احد
وغلظ جلده مسيرة ثلاث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفته السفلى ساقطة
على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال عليه السلم ان الكافر
ليجر لسانه في سجين يوم القيمة يتوطاه الناس ومع عظم الاجسام كذلك
يحرقهم النار مرات فيجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن كلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها قال تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم
قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ثم يذكر الان بكا اهل النار
وشهيقهم ودعاءهم بالويل والثبور فان ذلك يسلط عليهم في اول القائهم النار
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام
سبعون الف ملك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل على اهل النار

البكا فيبكون حتى ينقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الاخدود
لو ارسلت فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم في البكا والشهيق والزفير والدعوة
بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون ايضا من ذلك قال محمد بن كعب
لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربعة فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها
ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل
فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم
لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا فيجيبهم الله تعالى
اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال فيقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي
كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير
فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين
ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيجيبهم الله تعالى اخسؤوا فيها ولا تكلمون
فلا يتكلمون بعدها ابدا وذلك غاية شدة العذاب وقال مالك بن انس رحمه الله
قال زيد بن اسلم في قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا قال صبروا مائة سنة
ثم جزعوا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا
وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة كانه كبش املح فيذبح بين الجنة والنار
ويقال يا اهل الجنة خلود لا موت ويا اهل النار خلود لا موت
وعن الحسن قال يخرج رجل من النار بعد الف عام وليتني كنت ذلك الرجل

يذبح الموت

يخرج رجل من النار بعد الف عام

رئي الحسن جالسا في زاويه وهو يبكي فقيل لم تبكي فقال اخشى ان يطرحني في النار ولا يبالي
فهذه اصناف عذاب جهنم على الجمله وتفصيل غمومها واحزانها ومحنها وحسراتها لا
نهايه له فاعظم الامور عليهم مع ما يلاقونه من شده العذاب حسره فوت نعيم الجنه
وفوت لقا الله وفوت رضاه مع علمهم بانهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدوده
اذ لم يبيعوا ذلك الا بشهوات حقيره في الدنيا اياما قصيره وكانت غير صافيه بل كانت
مكدره منغصه فيقولون في انفسهم واحسرتاه كيف اهلكنا انفسنا بعصيان ربنا
وكيف لم نكلف انفسنا الصبر اياما قلايل ولو صبرنا لكانت قد انقضت علينا
ايامه وبقينا الان في جوار الرحمن متنعمين بالرضا والرضوان فيا حسره هولا وقد فاتهم
ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شي من نعيم الدنيا ولذاتها ثم انهم لو لم يشاهدوا
نعيم الجنه لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوتى يوم القيمه بناس من النار الى الجنه حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رايحتها
ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها فيها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب
لهم فيها فيرجعون بحسره ما رجع الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار
قبل ان ترينا ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليايك كان اهون علينا
فيقول ذاك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظايم واذا لقيتم الناس
لقيتموهم مخبتين تراوون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني
واجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم اذيقكم العذاب

الاليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم ❊ وقال احمد بن حرب ان احدنا يوثر الظل على الشمس
ثم لا يوثر الجنه على النار ❊ وقال عيسى عليه السلم كم من جسد صحيح ووجه صبيح
ولسان فصيح غدا بين اطباق النار يصيح ❊ وقال داود عليه السلم الهي لا صبر لي على حر شمسك
فكيف صبري على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك
فانظر يا مسكين في هذه الاهوال واعلم ان الله تعالى خلق النار باهوالها وخلق لها اهلا (للنار اهل لا يزيدون ولا ينقصون)
لا يزيدون ولا ينقصون وان هذا امر قد قضي وفرغ منه قال الله تعالى وانذرهم يوم الحسره
اذ قضي الامر وهم في غفله ولعمري الاشاره به الى يوم القيمه ولكن ما قضي الامر يوم القيمه
ولكن في ازل الازل ولكن اظهر يوم القيمه ما سبق به القضا فالعجب منك حيث تضحك
وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري ان القضا بماذا سبق في حقك فان قلت (علام اهل الجنه واهل النار قبل الموت)
فليت شعري ماذا موردي والى ماذا مالي ومرجعي وما الذي سبق به القضا في حقي
فلك علامه تستانس بها وتصدق رجاوك بسببها وهو ان تنظر الى احوالك واعمالك
فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن النار
وان كنت لا تقصد خيرا الا وتحيط بك العوايق فتدفعه ولا تقصد شرا الا ويتيسر
لك اسبابه فاعلم انه مقضي عليك فان دلاله هذا على العاقبه كدلاله المطر
على النبات ودلاله الدخان على النار فقد قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم
وان الفجار لفي جحيم فاعرض نفسك على الايتين وقد عرفت مستقرك في الدارين

القول في صفة الجنة واصناف نعيمها

اعلم ان تلك الدار التي عرفت غمومها وهمومها تقابلها دار اخرى فتامل نعيمها وسرورها
فان من بعد من احداهما استقر لا محالة في الاخرى واستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في اهوال
الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان وسق نفسك بسوط
الخوف وقدها بزمام الرجاء الى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من
العذاب الاليم وتفكر في اهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين
على منابر من الياقوت الاحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها بسط من العبقري الاخضر متكئين
على ارائك منصوبة على اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان
مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كانهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
يمشين في درجات الجنان اذا اختالت احداهن في مشيتها حمل اعطافها سبعون الفا
من الولدان عليها من طرائف الحرير الابيض ما تتحير فيه الابصار مكللات بالتيجان المرصعة
باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات في قصور
من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن
باكواب واباريق وكاس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كامثال
اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام امين في جنات وعيون في جنات ونهـ
ـر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد
اشرقت في وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبانواع
التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون

وهم من ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون ويأكلون من اطعمتها ويشربون من انهارها لبنا وخمرا وعسلا
في انهار اراضيها من فضة وحصباؤها مرجان وعلى ارض ترابها مسك اذفر ونباتها زعفران ويمطرون
من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ويؤتون باكواب واي اكواب اكواب من فضة
مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب
كوب يشرق نوره من صفا جوهره يبدو الشراب من ورائه لرقته وحمرته لم يصنعه آدمي
فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صناعته في كف خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في اشراقها
ولكن من اين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن اصداغه وملاحة احداقه فيا عجبا لمن يؤمن
بدار هذه صفتها ويوقن بانه لا يموت اهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الاحداث
بعين التغيير الى اهلها كيف يأنس بدار قد اذن الله في خرابها ويتهنا بعيش دونها والله لو
لم يكن فيها الا سلامة الابدان مع الامن من الموت والجوع والعطش وسائر اصناف الحدثان
لكان جديرا بان يهجر الدنيا بسببها وان لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص ضرورته كيف
واهلها ملوك آمنون وفي انواع السرور ممتعون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل
يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من اللذة ما لا
ينظرون معه الى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين اصناف هذه النعم
يترددون وهم من زوالها آمنون قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد
ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا
ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تباسوا ابدا فذلك قوله تعالى ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها

اهل ما في الجنة سلامة الابدان
مع الامن من الموت والجوع
والعطش وجميع الحدثان

بما كنتم تعملون ومهما أردت أن تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله بيان واقرأ
من قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان إلى آخر سورة الرحمن واقرأ سورة الواقعة وغيرها
من السور وإن أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الأخبار فتأمل الآن تفصيلها
بعد أن اطلعت على جملتها وتأمل أولا عدد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان
من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة
عدن ثم انظر إلى أبواب الجنة فإنها كثيرة بحسب أصول الطاعات كما أن أبواب
النار بحسب أصول المعاصي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين
من ماله في سبيل الله دعي من أبواب الجنة وللجنة ثمانية أبواب فمن كان من أهل الصلاة
دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة
دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد فقال أبو بكر رضي الله عنه
والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعي فهل يدعى أحد منها كلها قال نعم وأرجو
أن تكون منهم وعن عاصم بن ضمرة عن علي عليه السلام أنه ذكر النار فعظم أمرها
ذكرا لا أحفظه ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا انتهوا إلى
باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا إلى إحداهما
كأنما أمروا به فشربوا منها فأذهب ما في بطونهم من أذى أو بأس ثم عمدوا إلى الأخرى
فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغير أبشارهم بعدها أبدا

أبواب الجنة بحسب أصول الطاعات وأبواب النار بحسب أصول المعاصي

أبواب الجنة ثمانية

ولا تشعث رؤوسهم كأنما دهنوا بالدهان ثم انتهوا إلى الجنة فقالوا سلام عليكم طبتم
فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم
عليهم من غيبة يقولون له أبشر أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا قال فينطلق غلام من أولئك
الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا
فتقول أنت رأيته فيقول أنا رأيته وهو بأثري فيستخفها الفرح حتى تقوم إلى أسكفة بابها
فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنيانه فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأحمر
وأصفر من كل لون ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه فإذا مثل البرق ولولا أن الله تعالى قدره
لألم أن يذهب ببصره ثم طأطأ رأسه فإذا أزواجه وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة
وزرابي مبثوثة ثم اتكأ فقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا
أن هدانا الله ثم ينادي مناد تحيون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تظعنون أبدا وتصحون فلا
تمرضون أبدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي يوم القيامة باب الجنة فأستفتح
فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك ثم تأمل الآن في
غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فإن الآخرة أكبر درجات
وأكبر تفضيلا وكما أن بين الناس في الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة المحمودة
تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فإن كنت تطلب أعلى الدرجات
فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمرك الله بالمسابقة والمنافسة
فيها فقال وسابقوا إلى مغفرة من ربكم وقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

والعجب انه لو تقدم عليك اقرانك او جيرانك بزيادة درهم او بعلو بناء لثقل ذلك عليك
وضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك واحسن احوالك ان تستقر في الجنة وانت لا تسلم
فيها من اقوام يسبقونك بلطايف لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال ابو سعيد
الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف فوقهم كما تتراءون
الكوكب الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل
الانبيا لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين
وقال ايضا ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في افق من آفاق السما
وان ابا بكر وعمر منهم وانعما وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم
بغرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله بابينا انت وامنا فقال ان في الجنة غرفا من اصناف
الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور
ما لا عين رات ولا اذن سمعت قال قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف قال لمن افشى السلام
واطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله
ومن يطيق ذلك قال امتي تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي اخاه فسلم عليه او رد
عليه فقد افشى السلام ومن اطعم اهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد اطعم الطعام
ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة ايام فقد ادام الصيام ومن صلى
العشا الاخرة وصلاة الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام
يعني اليهود والنصارى والمجوس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى

ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون دارا من
ياقوت احمر في كل دار سبعون بيتا من زمرد اخضر في كل بيت سبعون سريرا
على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل
بيت سبعون مايدة على كل مايدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة
ويعطى المومن في كل غداة يعني من القوة ما ياتي على ذلك اجمع

صفة حايط الجنة وارضها واشجارها وانهارها

تامل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها بها وحسرة من حرمها لقناعته
بالدنيا عوضا عنها فقد قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حايط الجنة
لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك وسيل صلى الله عليه وسلم
عن تربة الجنة فقال درمكة بيضا مسك خالص وقال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سره ان يسقيه الله عز وجل الخمر في الاخرة فليتركها في الدنيا ومن سره
ان يكسوه الله الحرير في الاخرة فليتركه في الدنيا انهار الجنة تفجر من تحت
تلال او تحت جبال المسك ولو كان ادنى اهل الجنة حلية عدلت بحلية اهل الدنيا
جميعها لكان ما يحليه الله عز وجل به في الاخرة افضل من حلية اهل الدنيا جميعا
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها
مائة عام لا يقطعها اقرؤوا ان شئتم وظل ممدود وقال ابو امامة كان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله عز وجل ينفعنا بالاعراب ومسايلهم

اقبل اعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية وما كنت ارى ان في الجنة شيئا يؤذي
صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي قال السدر فان لها شوكا فقال قال الله تعالى
وسدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تفتق الثمرة منها على
اثنين وسبعين لونا من طعام ما منها لون يشبه الآخر وقال جرير عن عبد الله بن لبنا الصفاح
واذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس ان تبلغه فقلت للغلام انطلق بهذا النطع
فاظله فانطلق فاظله فلما استيقظ اذا هو سلمان فاتيته اسلم عليه فقال يا جرير
تواضع لله فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدري ما الظلمات يوم القيامة
قلت لا ادري قال ظلم الناس بينهم ثم اخذ عويدا لا اكاد اراه من صغره فقال يا جرير لو طلبت
في الجنة مثل هذا لم تجده قلت يا ابا عبد الله فاين النخل والشجر قال اصولها اللؤلؤ والذهب
واعلاها الثمر

صفة لباس اهل الجنة وفرشهم وسررهم وارائكهم وخيامهم

قال الله تعالى يحلون فيها
من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير والآيات في تفصيل ذلك كثيرة واما
تفصيله في الاخبار فقد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة
ينعم لا يبوس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر وقال رجل يا رسول الله اخبرنا عن ثياب اهل الجنة اتخلق خلقا ام تنسج نسجا
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك بعض القوم فقال رسول الله مم تضحكون
من جاهل سأل عالما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تنشق عنها ثمر الجنة مرتين

وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر
ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم وامشاطهم من الذهب والفضة
ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقيهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف
بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وفي رواية على كل
زوجة سبعون حلة وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يحلون فيها من اساور
من ذهب قال ان عليهم التيجان ان ادنى لؤلؤة فيها لتضيء ما بين المشرق والمغرب
وقال صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية
منها للمؤمن اهل لا يراهم الآخرون رواه البخاري في الصحيح قال ابن عباس الخيمة
درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها اربعة آلاف مصراع من ذهب وقال ابو سعيد
الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين
كما بين السماء والارض

صفة طعام اهل الجنة

بيان طعام اهل الجنة مذكور في القرآن من الفواكه والطيور السمان والمن والسلوى
والعسل واللبن واصناف كثيرة لا تحصى قال الله عز وجل كلما رزقوا منها من ثمرة
رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها وذكر الله تعالى شراب
اهل الجنة في مواضع كثيرة وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت قائما
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من احبار اليهود فذكر سؤاله الى
ان قال فمن اول الناس اجازة يعني على الصراط فقال فقراء المهاجرين قال اليهودي

ها تحفتهم حين يدخلون الجنة فقال زيادة كبد النون قال فما غذاهم على إثرها قال ينحر لهم ثور الجنة
الذي كان يأكل من أطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا فقال
صدقت ۝ وقال زيد بن أرقم جاء رجل من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أبا القاسم ألست تزعم
أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون وقال لأصحابه إن أقر لي بها خصمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلى والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع فقال اليهودي
فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة فقال صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل
المسك فإذا البطن قد ضمر ۝ وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة
طيرا أمثال البخاتي قال أبو بكر رضي الله عنه إنها لناعمة يا رسول الله قال أنعم منها من يأكلها
وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر ۝ وقال عبد الله بن عمرو في قوله عز وجل يطاف عليهم بصحاف
قال يطاف بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس في الأخرى ۝
وقال عبد الله بن مسعود ومزاجه من تسنيم قال يمزج لأصحاب اليمين ويشربها
المقربون صرفا ۝ وقال أبو الدرداء في قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب أبيض
مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها
لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها ۝

[Margin: الجماع في الجنة ... وبرازهم عرق]
[Margin: التسنيم عين تجري من فوقهم تسنمهم أي تعلوهم]

صفة الحور العين والولدان

قد تكرر في القرآن أوصافهم ووردت الأخبار بزيادة شرح فيه ۝
روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة في سبيل الله أو روحة

أو زوجة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا
وما فيها ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى الأرض لأضاءت ولملأت ما بينهما ريحا
ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها يعني الخمار ۝ وقال أبو سعيد الخدري قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان قال ينظر الى وجهه
في خدها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وإنه يكون عليها
سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك ۝ وقال أنس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري بي دخلت في الجنة موضعا يسمى البيدخ عليه
خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت
يا جبريل ما هذا النداء فقال هؤلاء المقصورات في الخيام استأذن ربهن في السلام
عليك فأذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط أبدا ونحن الخالدات فلا
نظعن أبدا وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى حور مقصورات في الخيام ۝
وقال مجاهد في قوله تعالى وأزواج مطهرة قال من الحيض والغائط والبول
والبزاق والنخامة والمني والولد ۝ وقال الأوزاعي في شغل فاكهون قال شغلهم
افتضاض الأبكار ۝ وقال رجل يا رسول الله أيباضع أهل الجنة قال يعطى
الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منكم ۝
وقال عبد الله بن عمر إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى معه ألف خادم كل خادم
على عمل ليس عليه صاحبه ۝ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل من أهل الجنة

[Margin: الحور [illegible] في شغل فاكهون شغلهم افتضاض الأبكار بالمباضعة]

لزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا ۝ وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وإن فيها لمجمع الحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبؤس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له ۝

وقال يحيى بن أبي كثير في قوله تعالى في روضة يحبرون قال السماع في الجنة ۝ وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الحور في الجنة يتغنين يقلن نحن الحور الحسان خبئنا لأزواج كرام ۝ وقال أبو أمامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين تغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن وليس بمزامير الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه ۝

في روضة يحبرون هو السماع في الجنة

حور يغنين في الجنة

بيان جمل متفرقة من أوصاف أهل الجنة وردت بها الأخبار

روى أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ألا هل من مشمر للجنة إن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمة في مقام أبدا ونضرة في دار عالية بهية سليمة قالوا نحن المشمرون لها يا

رسول الله قال قولوا إن شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحض عليه ۝ وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هل في الجنة خيل فإنها تعجبني قال إن أحببت ذلك أتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت وقال له آخر إن الإبل تعجبني فهل في الجنة من إبل فقال يا عبد الله إن أدخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك ۝ وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي ويكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة ۝

وقال صلى الله عليه وسلم إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الإخوان إلى الإخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا فيلتقيان فيتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول يا أخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا ۝ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع ۝ وقال صلى الله عليه وسلم أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء وإن عليهم التيجان وإن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب ۝

وقال صلى الله عليه وسلم نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كخلف البعير المقتب وإذا طيرها كالبخت وإذا فيها جارية فقلت يا جارية لمن أنت فقالت لزيد بن حارثة وإذا في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ۝

وقال كعب خلق الله تعالى آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة بيده

يولد للرجل ...

صفة زيارة أهل الجنة

أوصاف أهل الجنة وطولهم وعرضهم ولونهم

ثم قال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون ۝ هذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم نقلناها
تفصيلا ۝ وقد ذكر الحسن البصري رحمه الله جملتها فقال ان رمانها مثل الدلاء وان انهارها
لمن ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وانهار من خمر
لذة للشاربين لا تسفه الاحلام ولا تصدع منه الرؤوس وان فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ملوك ناعمين ابناء ثلاث وثلثين في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء
كحل جرد مرد قد امنوا العذاب واطمانت بهم الدار وان انهارها لتجري على رضراض
من ياقوت وزبرجد وان عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمها الا الله تعالى
وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة وان لهم فيها خيلا وابلا هفافة رحالها
وازمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها وازواجهم الحور العين كانهن بيض مكنون
وان المراة لتاخذ بين اصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها من وراء السبعين
حلة قد طهر الله الاخلاق من السوء والاجساد من الموت لا يمتخطون فيها ولا يبولون
ولا يتغوطون وانما هو جشاء ورشح مسك لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اما انه
ليس ليل يكر الغدو على الرواح والرواح على الغدو وان آخر من يدخل الجنة
وادناهم منزلة ليمد له في بصره وملكه مسيرة مائة عام في قصور الذهب
والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له في بصره حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه
يغدا عليهم بسبعين الف صحفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها في كل صحفة
لون ليس في الاخرى يجد طعم آخره كما يجد طعم اوله وان في الجنة لياقوتة فيها

سبعون الف دار في كل دار سبعون الف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب ۝
وقال مجاهد ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه الف سنة يرى اقصاه كما يرى
ادناه وان ارفعهم الذي ينظر الى ربه تعالى بالغداة والعشي ۝ وقال سعيد بن المسيب
ليس احد من اهل الجنة الا وفي يده ثلاثة اسورة سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار
من فضة ۝ وقال ابو هريرة ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء اذا مشت مشى
عن يمينها ويسارها سبعون الف وصيفة وهي تقول اين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ۝
وقال يحيى بن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت الجنة اشد وترك الدنيا مهر الآخرة ۝
وقال ايضا في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الجنة عز النفوس فيا عجبا لمن يختار
المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى ۝

صفة الرؤية والنظر الى وجه الله تعالى

قال الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى
وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم اهل الجنة وقد ذكرنا حقيقتها في
كتاب المحبة وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده اهل البدعة قال
قال جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى القمر
ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم
ان لا تغلبوا على صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا فسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ۝ وهو مخرج في الصحيحين ورواه مسلم في الصحيح

بالغداة والعشي

ترك الدنيا شديد ... وترك الدنيا مهر الآخرة

عجبا لمن يختار الذل في طلب ... ويترك العز في طلب الباقي

للذين احسنوا الحسنى وزيادة

القول بان الله لا يرى بدعة

عن صهيب قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل
الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد
ان ينجزكموه فقالوا ما هذا الموعود ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة
ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب وينظرون الى وجه الله عز وجل فما اعطوا شيا احب
اليهم من النظر اليه وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة وهذه هي غاية
الحسنى ونهاية النعمى وكل ما فصلناه من النعم عند هذه النعمة ينسى وليس لسرور اهل
الجنة عند سعادة اللقا منتهى بل لا نسبة لشي من لذات الجنة الى لذة اللقا وقد
اوجزنا الكلام ها هنا لما فصلناه في كتاب المحبة والرضا ولا ينبغي ان تكون همة العبد
من الجنة شي سوى لقا المولى فاما سائر نعيم الجنة فانه يشارك فيه البهيمة المسرحة في المرعى لا نعيم الآخرة النظر / وجه الله وسائر نعيم / الجنة فانه يشارك فيه البهيمة

لنختم الكتاب بباب في سعة رحمة الله عز وجل

على سبيل التفاؤل بذلك فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفال وليس لنا من الاعمال
ما نرجو به المغفرة فنقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم في التفاؤل ونرجو ان يختم
عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى فقد قال
الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقال تعالى قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو
الغفور الرحيم وقال تعالى ومن يعمل سوا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله
غفورا رحيما ونحن نستغفر الله من كل ما زلت به القدم او طغى به القلم في كتابنا هذا

وفي سائر كتبنا ونستغفره من اقوالنا التي لا توافقها اعمالنا ونستغفره
مما ادعيناه واظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره
من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره من كل وعد
وعدناه به من انفسنا ثم قصرنا في الوفا به ونستغفره من كل نعمة انعم بها علينا
فاستعملناها في معصيته ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص
وتقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى تصنع وتكلف
تزينا للناس في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه او استفدناه ونرجو بعد
الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا او كتبه او سمعه ان نكرم
بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا فان الكرم عميم
والرحمة واسعة والجود على اصناف الخلائق فايض ونحن خلق من خلق الله ولا وسيلة
لنا اليه الا فضله وكرمه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى مائة رحمة
انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والطير والبهائم والهوام فيها يتعاطفون
وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة ويروى انه اذا
كان يوم القيمة اخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وانا
ارحم الراحمين فيخرج من النار مثلا اهل الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى
الله عز وجل لنا يوم القيمة ضاحكا فيقول ابشروا يا معشر المسلمين فانه ليس منكم
احد الا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا او نصرانيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم

يشفع الله تعالى آدم يوم القيمة من جميع ذريته في مائة ألف ألف وعشرة ألف ألف
وقال صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يقول يوم القيمة للمؤمنين هل أحببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا
فيقول لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد أوجبت لكم مغفرتي
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيمة أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني
في مقام ۝ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل
القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم
إذ أنتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا
فيأمر بإخراج من كان في النار من أهل القبلة فيخرجون فإذا رأى ذلك الكفار قالوا
يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة
بولدها ۝ وقال جابر بن عبد الله من زادت حسناته على سيئاته يوم القيمة فذلك الذي
يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته يوم القيمة فذلك الذي
يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وإنما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق
نفسه وأثقل ظهره ۝ ويروى أن الله عز وجل قال لموسى عليه السلم يا موسى استغاث
بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته ولعفوت عنه ۝
وقال سعد بن بلال يؤمر يوم القيمة بإخراج رجلين من النار فيقول الله تبارك
وتعالى ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد ويأمر بردهما إلى النار

زادت حسناته على سيئاته أو ساوتها أو نقصت عنها

جواب الرجلين لله تعالى

فيعدو أحدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر فيأمر بردهما ويسألهما
عن فعلهما فيقول الذي عدا إلى النار قد جربت من وبال المعصية ما لم أكن لأتعرض
لسخطك ثانية ويقول الذي تلكأ حسن ظني بك كان يشفع لي أن لا تردني إليها حواد
بعد ما أخرجتني منها فيأمر بهما إلى الجنة ۝ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد
من تحت العرش يوم القيمة يا أمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات
فتواهبوا وادخلوا الجنة برحمتي ۝ ويروى أن أعرابيا سمع ابن عباس يقرأ وكنتم على شفا
حفرة من النار فأنقذكم منها فقال الأعرابي والله ما أنقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم
فيها فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه ۝ وقال الصنابحي دخلت على عبادة
ابن الصامت وهو في مرض الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه
اليوم وقد أحيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا
رسول الله حرم الله عليه النار ۝ وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الله تعالى يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيمة فينشر عليه تسعة وتسعين
سجلا كل سجل منها مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتي الحافظون
فيقول لا يا رب فيقول أفلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم
عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول يا رب ما
هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة

والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شي *
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر حديث طويل يصف فيه القيمة والصراط ان الله تعالى
يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه من النار فيخرجون خلقا
كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه
مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا
ممن امرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا
كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث
فاقرؤوا ان شئتم ان الله لا يغفر ان يشرك به يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها
ويؤت من لدنه اجرا عظيما قال فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع
المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا
حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منه كما تخرج الحبة
في حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر او الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون
منها الى الظل ابيض قالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ
في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة يقولون هولاء عتقا الله الذين ادخلهم الجنة
بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتم فهو لكم
فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول الله تعالى لكم عندي
افضل من هذا فيقولون يا ربنا اي شي افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم

بعده ابدا * رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما * وروى البخاري ايضا
عن ابن عباس قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت علي الامم
يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه احد والنبي معه الرهط
فرايت سوادا كثيرا فرجوت ان تكون امتي فقيل لي هذا موسى وقومه ثم قيل انظر فرايت
سوادا كثيرا قد سد الافق فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرايت سوادا كثيرا
فقيل لي هولاء امتك ومع هولاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم
يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك اصحابه فقالوا اما نحن فولدنا في الشرك ولكن
قد امنا بالله ورسوله هولاء هم ابناونا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هم الذين
لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال ادع الله
ان يجعلني منهم يا رسول الله فقال انت منهم ثم قام آخر فقال مثل قول عكاشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
سبقك بها عكاشة * وعن عمرو بن حزم الانصاري قال تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثا لا يخرج الا لصلوة مكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج الينا
فقلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا انه قد حدث حدث قال لم يحدث الا خير
ان ربي عز وجل وعدني ان يدخل من امتي الجنة سبعين الفا لا حساب عليهم واني سالت ربي
في هذه الثلثة الايام المزيد فوجدت ربي واجدا ماجدا كريما فاعطاني مع
كل واحد من السبعين الفا سبعين الفا * قال قلت يا رب وتبلغ امتي هذا قال اكمل
لك العدد من الاعراب * وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض لي

جبريل عليه السلام في جانب الحرة فقال بشر امتك انه من مات لا يشرك بالله شيئا
دخل الجنة فقلت يا جبريل وان سرق وان زنا قال نعم وان سرق وان زنا قلت وان
سرق وان زنا قال وان سرق وان زنا وان شرب الخمر ۝ وقال ابو الدرداء قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنا وان سرق
يا رسول الله فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنا وان سرق فقال ولمن خاف
مقام ربه جنتان فقلت وان زنا وان سرق يا رسول الله فقال وان رغم انف ابي الدرداء ۝
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة دفع الى كل مومن رجل من اهل الملل
فيقال له هذا فداؤك من النار ۝ وروي مثله في الصحيح عن ابي بردة انه حدث
عمر بن عبد العزيز عن ابيه ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله
تعالى مكانه النار يهوديا او نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا اله
الا هو ثلاث مرات ان اباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف له ۝
وروي انه وقف صبي في بعض المغازي ينادى عليه فيمن يزيد في يوم صايف شديد
الحر فبصرت به امراة في خباء القوم فاقبلت تشتد واقبل اصحابها خلفها
حتى اخذت الصبي والصقته الى صدرها ثم القت ظهرها على البطحاء وجعلته
على بطنها تقيه الحر فقالت ابني ابني فبكى الناس وتركوا ما هم فيه فاقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فاخبروه الخبر فسر برحمتها ثم بشرهم فقال اعجبتم
من رحمة هذه لابنها قالوا نعم قال فان الله تبارك وتعالى ارحم بكم جميعا من هذه بابنها

فتفرق المسلمون على افضل السرور واعظم البشارة ۝ فهذه الاحاديث
وما اوردناه في كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله تعالى فنرجو من الله عز وجل
ان لا يعاملنا بما نستحقه وان يتفضل علينا بما هو اهله بمنه وجوده ۝

آخر كتاب احياء علوم الدين

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله اجمعين

فرغ من نسخه في شوال من سنة ثلاث
وخمسين وخمسمائة بمدينة السلام

٥٥٣

للامام الشافعي رضي الله عنه

ان الذي رزق اليسار ولم يصب ۝ حمدا ولا اجرا لغير موفق
الجد يدني كل امر شاسع ۝ والجد يفتح كل باب مغلق
واذا سمعت بان مجدودا حوى ۝ عودا فاثمر في يديه فصدق
واذا سمعت بان محروما اتى ۝ ماء ليشربه فغاض فحقق
لو كان بالحيل الغنى لوجدتني ۝ بنجوم اقطار السماء تعلق
لكن من رزق الحجى حرم الغنى ۝ ضدان مفترقان اي تفرق

قال علي كرم الله وجهه
هموم الدنيا اربع
الدين ولو درهم
والبنت ولو مريم
والسفر ولو ميل
والسؤال ولو كيف السبيل

ترجمة سعد بن عبادة

سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن ابي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب
بن الخزرج الانصاري الصحابي سيد الخزرج ابو ثابت وابو قيس نقيب بني ساعدة من نقباء العقبة شهدها
مع السبعين وكان احد النقباء الاثني عشر وشهد المشاهد كلها وبدرا على المشهور وامه عمرة بنت مسعود
من المبايعات توفيت بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة دومة الجندل سنة خمس فلما قدم صلى
على قبرها وكانت راية المهاجرين مع علي وراية الانصار مع سعد بن عبادة في فتح مكة يقال كان اسود
وكان يكتب في الجاهلية بالعربية وكانت الكتابة في العرب قليلا وكان يحسن الرمي والعوم وكانت العرب
تسمي من اجتمعت فيه هذه الاشياء الكامل وكانت له راية روي عن النبي صلى الله عليه وسلم احد وعشرين حديثا
وكان احد من روى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي من اجل مناقبه رضي الله عنه وقد اخرج له الاربعة اصحاب
السنن والامام احمد وروى عنه بنوه قيس وسعيد واسحاق وابن عباس وكان من الولد محمد وسعيد
وعبد الرحمن وقيس وامامه ومندوس فسعيد وقيس صحابيان وكان قيس جوادا سخيا بذولا
كابيه وكان من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة الشرطي من الامير وقال فيه صلى الله عليه وسلم انه
جود وكان سعد احد الاجواد المنفقين وكان اهل الصفة اذا امسوا انطلق الرجل بالرجل

BU YAZMA ESERİ İNCELEYENİN

Adı ve soyadı	Milliyeti	İşi ve adresi
Prof Ahmet Caferoğlu	Türk (T.C.)	İstanbul Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Türkoloji Profösörü

من قرأ سورة الانعام ثم ... وهي هذه الاسماء المباركة
ياسريع الحساب يا شديد العقاب
يا غفور يا رحيم يا خالق كل شي يا فاطر
السموات والارض يا فالق الحب والنوى
يا فالق الاصباح يا مسبب الاسباب
يا مفتح الابواب يا قاضي الحاجات
يا مجيب الدعوات يا ولي الحسنات
يا دافع البليات يا مقيل العثرات
يا محيي الاموات يا نور الارض والسموات
اقض حاجتي في هذه الساعة يا الله ...
والارضين يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام

صفة معجون الفلافلي يسمى ماء الحياة النافع من فضول
البلغم ويزكي النفس ويشهي ويهضم الغذاء ويزيد في الحفظ
والذكاء ويذهب الابخرة ويقطع سلس البول ويزيد
في المني ويسكن الرياح وينفع وجع الظهر ويشد الاسنان
وينفع من وجع المفاصل ويبطي بالشيب اجزاءه
فلفل دارفلفل زنجبيل دارصيني بليلج
املج شيرامليج سبطرج دراوند مدحرج
بانوج حب صنوبر جوزهندي عروق
بزر رشاد خصي ثعلب من كل جزء عشرة دراهم
وزبيب منزوع العجم ثلاثون درهم يدق الجميع وينخل ناعما
ويعجن بثلاثة امثاله عسل منزوع الرغوة

[illegible]

T.C.